الصراع القيمي وأثره في التربية



الدكتورة

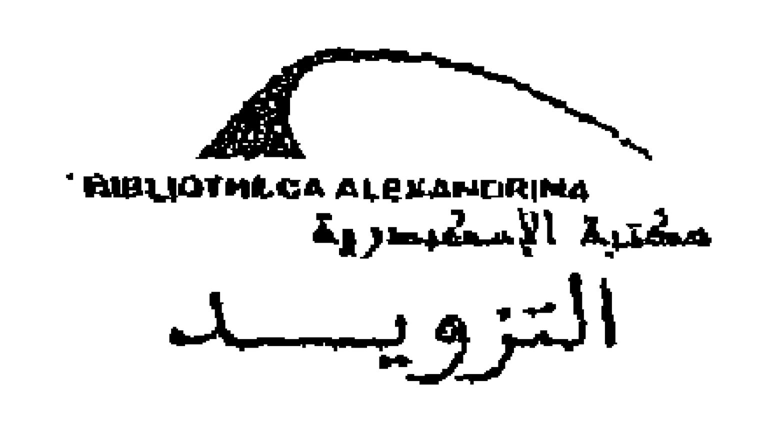
سعاد جبر سعيد



٢٠١٥

الصراع القيمي

واثره في التربية



الدكتورة

سعاد جبر سعيد

باحثة أكاديمية في الدراسات السيكولوجية

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

اربد - الأردن

2015

الكتاب

الصراع القيمي واثره في التربية

تأليف

سعاد جبر سعيد

الطبعة

الأولى، 2015

عدد الصفحات: 320

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2014/7/3275)

ISBN 978-9957-70-888-7

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (00962 -27272272)

خلوي: 0785459343

فاكس: 00962 -27269909

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 079 /5264363

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 00961 1 471357

فاكس: 00961 1 475905

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٢﴾

(الملك: ٢٢)

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الإهداء

إلى الطفولة الواعدة

التي تترقب المستقبل

مع ما يكتنفه من ظلمة

واشراقات وألم وأمل

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتباه من عبيده، فجعله من المقربين الأبرار، وبصر من أحبه فزهدهم في هذه الدار فأجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار، واخذوا أنفسهم بالجد في طاعته وملازمة ذكره بالعشي والأبكار، وعند تغاير الأحوال وجميع أناء الليل والنهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار، احمده ابلغ الحمد على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، واشهد أن لا اله إلا الله العظيم، الواحد الصمد العزيز الحكيم واشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين، وأكرم السابقين واللاحقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

أما بعد :فقد تسارع حمى العولمة، وامتد اخطبوطها الفوقي، في الرقعة العربية والأسلامية، وهنا برزت إشكاليات حادة خطرة في عالم القيم، في مسارات الخلخلة لها، وظهرت في الأن ذاته قيم عالمية تفرض ذاتها ثقافياً وسلوكياً، وهي في معرض الغربلة، لايمكن رفضها كلها، ولا يمكن قبولها كلها، فهناك قيم عالمية لا مجال لتجاهلها، ظهرت مع ميلاد المجتمعات المدنية، وما تولد عنها من مفردات قيمية عالمية مثل الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الأنسان وانسنة المجتمعات.

بناء على ما سبق، فقد واجهت المفكرين في عالمنا العربي والأسلامي، إشكاليات عدة في هذا الصدد، مبعثها إشكاليات خطرة بين الخلخلة التي تتعرض لها القيم الأسلامية في مهب اعاصير العولمة الفوقية، وبين تيارات فكرية تدعو إلى الأنفتاح على المجتمعات الحديثة وعدم الأنغلاق، وتيارات تنادي إلى التفريق بين العولمة الفوقية والعولمة التقنية والشعبية، التي تنادي بحقوق انسانية عادلة للبشرية، وتيارات رافضة للعولمة جملة وتفصيلا بإعتبارها صورة من الأمركة والاستكبار العالمي، في ظل تلك التصادمات الفكرية، تنوعت الأراء وتباينت،

وكل اخذ يدلو بدلوه، دون بلوة فكر عقلاني هادئ يتسم بالأتزان والأصالة في الأن ذاته، تتفق عليه المجتمعات العربية والمسلمة، او على الأقل يكون في عين الأعتبار.

وربما جاءت ولادة هذا الكتاب من مخاضات رحم هذه الإشكاليات الفكرية التي ولدتها العولمة بكافة اشكالها وتسارعاتها في عالمنا العربي والأسلامي، ومن هنا فلا بد من ولادة مشروع فكري اسلامي عروبي، يقوم بالمبادرة لحل تلك الإشكاليات في ضوء رؤية تحليلية نقدية، تسهل تقديم الأجابات للنش، لكي يحاكمها في مستقبله، ويختار ما يرتأيه من مستقبل قيمي يعتز بأصالته ويندمج مع حاضرة دون تميع وانفلات.

فهذه الكتاب بفصوله الأربعة يتخذ الاتجاه الوسطي في تلك الإشكاليات القيمية، حيث يعتز ويقدر القيم الأسلامية، في ما تحمله من بناء قيمي مهذب شامخ على مر الأجيال، وفي كل زمان ومكان، ويضع ايضاً استراتيجيات عملية لمواجهة ما يعرف بالصراع القيمي الناشئ من اخطبوط اختلاط التيارات الفكرية، فيما يمكن اعتباره فوضى فكرية وقيمية، ويناقش الكتاب ايضاً في ضوء رؤية نقدية القيم العالمية في ضوء واقعها لا الأكتفاء بعالم التنظير الحالم لها، ويضعها تحت المحك، في ضوء القضايا الدولية التي تعصف بها في عالم السياسية والأزمات بشتى انواعها، وفي الوقت ذاته يقدم الكتاب محاولة لإعادة الأذهان إلى تمثل القيم الأسلامية، في ضوء اولوياتها، وما نالها من تهميش في الذاكرة العربية والأسلامية، وفي السلوك الفردي المحض، في ضوء رؤية شرعية مؤصلة تعتز بالحضارة الأسلامية وما انبعث فيها من قيم سامية تعلي من قيم الأنسانية والتسامح الديني.

لذلك فإن المجتمع الأسلامي من ناحية شكلة وحجمه ونوع الحياة السائدة فيه، ليس صورة تاريخية ثابته، لكن وجوده وحضارته يرتكنان إلى قيم تاريخية ثابته، وحين نقول: "تاريخية" لا نعنى الا ان هذه القيم قد عرفت في تاريخ معين، والا فهي ليست من صنع التاريخ، ولا علاقة لها بالزمن في طبيعتها، انها حقيقة جاءت إلى البشرية من مصدر رباني من وراء الواقع البشري ومن وراء الوجود المادي ايضاً، والحضارة الأسلامية يمكن ان تتخذ اشكالاً متنوعة في تركيبها المادي والتشكيلي، ولكن الأصول والقيم التي تقوم عليها ثابته، لأنها هي مقومات هذه الحضارة (العبودية لله وحده، والتجمع على آصرة العقيدة فيه،

واستعلاء إنسانية الأنسان لا حيوانيته وحرمة الأسرة والخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه وتحكيم منهج الله وشريعته وحدها في شؤون هذه الخلافة، وان اشكال الحضارة الأسلامية التي تقوم على هذه الأسس الثابتة تتأثر بدرجة التقدم الصناعي والأقتصادي والعلمي، لأنها تستخدم الموجود منها فعلا في كل بيئة، ومن ثم لا بد ان تختلف اشكالها، ولا بد ان تختلف لتضمن المرونة الكافية لدخول كافة البيئات والمستويات في الأطار الأسلامي، والتكيف بالقيم والمقومات الأسلامية وهذه المرونة في الأشكال الخارجية للحضارة ليست مفروضة على العقيدة الأسلامية التي تنبثق منها تلك الحضارة انما هي من طبيعتها ولكن المرونة ليست هي التميع والفرق بينهما بعيد جدا (قطب ،١٩٨٣، ١٣٢).

ويختتم الكتاب فصوله في ضوء وضع خطوط حمراء على قضايا نقدية حاسمة في مساحات القيم العالمية، وما يختلط بها من مجريات السياسة واحداثها التي تشكل خرقاً فاضحاً في عالم القيم الأنسانية، وبالأخص فيما تبنته السياسة الأمريكية مع مطلع الألفية من توظيف نظرية صراع الحضارات في برامجها السياسة في العالم العربي والأسلامي، تحت ما يعرف بالفوضى الخلاقة وشرق اوسط جديد، وما يترتب على ذلك من محو كامل للذاكرة العربية الأسلامية واستبدالها بذاكرة مهجنة متفلته لا تمت لدينها وتاريخها بصلة.

وفي نهاية المطاف؛ أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمته من مشروع فكري يتناول القيم العالمية، فإن وفقت فبفضله تعالى عليَّ ونعمه والائه التي لاتعد ولا تحصى، وإن أخطأت فمن نفسي واستغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه، بعدد لاينتهي، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

القيم والعولمة

الفصل الأول

القيم والعولمة

مفهوم القيم لغة

وردت بمعاني متعددة في اشتقاقاتها اللغوية، اشار اليها ابن منظور في لسان العرب، إذ ترجع إلى الفعل قوم ،وأدرجها على النحو الآتي:

- نقيض الجلوس: وفعلها قوم من القيام وهو نقيض الجلوس، فهو مأخوذ من قام يقوم قوما و قياما وقومة وقامة، والقومة المرة الواحدة، ورجل قائم من رجال قوم وقيم وقيام وقوم قيل هو اسم للجمع، ونساء قيم وقائمات، (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٤٩٦).

- العزم: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ ﴾ (الجن: ١٩)، اي لما عزم وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الكهف:١٤) أي عزموا فقالوا، وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ (النساء:٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ﴾ (آل عمران:٧٥)، إلا ما دمت عليه قائما أي ملازما محافظا.

- الوقوف والثبات؛ يقال للماشي قف لي أي تحبس مكانك حتى آتيك، وكذلك قم لي بمعنى قف لي، وعليه فسروا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢٠)، قال أهل اللغة والتفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين، ومنه التوقف في الأمر وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له، ومنه الحديث الشريف المؤمن وقاف متأن، ومنه قامت الدابة إذا وقفت عن السير، وقام عندهم الحق أي ثبت ولم يبرح، ومنه قولهم أقام بالمكان هو بمعنى الثبات، ويقال قام الماء إذا ثبت متحيرا لا يجد منفذا وإذا جمد أيضا، وقامت السوق إذا نفقت ونامت إذا كسدت، وسوق قائمة نافقة، وسوق نائمة كاسدة وقاومته قواما قمت معه، والقومة ما بين الركعتين من القيام قال أبو الدقيش أصلي الغداة قومتين والمغرب ثلاث قومات وكذلك قال في الصلاة (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٤٩٧).
- والمقام موضع القدمين، والمقام والمقامة الموضع الذي تقيم فيه والمقامة بالضم الإقامة والمقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ ﴾ (الأحزاب: ١٣) أي لا موضع لكم وقرىء لا مقام لكم بالضم أي لا إقامة لكم و حسنت مستقرا و مقاما أي موضعا، وقوله عز وجل: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الدخان: ٢٥- ٢٦) قيل المقام الكريم هو المنبر وقيل المنزلة الحسنة، و قامت المرأة تنوح أي جعلت تنوح وقد يعنى به ضد القعود لأن أكثر نوائح العرب قيام، (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٤٩٨).
- الأدامة: فأقام بالمكان إقاما و إقامة و مقاما و قامة وقامة اسم كالطاعة والطاقة التهذيب أقمت إقامة فإذا أضفت حذفت الهاء كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣)، وأقام الشيء أدامه من قوله تعالى: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٣).

- وتأتي بمعنى الطريق الواضح: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الحجر: ٧٦) أراد إن مدينة قوم لوط لبطريق بين واضح.

- الاستقامة والاعتدال: يقال استقام له الأمر، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾

(فصلت:٦) أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام اعتدل واستوى، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الأحقاف: ١٣) (معنى قوله استقاموا أي عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيهﷺ وقال الأسود بن مالك، ثم استقاموا لم يشركوا به شيئا، وقال قتادة استقاموا على طاعة الله، قال كعب بن زهير فهم صرفوكم حين جزتم عن الهدى، وقال القيم الاستقامة، وفي الحديث الشريف "قل آمنت با لله ثم استقم" فسر على وجهين؛ قيل هو الاستقامة على الطاعة وقيل هو ترك الشرك أبو زيد أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه واستقام فلان بفلان أي مدحه وأثنى عليه، وقام ميزان النهار إذا انتصف، وقام قائم الظهيرة قال الراجز؛ وقام ميزان النهار فاعتدل والقوام العدل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(الإسراء: ٩) قال الزجاج

معناه للحالة التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله والإيمان برسله والعمل بطاعته، و استقام الشعر اتزن، وقوم دراه أي أزال عوجه،

- حسن القامة: ورجل قويم و قوام حسن القامة وجمعهما قوام، و قوام الرجل قامته وحسن طوله.
- المسؤولية: ويقال فلان ذو قومية على ماله وأمره وتقول هذا الأمر لا قومية له أي لا قوام له.
- القصد: و القوم القصد و تقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض.
- النظام والعماد: و قوام الأمر بالكسر نظامه وعماده، قال أبو عبيدة هو قوام أهل بيته و قيام أهل بيته وهو الذي يقيم شأنهم من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ (النساء :٥) وقال الزجاج قرئت جعل الله لكم قياما وقيما، ويقال هذا قوام الأمر وملاكه الذي يقوم به، ومعنى الآية أي التي جعلها الله لكم قياما تقيمكم فتقومون بها قياما ومن قرأ قيما فهو راجع إلى هذا والمعنى جعلها الله قيمة الأشياء فبها تقوم أموركم (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٤٩٧).
- التقدير: ودينار قائم إذا كان مثقالا سواء لا يرجح وهو عند الصيارفة ناقص حتى يرجح بشيء فيسمى ميالا، والجمع قوم وقيم وقوم السلعة واستقامها قدرها، وفي حديث عبدالله بن عباس إذا استقمت بنقد فبعت بنقد فلا بأس به، وإذا استقمت بنقد فبعته بنسيئة فلا خير فيه فهو مكروه، والقيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم تقول تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال كم قامت ناقتك أي كم بلغت، والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي قومته، وفي الحديث قالوا يا رسول الله لو قومت لنا فقال الله هو المقوم، أي لو سعرت لنا وهو من قيمة الشيء أي حددت لنا قيمتها.

☒ الأعـياء والوقوف: ويقال قامت بفلان دابته إذا كلت وأعيت فلم تسر، وقامت الدابة وقفـت، وفي الحـديث حين قام قائم الظهيرة أي قيام الشمس وقت الزوال من قولهم قامـت بـه دابته أي وقفت، والمعنى أن الشمس إذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظـل إلى أن تـزول فيحـسب الناظـر المتأمل أنها قد وقفت وهي سائرة لكن سيرا لا يظهـر لـه أثـر سـريع كما يظهر قبل الزوال وبعده، ويقال لذلك الوقوف المشاهد قام قـائم الظهيرة والقائم قائم الظهيرة، وقام قائم الظهيرة إذا قامت الشمس وعقل الظل وهو من القيام وعين قائمة ذهب بصرها وحدقتها صحيحة سالمة.

☒ الأستمـساك بالدين، والثبات على شئ: وفي الحديث؛ إن حكيم بن حزام قال بايعت رسـول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائما، قال له النبيﷺ: أما من قبلنا فلا تخر إلا قائما، أي لـسنا ندعـوك ولا نـبايعك إلا قائمـا أي على الحق، قال أبو عبيد معناه بايعت أن لا أمـوت إلا ثابـتا على الإسلام والتمسك به، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قـائم علـيه، وقـال تعـالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمـران: ١١٣) إنمـا هـو مـن المواظبة على الدين، والقائم المتمسك بدينه وقال الفراء أمة قائمة أي متمسكة بدينها، وقـوله عــز وجــل: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ﴾ (آل عمـران:٧٥) أي مواظـبا ملازمـا، ومـنه قـيل في الكـلام للخلـيفة هو القائم بالأمر، وكـذلك فـلان قـائم بكـذا إذا كـان حافظا له متمسكا به، قال ابن بري والقائم على الـشيء الـثابت علـيه وعلـيه قـوله تعالى:﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمـران: ١١٣)، أي مواظـبة علـى الـدين ثابـتة، يقال قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به،

ومنه الحديث "استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فإن لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم أي دوموا لهم في الطاعة واثبتوا عليها ما داموا على الدين وثبتوا على الإسلام، يقال قام واستقام كما يقال أجاب واستجاب والاستقامة الإقامة على الإسلام ودليله في حديث آخر "سيليكم أمراء تقشعر منهم الجلود وتشمئز منهم القلوب قالوا يا رسول الله ﷺ: أفلا نقاتلهم قال: لا ما أقاموا الصلاة، ومنه الحديث "لو لم تكله لقام لكم" أي دام وثبت والحديث الآخر "لو تركته ما زال قائماً" والحديث الآخر "ما زال يقيم لها أدمها" (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٠).

- وتفيد معانٍ متنوعة منها قائم السيف مقبضه، وما سوى ذلك فهو قائمة نحو قائمة الخوان والسرير والدابة وقوائم الخوان ونحوها، والقائمة واحدة قوائم الدواب، وقوائم الدابة أربعها، والقوام داء يأخذ الغنم في قوائمها و قومت الغنم أصابها ذلك فقامت، وقاموا بهم جاؤوهم بأعدادهم وأقرانهم وأطاقوهم، وفلان لا يقوم بهذا الأمر أي لا يطيق عليه، وإذا لم يطق الإنسان شيئا قيل ما قام به، والقامة عند العرب البكرة التي يستقى بها الماء من البئر، (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠١)، وقال عدي بن زيد وإني لابن سادات كرام منهم سدت، وإني لابن قامات كرام عنهم قمت، أراد بالقامات الذين يقومون بالأمور والأحداث، وقيم الأمر مقيمه وأمر قيم مستقيم، وفي الحديث "أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك قيم" أي مستقيم حسن، وفي الحديث "ذلك الدين القيم" أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق، وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة البينة: ٣) أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان، وقوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة البينة: ٥) أي دين الأمة القيمة بالحق، ويجوز أن يكون دين الملة المستقيمة، قال الجوهري إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية، والقيم السيد وسائس الأمر، وقيم القوم الذي يقومهم ويسوس أمرهم، وفي الحديث الشريف "ما أفلح قوم قيمتهم امرأة"، وقيم المرأة زوجها

في بعض اللغات، وفي الحديث الشريف "حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد قيم المرأة زوجها" لأنه قوم بأمرها وما تحتاج إليه (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٢).

وقام بأمر كذا و قام الرجل على المرأة؛ مانها وإنه لقوام عليها مائن لها، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ (النساء: ٣٤): وليس يراد ههنا والله أعلم؛ القيام الذي هو المثول والتنصب وضد القعود، إنما هو من قولهم قمت بأمرك، فكأنه والله أعلم الرجال متكفلون بأمور النساء معنيون بشؤونهن، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (المائدة: ٦) أي إذا هممتم بالصلاة وتوجهتم إليها بالعناية وكنتم غير متطهرين فافعلوا كذا لا بد من هذا الشرط لأن كل من كان على طهر وأراد الصلاة لم يلزمه غسل شيء من أعضائه لا مرتبا ولا مخيرا فيه فيصير هذا كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ (المائدة: ٦) وقال هذا أعني قوله إذا قمتم إلى الصلاة فافعلوا كذا وهو يريد إذا قمتم ولستم على طهارة فحذف ذلك للدلالة عليه وهو أحد الاختصارات التي في القرآن وهو كثير جدا، وأقام الصلاة إقامة وإقاما فإقامة على العوض وإقاما بغير عوض، وفي التنزيل وإقام الصلاة، وقالوا قيم المسجد، والملة القيمة المعتدلة والأمة القيمة كذلك وفي التنزيل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (البينة:٥) أي الأمة القيمة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١ ﴾ (الأنعام: ١٦١)، وقال اللحياني وقد قرىء دينا قيما أي مستقيما، وقيل القيم هو المستقيم والقيم مصدر كالصغر والكبر، وقيل قيما من قولك قام قيما، وقام كان في الأصل قوم أو قوم

فصار قام فاعتل قيم، ويقال رمح قويم وقوام قويم أي مستقيم وقيل إن القيم مصدر بمعنى الاستقامة (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) والقيام والقيوم والقيام والمدبر واحد وقال الزجاج: القيوم والقيام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم، وقال الفراء صورة القيوم من الفعل الفيعول وصورة القيام الفيعال وهما جميعا مدح، وقال مجاهد القيوم القائم على كل شيء، وقال قتادة: القيوم القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم، وقال الكلبي القيوم الذي لا بديء له، وقال أبو عبيدة القيوم القائم على الأشياء، و القيوم أي القائم بأمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بمستقرهم ومستودعهم وفي حديث الدعاء "ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض" وفي رواية قيم وفي أخرى قيوم، ومعناها القيام بأمور الخلق وتدبير العالم في جميع أحواله، والقيوم من أسماء الله المعدودة وهو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به والقوام من العيش ما يقيمك وفي حديث المسألة "أو لذي فقر مدقع حتى يصيب قواما من عيش" أي ما يقوم بحاجته الضرورية، وقوام العيش عماده الذي يقوم به، وقوام الجسم تمامه، وقوام كل شيء ما استقام به، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، ويقال ما زلت أقاوم فلانا في هذا الأمر أي أنازله، وفي الحديث "من جالسه أو قاومه في حاجة صابره" قال ابن الأثير: قاومه فاعله من القيام أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٤).

وفي الحديث تسوية الصف من إقامة الصلاة أي من تمامها وكمالها، قال فأما قوله قد قامت الصلاة فمعناه قام أهلها أو حان قيامهم، وفي حديث عمر في العين القائمة ثلث الدية هي الباقية في موضعها صحيحة وإنما ذهب نظرها وإبصارها، وفي حديث أبي الدرداء "رب قائم مشكور له ونائم مغفور له" أي رب متهجد يستغفر لأخيه النائم فيشكر له فعله، ويغفر للنائم بدعائه، وفلان أقوم كلاما من فلان أي أعدل كلاما، والقوم الجماعة من الرجال

والنساء جميعاً، وقيل هو للرجال خاصة دون النساء، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ أي رجال من رجال ولا نساء من نساء فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولا نساء من نساء، وقوم كل رجل شيعته وعشيرته، وروي عن أبي العباس النفر والقوم والرهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء، وفي الحديث إن نساني الشيطان شيئا من صلاتي فليسبح القوم وليصفق النساء قال ابن الأثير القوم في الأصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء، ولذلك قابلهن به وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها، القوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه، وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء والقوم يذكر ويؤنث لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٦٦)، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٠٥) إنما أنث على معنى كذبت جماعة قوم نوح، وقال المرسلين وإن كانوا كذبوا نوحا وحده لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله؛ فقد كذب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٩)، قال الزجاج قيل عنى بالقوم هنا الأنبياء عليهم السلام الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي في وقت مبعثهم، وقيل عنى به من آمن من أصحاب النبي وأتباعه وقيل يعنى به الملائكة فجعل القوم من الملائكة (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٥).

والمقام و المقامة المجلس ومقامات الناس مجالسهم، ومقامات الناس مجالسهم أيضا والمقامة والمقام الموضع الذي تقوم فيه والمقامة السادة وكل ما أوجعك من جسدك فقد قام

بـك، ويوم القيامة يوم البعث، وفي التهذيب القيامة يوم البعث يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم (ابن منظور، د.ت، ١٢/ ٥٠٦).

واشـار (عـبد الله، ٢٠٠٣، ٨٥) إلى ان القـيمة مـصطلح حـديث ظهـر في اللغـات العربية في أواخر القرن التاسع عشر، ثم شاع استعماله في القرن العشرين، واستخدم في تلك اللغـات في الـبداية للدلالـة علـى المقابـل المـادي المقدر ثمناً للشيء، ويورد ابن منظور معنى مطابقاً لهذا عندما يقول القيمة مفرد القيم، وتعني ثمن الشيء الذي يقدر به، وأعطت المعاجم الحديـثة للقـيمة بعـداً جديـداً عندما أوضحت أن الشيء قد يكون له قيمة معنوية، ولهذا يقال قـيمة الإنـسان فيما يحسه، فأصل المصطلح مرتبط بالأشياء المادية، ثم تطور المعنى وأصبحت القيمة ذات دلالات معنوية غير محسوسة.

ولم تـرد كلمـة القـيمة في القـرآن الكـريم، ولكن وردت فيه كلمات أخرى في آيات عديـدة مـشتقة مـن الفعـل قـوم، وهو الذي انشقت منه كلمة القيمة ومن تلك الآيات قول الحـق سـبحانه وتعـالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ هـو الـدين المـستقيم الـذي لا اعـوجاج فـيه، والـباحث الـذي يتقـصى في القرآن الكريم معاني سائر الكلمات المشتقة من الفعـل قـوم، يجـد أنهـا واسـعة الدلالـة، وهـذا ما جعل احد الباحثين المعاصرين يستنتج أن القيمة لها معان كثيرة منها: التصميم والمحافظة والإصلاح والعدل.

والمتتـبع لمـا سـبق يـدرك أن مـادة «قوم» التي يشكّل منها المصطلح الذي نحن بصدد دراسـته تـدور حـول مـصدر القيمة ومسلكها وامتدادها وأثرها وصفاتها، فالمصدر: هو الله القـيوم، والمـسلك: طـريق مستقيم لا عوج فيه، والامتداد: في الحياة والكون كله، والأثر: في نفس الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض، والذي ميّزه بحسن التركيب وحسن التعديل في الهيـئة، وأمـره بحـسن الـتدبير والتسيير في التعامل مع المخلوقات المسخرة له عبادة وطاعة للخالـق، وصفات الثبات والدوام والإطلاق وعدم التغيير التي تكتسبها القيم التي زرعها الله في الإنسان حين نفخ فيه من روحه.

http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/2.htm

مفهوم القيم اصطلاحاً

تنوعت المفاهيم حول القيمة لدى المفكرين، ويمكن تحديد وجهات نظرهم على النحو الآتي:

- حالة عقلية ووجدانية، يمكن تعرفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات، هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العملي، وتدفع الحالة العقلية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطاً إنسانياً ـ يتسق فيه الفكر والقول والفعل ـ يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية.
- مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية، يتشربها الفرد من انفعاله، وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة؛ حتى يتجسد في السياقات الفرد السلوكية.
- تقدير معنوي لشئ محسوس أو مفهوم مجرد يولد في المرء رغبة في ذلك الشئ أو المفهوم أو رغبة عنه، ويعتمد على عوامل ذاتية وأخرى خارجية.
- معايير عقلية للفن والعلم والأخلاق للحكم أو التفضيلات.
- هي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمعايير اجتماعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، أما في الإسلام فهي حكم يصدره الإنسان المسلم على شيء ما مهتدياً بمعايير شرعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من منطلق القرآن والسنة، ومن هنا فإن العقيدة الإسلامية منبع القيم وهي ثابتة بثباتها، أما في الغرب فهي مرتبطة بالواقع و متغيرة بتغيره.

- محددات ترسم وجهة السلوك وتحدد إمكانات التفاعل فهي مكمن قوة وشدة السلوك السوي، وهي تطبع الإنسان على عناصر الحضارة، فالحضارة لا تنطلق إلا وتحددها مجموعة من القيم.
- إيمان وقناعات الإنسان بأهداف مقدسة (أو مشروعة) تعطيه معايير للحكم على الأشياء والأفعال بالحسن والقبح أو بالأمر والنهي.
- مجموعة من المبادئ والأهداف والمعايير المقبولة من الفرد ويتمسك بها المجتمع.
- هناك من يعرفها بأنها كل ما يعتبر جديراً بإهتمام الفرد وعنايته لأعتبارات اجتماعية واقتصادية او نفسية.
- احكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه.
- معتقدات عما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه، وهي انعكاس لثقافة المجتمع، كما يمكن ان تصبح هدفاً لديه.
- المبادئ الجماعية التي يؤمن بها المجتمع ويعتز بها ويحرص عليها، ولذلك فهي ذات صفة جماعية بعكس الاتجاهات التي لها صفة شخصية.
- وتعرف القيمة من وجهة نظر انثروبولوجية تظهر في كون أن لكل ثقافة مجموعة من القيم، وهذه يتقبلها لاناس دون سؤال او شك، وتكون مدعومة بعواطف الناس الذين يتقبلونها ويتقيدون بها، وتكون هذه القيم من مركبات الشخصية عند الأنسان، والقيم في اية ثقافة تحدد اهداف تلك الثقافة وتقوم بحفز الناس للسعي نحو تحقيق تلك الأهداف.
- وتعرف القيمة فلسفياً في ضوء الفكر المثالي بأن هناك عالمين احدهما مادي والأخر معنوي (سماوي) وان الأنسان يستمد قيمه من عالم السماء، وان قيم الأنسان مطلقة مثل الحق والخير والجمال، في حين يراها الفكر الواقعي بأنها تعتمد على فكرة مؤداها ان القيم حقيقة موجودة في عالمنا المادي، وان كل شئ فيه قيمته، وان الأنسان يستطيع ان يكتشف القيم بإستخدام الأسلوب العلمي، اما الفكر البراجماتي فلا

يـؤمن بعـدم وجـود قـيم مطلقـة، فالأحكام حول القيم قابلة للتغير، وبالتالي فالقيم والأخلاق عموماً نسبية.

- وتعـرف القـيمة مـن وجهة نظر العلوم الاجتماعية، فإن القيم والمعتقدات والمثاليات انمـا هي عواطف ومشاعر يتمسك بها الفرد والجماعة، والمظاهر القيمية تتواجد فعلا كحقيقة علمية، فالقيم يمكن تمييزها وتحديدها ووصلها وتصنيفها ومقارنتها بإستخدام طـرق علمـية، ومن هذا المنظور بالتحديد يمكن النظر إلى المعلومات القيمية على انها المعلومات الفعلية للعلوم الاجتماعية.
- وتعـرف بأنهـا معيار الحكم على الأشياء، او نمط من انماط الحياة، وقد تكون مفهوماً واسـعاً او محـدوداً او اعـتقاداً قوياً او ضعيفاً؛ هدفاً او وسيلة، صفة شخصية او ميزة اجتماعـية، طـريقة في الـتفكير او ممارسـة وعمـلاً وتطبـيقاً، وقد تكون القيمة طريقة تنظيمـية او اداريـة، مـوقفاً ومـبدأ يتقبله الفرد ويتمسك به المجتمع، والقيمة قد تكون مرغوباً فيها او مرغوباً عنها او ما شابه ذلك.
- ويمكـن تعـريف القـيم بأنهـا معـايير يلتـزمها الأفراد والمجتمعات في سلوكهم، تشكل محـددات سـلوكهم، ومـصدر الأحكـام والتفـضيلات، وتـشكل منظومة القـناعات بالغايات العليا في حياتهم.
- وهـناك مـن يعـرفها بأنهـا عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بدرجات معينة من التفـضيل أو عـدم التفـضيل للموضـوعات أو الأشـياء، وذلـك في ضوء تقويمه لهذه الموضـوعات، وتتم العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته، وبين ممثلي الإطـار الحـضاري الـذي يعـيش فـيه و يكتـسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف، وتعرف القيم الإنسانية بأنها اعتقاد لا يشترط البعض فيه أن يكون حقيقة، فهي رؤى عن الخير والشر يمنحها الإنسان لنفسه، دون سند سوى رغبته في الإيمان بها.

وفي دراسـة مفهـوم القـيم يتـبادر إلى الـذهن مفاهـيم متـنوعة، مرتبطة بالقيم ومنها مفهـوم نـسق القـيم (مـنظومة القـيم)، الـذي انبثق من تصور مؤداه أنه لا يمكن دراسة قيمة

معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، فهناك بناء أو تنظيم شامل لقيم الفرد، تمثل كل قيمة في هذا النسق عنصرا من عناصره، وتتفاعل هذه العناصر معا لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد، ويتضح من ذلك أن نسق القيم هو عبارة عن مجموعة القيم التي تنتظم في نسق متساند بنائياً متبايناً وظيفيا داخل إطار ينظمها ويشملها في تدرج خاص (الأنصاري، ٢٠٠٥).

ويدخل في هذا الإطار مفردات متنوعة منها مفهوم نسقي القيم المتصور والواقعي، حيث يمكن تقسيم نسق القيم إلى نوعين **الأول** هو نسق القيم المتصور ويقصد به تصور الفرد لمدى أهمية كل قيمة من القيم بالنسبة له **والثاني** هو نسق القيم الواقعي ويقصد به مدى تطابق هذه القيم المتصورة مع السلوك الفعلي للفرد، وهناك ما يعرف بالمفارقة القيمية وهي مدى التفاوت بين النسقين القيميين المتصور والواقعي.

ويثير هذا تساؤل مفاده، ما ماهية الفرق بين نسق القيم وتغير القيم، ويمكن تحديد ذلك في الآتي (الأنصاري، ٢٠٠٥):

أ- تعرف عملية اكتساب القيم بأنها "العملية التي يتبنى الفرد من خلالها مجموعة من القيم" مقابل التخلي عن قيم أخرى، والقيم التي يتبناها الفرد يحدث لها نوع من التداخل والانتظام في بناء نسق القيم.

ب- أما تغير القيم فيقصد به تحرك وضع القيمة على هذا المتصل. (التبني- التخلي) داخل النسق القيمي. فالاكتساب إذن يعني مسألة الوجود أو عدم الوجود، أما التغير فهو في الدرجة التي يتحدد بها هذا الوجود، ويتضمن إعادة توزيع الفرد لقيمه سواء على المستوى الفردي أم الجماعي.

وتجدر الإشارة إلى أن هاتين العمليتين (الاكتساب والتغير) غير منفصلتين تماما، بل يحدثان معا في وقت واحد و من الصعب الفصل التام بينهما.

تصنيف منظومة القيم:

تتنوع في رؤى الباحثين منظومة القيم، ولهم في ذلك تصنيفات عدة منها: القيم الدينية، القيم الخلقية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم الثقافية، القيم العلمية، القيم الاقتصادية، والقيم السياسية.

وقد استحدثت ثقافة المعلومات قيما أخلاقية ذات طابع مغاير تماما لما سبقها وحددها (الأنصاري، ٢٠٠٥) بالآتي:

- قيم عصر المعلومات info-ethics .
- أخلاقيات الإعلام media-ethics.
- أخلاقيات الإنترنت internet-ethics.

مقاربات بين القيم ومفاهيم سيكولوجية متنوعة:

ولكي تستبين طبيعة القيم، فإنه من المفيد تعرف العلاقة بينها وبين مصطلحات أخرى هي: الأخلاق والأهداف والاتجاهات، والميل والاهتمامات والسمات والدوافع والسلوك.

ففي مجال المقاربة بين القيم والأخلاق، فإن مصطلح الأخلاق يستخدم للدلالة على القيم، فهما يتطابقان في حالات كثيرة، وعندما يقال: هذه ذات أخلاق فاضلة، فإن ذلك يعني أن لديها قيماً طيبة بيد أن المصطلحين لا يتطابقان، فعندما يقال أن للأسماك قيمة غذائية عالية، فإنه لا يفهم أنها على خلق، لأن الأسماك لا توصف بأنها أخلاقية أو لا أخلاقية ولهذا قال قدامى الفلاسفة: أن علم القيم يتضمن علم الأخلاق وعلم الجمال وعلى هذا تكون الأخلاق اقل شمولية من القيم (عبد الله، ٢٠٠٣).

أما في مجال العلاقة بين القيم والاتجاهات، فإن الاتجاه لها طابع نزوعي، وتدل على مدى اهتمام الفرد بموضوع معين، فالموظف الذي لديه اتجاه إيجابي نحو التدريب يميل إلى تنمية مهاراته، ويبدي رغبة في الاشتراك في دورات تدريبية، فالاتجاهات مؤشر على وجود القيم، لكن المصطلحين يفترقان في بعض النقاط، فالقيم ذات صفة عمومية، بخلاف

الاتجاهات التي ترتبط بمواقف معينة، فالصدق قيمة عامة لدى من يتصف به، وأما الاتجاه فيتعلق بسلوك الفرد الصادق في موقف معين، وهناك فرق آخر بينهما، فقد توجد القيمة، ولكن لا يظهر الاتجاه المتعلق بها في دنيا الواقع، فقد يمتنع من لديه قيمة الصدق عن قوله إذا ما كان ذلك يهدد أمنه، ويسبب له القلق والأذى، ومن هنا فإن الاتجاه اقرب إلى عالم المحسوسات من القيم، لأن الاتجاه مرتبط بموقف الفرد في موقف محدد (عبد الله، ٢٠٠٣).

ومن هنا فإن الاتجاه هو في الواقع مجموعة مواقف للإنسان في الحياة تكشف عن وجهة حياته، فمثلاً قد يكون لدى المرء موقف محدد حول قضية، وموقف آخر حول قضية أخرى، وموقف ثالث حول قضية ثالثة، ولو اجتمعت هذه المواقف وانتظمت إلى بعضها بحيث تكون هذه المواقف الثلاثة متقاربة متناغمة، فإن هذا يشكل نظاماً من المواقف يمكن تسميتها بالاتجاه (أي الاتجاه العام لحياتك).

http://www.almodarresi.com/books/708/hk0rsqlu.htm

ويمكن تحديد الفروق بين الاتجاه والقيمة على النحو الآتي:

١. يعد الاتجاه منظومة من المواقف، و القيمة هي في الواقع منظومة من الاتجاهات، ومن هنا فإن الاتجاه أضيق مدى من القيمة التي هي أوسع مدى، فالاتجاه قد يكون مثلاً في السياسة أو في الاجتماع أو في الدراسة أو في أي حقل آخر من حقول الحياة، بينما القيمة هي تلك الحالة التي تحدّد اتجاهات الإنسان المختلفة. وفي مختلف إبعاد الحياة وحقولها.

٢. الاتجاه حالة سلوكية فهو منظومة من المواقف، بينما القيمة حالة نفسية، إيديولوجية، عقلية، فهي في حقيقتها إيمان بمنظومة من الأهداف والغايات وبالتالي فإن هي روح الاتجاه، فإذا سألت عن شخص لماذا اتجاهك السياسي معتدل على سبيل المثال؟ فإن إجابته تتشكل بأنني أؤمن بقيمة العدل، فالاتجاه السياسي حالة سلوكية تصنعه قيم الإنسان، فالاتجاه سلوك بينما القيمة محدد للسلوك وموجه للسلوك. ومن هنا يقول البعض؛ بأن القيم محددات لاتجاهات الفرد، وهي عبارة عن تجريدات وتعميمات

تتّضح من خلال تعبير الأفراد عن اتجاهاتهم حيال موضوعات محددة، ومن هنا قد يتدخل في صنع القيم نوع من التمثيل المعرفي وإضفاء القدسية، بينما لا تحتاج الاتجاهات إلى ذلك.

ويرى بعض الباحثين أن هناك سلماً يبدأ بالمعتقدات وينتهي بالشخصية؛ ويمر عبر الاتجاهات والقيم، حيث يمكن النظر إلى الاتجاهات والقيم في ضوء مستويات مختلفة تمتد من الخصوصية إلى العمومية، فالمستوى الأول يتمثل في المعتقدات والثاني في الاتجاهات ثم المستوى الثالث حيث توجد القيم ثم المستوى الرابع والأخير يتمثل في الشخصية.

ومن هنا فإن المعتقدات هي خلفية القيم في الأغلب، أما الاتجاهات فإنها تأتي رتبة بعد القيم، حيث أن القيم هي التي تفرز الاتجاهات، أما الشخصية، فهي عبارة عن مجموعة عوامل منها تأثير القيم والمعتقدات.

ويفرّق البعض بين القيمة والاتجاه، بأن القيمة غاية نهائية والاتجاه حالة وسيلية، وبالرغم من صحة هذه المفارقة، إذ أن القيمة حالة مطلقة، بينما الاتجاه أضيق منها مدى، وهناك من يرى بأن الفرق الأهم بين القيمة والاتجاه يتشكل في ان الاتجاه حالة عملية قد تنشأ من قيم الإنسان، وقد تنشأ من دافع مادي محض كالإ كراه، بينما القيمة هي حال نظرية نفسيّة عقلانية وروحية توجه الإنسان إلى وجهة معينة، فالاتجاه حركة محتواها قد تكون القيم وقد تكون دافعاً آخر.

ويمكن تلخيص الفروق بين القيمة والاتجاه بالآتي:

١. القيمة هي المكونة الأساسية للاتجاهات وتمثل منظومة من الاتجاهات.
٢. الاتجاهات أكثر قابلية للتغيير من القيم بسبب الثبات النسبي للقيم.
٣. قد تمثل القيمة الواحدة اتجاهات متعدّدة فقد تعني قيمة العمل التنافس أو التعاون، فالقيمة باعتبارها محتوى؛ قد لا تفرز اتجاهاً معيناً، بل قد تتقولب ضمن اتجاه يختلف من فرد إلى آخر حسب تفسيره للقيمة، وحسب تحديده للمصداقية التي يجب أن تتجسد فيها القيمة.

وهناك من الباحثين من يتناول الفروق القيمة والاتجاه في ظل محاور أخرى هي على النحو الآتي:

١. الاتجاه منظومة من القيم في موضوع واحد.
٢. تتركز القيمة على الأشياء والمواقف، ويتركز الاتجاه حول موقف او موضوع محدد.
٣. تعد القيمة معياراً، بينما الاتجاه ليس كذلك، لأن الاتجاه حركة، أما القيمة فهي معيار للحركة.
٤. عـدد القـيم اقـل مـن عدد الاتجاهات. لان مصدر القيم عقائد الشخص التي تتصل بغايات السلوك، بينما مصدر الاتجاه التعامل مع الأشياء والمواقف.
٥. القيم تؤثر أكثر من الاتجاه في النسق المعرفي للشخص وفي المركزية.
٦. مفهوم القيم أكثر ديناميكية من الاتجاه، حيث ترتبط بالدافعية بصورة مباشرة.
٧. القيم ترتبط بتحقيق الذات أكثر من الاتجاه.

ومـما سـبق يـلا حظ بأن هذه الفوارق كلها تعابير عن حقيقة واحدة وهي أن القيمة روح الاتجـاه والاتجاه إنما هو الجانب الفعلي للقيمة والقيمة من هنا أكثر شمولية وثباتاً تأثيراً علـى الشخـصية وعلـى معـرفة الإنـسان، والقيمة بناءً على ذلك تمثل الغاية، وتكون معياراً للمواقف العديدة.

أمـا في مجال العلاقة بين القيم والأهداف، فإن الأهداف في حقيقتها مصطلح يتقاطع مـع القيم، ذلك أن القيم أهداف يسعى الفرد لاكتسابها، والمؤسسات التربوية تصمم المناهج الدراسـية، وتقـوم بتطويـرها من حين لأخر، حتى تكسب الطلاب اهدافاً تنسجم مع سياسة الدولـة التربـوية، ويـصنف علمـاء التربية الأهداف في ثلاثة مجالات في المجال المعرفي، والمجال المهـاري، والمجـال الوجدانـي، فالتربية تهدف إلى تزويد الطلاب بمعارف عن أنفسهم، والبيئة الـتي يعيـشون فـيها، ومع أن المعرفة تدخل في نسيج القيم، إلا أنها ليست هي القيم، والشئ ذاتـه ينطـبق علـى الأهـداف في الجانـب المهـاري، وأما المجال الوجداني فهو محجوز بالكامل للقـيم، فكل مؤسسة تربوية ترغب في غرس قيم التعاون، والتعلم الذاتي، واحترام الآخرين

في جميع من تشرف على تعليمهم، أو تدريبهم، وبهذا يكون مصطلح الأهداف أكثر شمولاً من مصطلح القيم (عبد الله، ٢٠٠٣) .

أما في مجال العلاقة بين القيم والحاجات، فإن (ماسلو) يرى أن مفهوم القيمة مساو لمفهوم الحاجة، كما يرى البعض أن للقيمة أساساً بيولوجياً فهي تقوم على الحاجات الأساسية، فلا يمكن أن توجد قيمة لدى الفرد إلا إذا كانت لديه حاجة معينة يسعى نحو تحقيقها أو إشباعها.

ويقسم بعض الباحثين القيم بالنسبة إلى الحاجات إلى نوعين:

- قيم أولية: تتعلق هذه القيمة بالحاجات البيولوجية.
- قيم ثانوية: وهي تختص بالجانب الأخلاقي والاجتماعي.

ويشير اغلب الباحثين إلى أن القيمة أسمى من الحاجة، وأرقى منها، كالصيام فهناك حاجة لدى الصائم إلى الطعام، ولكنه يحبس نفسه عن الطعام، طواعية لقيمة سامية تتشكل في الطاعة لله تعالى، وهي أسمى وارفع من الحاجة ولا مجال للمقارنة بينهما.

وهناك من يرى أن هناك اختلافاً بين المفهومين، فالقيم في نظره عبارة عن تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع، وان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات، في حين يعتبر ان الحاجات تولد لدى جميع الكائنات سواءً الإنسان أو الحيوان، في حين أن القيم يقتصر وجودها على الإنسان.

والجدير بالذكر هنا أن مخ الإنسان هو المخ الوحيد الذي فيه خلايا تقوم بعملية الإضفاء (أو التمثيل).

في حين يرى البعض أن الحاجة تتحول في دماغ الإنسان إلى حاجة روحيّة، أو إلى نوع من التمثيل المعرفي لكي تتحول إلى درجة القيم، ومن هنا فقد تكون الحاجة احد مصادر تولد القيم، ولكنها لن تكون عين القيمة؛ وليست المصدر الأوحد، بل أن المصدر الأهم في تولد القيم هو إحساس الإنسان بالكرامة.

وخلاصة القول أن القيمة أرقى واسمي من الحاجة، وهناك نوع ارتباط بهما، في تولد القيم، ولكن تبقى القيم في هرم اعلي من الحاجة، كما تشير إلى ذلك اغلب الدراسات النفسية التي بحثت مفهوم القيمة والحاجة وماهية الارتباط والتمايز بينهما.

أما فيما يتعلق بالقيمة والدافع، فإن الدافع يمكن اعتباره توتر داخلي يحرك الإنسان نحو هدف معين، بينما القيمة، هي ذلك التصور القائم خلف هذا التوتر، فالقيمة تصبح مصدراً للدفع وللحفز، ويمكن أن تكون الحاجة مصدراً للدفع، ومن هنا فالدافع هو حالة توتر أو استعداد داخلي يسهم في توجيه السلوك نحو غاية أو هدف معين، أما القيمة فهي عبارة عن التصور القائم خلف هذا الدافع، ولكن البعض يرى أن القيمة هي ذاتها الدافع، بل قد يكون الدافع قيمة، ويختلط كلاهما في الأخر، لأن الدافع حالة شعورية تدفع الكائن الحي نحو هدف معين، وانه أحد المحددات الأساسية للسلوك، ولكن القيمة نوع (من الدافع) مطلق ويتسم بالوجوب، فالدافع يأتي نتيجة القيمة (وليس هو القيمة)، فمن يؤمن بالرحمة (كقيمة) يجد في ذاته دافعاً نحو تطبيقها، والعلاقة بين الدافع والقيمة هي العلاقة بين الجوع وبين الإحساس به الذي يجعله دافعاً نحو الطعام، وقد لا يكون الدافع قيمة، بل شهوة، كالدافع نحو السرقة، وقد لا تدفع القيمة صاحبها، كما إذا كانت القيمة عنده ضعيفة، فقد يكون هناك من يؤمن بالمساواة ولكن لا يندفع نحو تطبيقها في سلوكه.

أما العلاقة بين القيمة والسمة، فيمكن تحديدها من خلال تعريف السمة إذ أنها ملامح شخصية الإنسان من حيث العموم، وقد صنف (جيل فورد ـ guil ford) ملامح الشخصية إلى سبع فئات من السمات تشكل من حيث المجموع شخصية الإنسان وهي: الاتجاه، والميول، والمزاج، والحاجات، والاستعدادات، بناء الجسم، وظائف الجسم.

وحيث أن من ملامح شخصية الإنسان واتجاهاته وميوله تتصل بالقيمة، حيث أن القيمة تحدد اتجاه الفرد وميوله؛ فإن علاقة القيمة وسمة الشخصية هي علاقة الجزء بالكلّ، فالقيمة أكثر تحديداً ونوعية من السمة، وتشتمل عادة على جانب إيجابي وآخر سلبي، كما تتسم القيم بإمكانية تغييرها، وهكذا يرى البعض أن تغيير السمة أصعب من تغيير الشخصية، فحينما يتحدث المعالجون السلوكيون عن آثار العلاج السلوكي على العادات

والحاجات والقيم والسلوك والاتجاهات، فإنهم نادراً ما يتحدثون عن آثار هذا العلاج على السمات، لان السمة ذات مكونات شتّى، فتغييرها أصعب من تغيير القيمة التي هي واحدة من مكونات السمة فقط.

وهكذا قد تكون السمة نابعة من القيمة، وإذا زادت علاقة الإنسان بمنظومة قيم معينة، فان تلك القيم تحيط بحياته وتتحول إلى صبغة عامة لحياته، وسمة عامة لشخصيته، بحيث تؤثر على سائر ملامح شخصيته وسماته، مثلاً قد يكون الشخص بطبعه سريع التأثر، شديد الغضب، ولكن بقيمه الأناة والحلم، يصبح رجلاً حليماً، ويخضع مزاجه لعقله في التروي، وقيمه في الالتزام.

ومن هنا فإن السمة حالة فطريّة طبيعية لا واعية في الأغلب، بينما القيمة حالة عقلائية واعية، وهذا فرق جوهري بينهما.

أما العلاقة بين القيمة والمعتقد، فهناك ارتباط بينهما، كما أشارت بعض الدراسات إلى ذلك في ظل المحاور الآتية:

- تمييز الحق عن الباطل.
- تحديد ما هو حسن عن ما هو قبيح.
- الترغيب في بعض الأفعال والتحذير من البعض الآخر.

وهكذا تشترك القيمة والمعتقد في هذه المهمّات الثلاث، إلا أن القيمة هي واحدة من مظاهر الاعتقاد، ذلك أن أهم خصيصة للمعتقد هي بيان الحق والباطل، بينما أهم فائدة للقيمة بيان ما ينبغي فعله أو ينبغي تركه، وهذه الفائدة مترتبة على الخصيصة، فالقيم تتمثل في مجموعة من المعتقدات الشائعة بين أعضاء المجتمع الواحد، وبخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح، وما هو مرغوب أو غير مرغوب، بمعنى آخر هي عبارة عن نظام معقد يتضمن أحكاماً تقليدية إيجابية أو سلبية تبدأ من القبول إلى الرفض، ذات طابع فكري ومزاحي نحو الأشياء وموضوعات الحياة المختلفة وما يتعلق بالأشخاص، وتعكس القيم منظومة الأهداف والاهتمامات والحاجات، والنظام الاجتماعي والثقافي الذي تنشأ فيه، لما

تتضمنه من نواحي دينية واقتصادية وعلمية.ومن هنا يفرق بعضهم بين القيم والمعتقدات على أساس أن القيم تشير إلى الحسن مقابل السيء.

أما المعتقدات فتشير إلى الحقيقة مقابل الزيف، فالمعارف في القيم تتميز عن باقي المعارف الأخرى في ميزة التقييم، حيث يختار الشخص في ضوء تقييمه ما هو مفضل أو غير مفضل بالنسبة إليه، كما أنها ليست مرادفة للمعتقدات أو الأهداف ولكنها تدور حول المعتقدات أو الأهداف التي يتبناها الفرد؛ ويمكن تصورها في ضوء ما هو مقبول أو مرفوض أي نظام المقبول، المرفوض، ومن هنا فإن القيمة هي الإيمان بالهدف وما يتبع هذا الإيمان من سلوكات، بينما المعتقد هو مطلق الإيمان بشيء فالقيمة اخصّ (أضيق نطاقاً) من المعتقد.

أما العلاقة بين القيمة والسلوك، فيمكن تحديدها من خلال تعريف السلوك وهو مجمل مواقف الإنسان واتجاهاته وتجلّيات شخصيته العملية، و خلاف في أهمية القيم بالنسبة للسلوك، باعتبار أن القيم تؤثر في السلوك، وفي هذا الصدد فقد قسمت القيم إلى ثلاث فئات رئيسية:

- القيم العاملة: حيث تؤثر على نوع من السلوك التفضيلي، أي السلوك الذي يرغب فيه الإنسان ويختاره بين مجموعة من الفرص المتاحة.
- القيم المتصورة أو الرمزية: وهي التي تتبيّن وتتكشف من خلال التصورات المثالية.
- القيم الموضوعية: وتظهر في المواقف تجاه الأشياء وتجاه الأشخاص.

وهناك من يرى أن القيمة مفهوم أو تصور للأشياء المرغوبة، ويشعر الفرد من خلاله بالإلزام أو الدافع لاختيار مهنة معينة دون أخرى، فهي معايير لإصدار أحكام الفرد على مدى مناسبة السلوك، كما أنها تحدّد توجهات الفرد نحو الفعل، وقد تكون واضحة يستدلّ عليها من خلال التعبير اللفظي للفرد، وقد تكون ضمنية أو كامنة فيستدل عليها من خلال سلوك الفرد وأفعاله، ومن هنا: ارتبطت دراسة القيم بدارسة السلوك، باعتبار أن السلوك يكشف عن قيم الفرد؛ ولكن البعض قد اخذ على هذه النظرية بأن السلوك لا يعبّر تعبيراً دقيقاً عن القيم، فالتعريف الملائم للقيم يجب أن يقوم على أساس نظري تجريبي في آن واحد،

حيث النظر إليها على أنها بناء افتراضي؛ ويستدل عليها من السلوك اللفظي؛ وتشير إلى تصور الفرد للعالم الذي يحيط به وعلاقته به، بالإضافة إلى أن هناك متغيرات أخرى يمكن أن تؤثر في هذا السلوك فتجعله متسقاً أو غير متسق مع القيمة التي يتبنّاها.

وفي الوقت ذاته هناك من يعتبر أن السلوك قد لا يعكس القيم لان الإنسان قد يسلك طريقاً يرى انه يخالف لقيمه التي يتبنّاها ويؤمن بها، إما بسبب ضغط أو بسبب إهمال لقيمة أو بأي سبب آخر، فالسلوك عادة يكون معبراً عن قيم الإنسان، ولكن في بعض الأحيان، قد لا يكون كذلك خصوصاً عند الذين تحصل عندهم حالة فصام بين قيمهم وبين سلوكهم، كما أن الكثير من الأنماط السلوكية التي يصدرها الفرد، وهو بصدد التعامل مع المواقف الاجتماعية المختلفة، إنما تقف كدالة لما حددته الثقافة على انه أسلوب مرغوب فيه أكثر من أنها دالة لما يتمثله الأفراد من قيم يرونها جديدة باهتمامهم، فالسلوك محصلة للتفاعل بين اتجاهين أحدهما نحو الموضوع والثاني نحو القيم، فالسلوك لا يتحدد فقط بواسطة القيم، ولكن إلى جانب ذلك توجد الحاجات والظروف الموقفية،

من هنا يعرف البعض القيم: بأنها مفهوم يدل على مجموعة من الاتجاهات المعيارية المركزية لدى الفرد في المواقف الاجتماعية فتحدد له أهدافه العامة في الحياة والتي تتّضح من خلال سلوكه العملي واللفظي.

ويشير رولوماي إلى أن كل سلوك إنساني يتألف من أجزاء دقيقة. تتراكم في النهاية لتكون سلوكاً اجتماعياً متطوراً، وبمقدار ما يتصف به المرء من حصافة تتأتى فعاله وأعماله محمودة الجانب من حيث التقييم الاجتماعي. وان قيم الإنسان لخير هاد له في تسديد خطاه بلوغاً لأهداف يرتضيها فتحقق له ذاته ولتسهم في ترصين حياة مجتمعه.

http://www.balagh.com/youth/m10oj6bs.htm

وحدد البعض سبع محددات للقيم هي على النحو الآتي:

- ☒ إنها محك نحكم بمقتضاه ونحدد على أساسه ما هو مرغوب فيه أو مفضل في موقف توجد فيه عدة بدائل.

- تتحدّد من خلالها أهداف معيّنة أو غايات ووسائل لتحقيق هذه الأهداف أو الغايات.
- الحكم سلباً أو إيجاباً على مظاهر معينة من الخبرة في ضوء عملية التقييم التي يقوم بها الفرد.
- التعبير عن هذه البدائل في ظلّ بدائل متعددة أمام الفرد، وذلك حتى يمكن الكشف عن البدائل عن خاصية الانتقائية التي تتميز بها القيم.
- تأخذ هذه البدائل احد أشكال التعبير الو جوبي مثل: يجب أن، أو ينبغي أن حيث يكتشف ذلك خاصية الوجوب أو الإلزام التي تتسم بها القيم.
- يختلف وزن القيمة من فرد لآخر بقدر احتكام هؤلاء الأفراد إلى هذه القيمة في المواقف المختلفة.
- في ضوء ذلك تمثّل القيم ذات الأهمية بالنسبة إلى الفرد وزناً نسبياً اكبر في نسق القيم وتمثل الأقل أهمية وزناً نسبياً اقلّ في هذا النسق.

أهمية القيم والتوعية بها:

لم تظهر قديماً فلسفة تشكك في أهمية القيم في حياة الأفراد والجماعات سوى الفلسفة السفسطائية التي كانت تؤمن بأن الفرد معيار الأخلاق، فكل ما يناسبه يعد ذا قيمة، وقد وصف هؤلاء بأنهم ملاحدة القيم، لأنهم أنكروا وجودها، ولو سئل السفسطائي المخلص لفلسفته، أيهما أفضل الفلسفة التي تؤمن بها أو تلك التي يؤمن بها غيرك؟ فإنه لا يجيب، لأنه لو فضل فلسفة لاعترف بوجود معايير للتفاضل، وهذا لا يؤمن به.

وفي العصر الحديث توجد جماعات فوضوية يسيرون على طريق السفسطائية، بيد أنهم لا يشكلون تياراً فكرياً فاعلاً، وهكذا فإن لكل مجتمع قيمة التي يسترشد بها، ولكل فلسفة قيم تبشر بها، وتدافع عنها، ولعل احداً لا يجهل مدى حرص الغربيين على نشر الديمقراطية التي يؤمنون بها، وحرصهم على نشر الديمقراطية في جميع دول العالم نابع من قناعتهم بأنها خير من سائر الفلسفات والمعتقدات الدينية التي يؤمن بها غيرهم.

وحرصت الدعوة الاسلامية منذ بداياتها على الربط بين اصول العقيدة، وعلى رأسها التوحيد، وبين القيم الانسانية والاجتماعية التي تشكل طاقة التعمير والنهضة، وهذه بالطبع اشارة بالغة الدلالة على عناية الاسلام واهتمامه بمنظومة القيم كرافعة تحمل اسمى معاني الاعلاء لشأن الانسان، وكشبكة امان تحفظ المجتمعات من العبث والانهيار.

وفي أكثر من ستمئة اشارة قرآنية الى مصطلح القيم ترتكز الى مدلولات من ابرزها الوزن والثبات والاستقامة والمسؤولية، ويضع القرآن الكريم منظومة القيم في اطار من القداسة، ويعتبرها الطاقة الكبرى لترقية الانسان والمجتمع والعالم وضبط حركته على الارض، والترقية هنا تشمل ضمير الفرد وضمير الجماعة ايضا، كما تشمل ايضا دوافع العمل والحركة لبناء الذات وادامة العمارة الانسانية وتحصينها من الانحراف، وبهذا تتميز منظومة القيم الاسلامية عن غيرها من المنظومات القيمية البشرية، بالثبات، فالقيمة ثابتة بذاتها ومتحركة في اطار الفهم والتطبيق، وهي مطلقة ايضا والهية المصدر، لكن ذلك لا يتعارض مع امكانية التقائها مع قيم الآخرين الفاضلة، او امتدادها في الزمان والمكان، فمحمد عليه السلام جاء ليتمم مكارم الاخلاق، ورسالة الاسلام، وكذلك حضارته، امتداد لرسالات الانبياء، وللحضارات البشرية حتى وقتنا الحاضر.

والناظر المتأمل لحجم المسافة بين مبادئ الاسلام وقيمه وبين واقع المسلمين تبدو شاسعة، فالاسلام الذي يشجع على الالتزام بقيم العمل والانتاج والعلم والعدل والحرية، يقابل في دنيا المسلمين وواقعهم بفهم اقل وتطبيق ادنى يكاد يصل الى انحسار مثل هذه القيم لديهم، لكن ذلك لا يعني انه ليس في مشروع انساني وقيمي يمكن ان يعمم ويقدم للعالم، على العكس من ذلك، فمقابل القيم السائدة في العالم اليوم والدعوات التي تنطلق من مهادات ثقافاته، ابتداء من التبشير بالانسنة الى نعي العقل الى انهيار الاسرة.. الخ، ثمة ما يشير الى حاجة العالم اليوم لقيم جديدة، هي نفسها التي يتضمنها ديننا الحنيف.

ولا يمكن لاي مجتمع ان يسير للامام بدون حصانة قيمية، ولعل الاصابات والتحولات التي طرأت على منظومة قيمنا من اهم اسباب ازماتنا، والمسألة لا تتعلق بشيوع ثقافة الغش والاحتيال والكذب وغيرها من القيم الفاسدة على صعيد الفرد، وانما تتجاوزها

الى القيم الكبرى التي اصابت المجتمع ايضا، من غياب لقيم التعاون والعدل والتكافل والحب والحرية وغير ذلك، وقد يكون انبهارنا بقيم الآخر، وافتقادنا للارادة المفترض ان تتوجه نحو فهم الاسلام وتطبيقه في الواقع، وغياب عناصر التحصين من فتنة التكنولوجيا، بعضا من الاسباب التي باعدت بيننا وبين منظومة قيمنا وخصوصيتنا، لكن الاهم هو الاعتراف بأنه لا يمكن لعالمنا ان ينهض الا في ظل القيم التي يؤمن بها وتستند الى مرجعيتنا الأسلامية.

لا شك أن هناك ارتباط بين أخلاقيات الأمم وقيمها، لأن كل أمة تستمد أخلاقها من قيمها، وتنبع القيم من عقيدتها، ومن هنا فإفساد الأخلاق يجعل الأمة على خطر عظيم، ولكن عندما يصل النخر إلى قيمها؛ فإنها تكون على شفا هاوية.

ولا شك أن الأمة الإسلامية تعرضت خلال القرون الماضية لحرب في ما يخص قيمها، وفكرها الدعوي، وإثارة الشبهات حوله، ولكن تلك الحرب اشتدد أوجها في أيامنا هذه، مع حراك العولمة الفوقية، إذ تم تجاوز الخطوط الحمراء والثوابت المترسخة، حيث لم يعد أعداء الأمة يرضون بالحراف الظاهر مع إنكار ـ ولو يسير ـ في المجتمع أو القلب، بل تستهدف حملاتهم الشعواء تحويل المجتمعات العربية والإسلامية إلى مجتمعات إباحية؛ وتشكيلها في ظل تلك الرؤية التي يطلق عليها ألفاظ خادعة من قبيل الانفتاح والحرية ، ومن هنا فقد أصبحت القيم في وضع يُرثى له من الاختلال والاضطراب، خاصة مع تصادم الخطابين الإسلامي والعلماني، ويصف بعض المحللين الحالة الراهنة بمرحلة تشويه الوعي، وهذه الوضعية القيمية المختلة؛ يراد تطويرها للوصول بها إلى مرحلة تغييب الوعي، حيث تحل منظومة قيمية علمانية متكاملة محل المنظومة المختلة القائمة.

http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/index.HTM

ومشكلة القيم في العالم العربي والإسلامي، نابع من واقع التلقائية العشوائية في التعاطي معها دونما وعي في أبعادها وانعكاساتها، مما يجعل عملية الانسحاب منها أو خلخلتها مهمة غاية من السهولة تحت مؤثرات العولمة الفوقية وكافة وسائل الغزو الفكري، ومن هنا تبرز أهمية التوعية بها، لأنها تتعلق بالفرد وواقع الحياة اليومية التي يتعامل معها من خلال التفضيلات التي تصدر عنه، والأنشطة التي يقوم بها، ومن هنا تبرز أهمية وضوح

القيم لدى الأفراد، وانعكاسها في الالتزام القلبي والسلوكي، فمن هنا تتبدى أهمية تبصير كل فرد بما لديه من قيم، ليطور سلوكه نحو الأحسن.

وتعلب الأسرة الدور الأساس في تربية النشء على القيم، لأن الطفل بنفسة لا يعرف السيىء من الجيد ولا القبح من الجمال، وليس لديه أي علم عن القيم الأخلاقية ولا يستطيع ادراكها، فهو يحصل على احتياجاته الأولية من الأم اولاً، فهو يتعلم كل سلوكيات الأم في المرحلة الأولى ثم يتعلم القيم التي لدى الأب والأخ والأخت وبقية افراد العائلة، وعليه فدور الوالدين دور مؤثر جداً على رشد ونمو الطفل الذهني والعقلي والعاطفي والأجتماعي، فالأطفال يتعلمون القيم الأخلاقيثة والمعنوية من مشاهدتهم لسلوك واعمال الوالدين وبقية الأطراف.

وعندما يصلون إلى مرحلة البلوغ يقيمون ويحكمون قرارتهم على اساس المعايير التي قبلوها من قبل بالأستفادة من الضوابط العقلية والمنطقية وما يروه حسناً يثبتونه في انفسهم، وتصبح الخصائل والصفات المقبولة في هذه المرحلة جزءاً من شخصيتهم، واحياناً تبقى معهم طوال العمر، وكذلك الصفات والخصائل الغير لائقة لو اتخذت صورة التعود عليها فليس من السهل تركها وتجد الفرد رغم علمه وعدم قناعته لسلوك ما وبأنه مضر وسيء الا انه اعتاد عليه ولا يستطيع تركه، ومن هنا فإن الوظيفتان الأساسيتان للوالدين والمرتبطتان بهذا الموضوع هما:

- ☒ الألتزام عملياً بالقيم الأخلاقية وخاصة في مرحلة التقليد والتلقين للطفل كي يكونا مؤثرين.
- ☒ معرفة المعايير الصحيحة الأخلاقية لاطفالهما حتى مراحل البلوغ.

ويمكن تحقيق هاتين الوظيفتين من خلال الآتي:

١. التطبيق العملي للمعايير الأخلاقية؛ أي التزام الوالدين بهذه المعايير في محيط العائلة، بحيث يكون هذا الألتزام جاد وكلي لا جزئي، لأن الطفل يراعي ويلتزم بها ايضاً وهو يتأمل والديه، عبر المحاكاة عندما يجد جميع افراد العائلة ملتزمين بها، كأن يعلم

الطفل مذمة الغيبة والنميمة، فيجب ان لا يشاهد هذا التصرف ممن حوله، ونسمية بأسماء اخرى لتبرير الخطأ والتغطية عليه، مثل الفضفضة والشكوى وغيرها.

٢. عدم انتظار النتيجة عن طريق النصح والأرشاد فقط، بحيث نتوقع ان يتخلق الفرد بالأخلاق والصفات المنشودة، لأن الأطفال يلتزمون بهذا الصفات عندما لا يجدون من حولهم يتصرف خلاف ذلك.

أما القيم والواقع الأعلامي فهذا مما يزيد الوضع سوءاً، لما تلعبه المنظومة الأعلامية في العالم العربي الأسلامي، من احداث مؤثرات سلبية للغاية في عالم القيم، في مسارات استبدالها بقيم تغريبية لا تمت للقيم العربية والأسلامية بصلة، حيث حتى هذه اللحظة لم تتمكن المنظومة الأعلامية من تقديم ادوارها الإيجابية في مسارات القيم والتنشئة الاجتماعية الإيجابية بالشكل المنشود، وتشكيل رأي عام يعلي الفضيلة ويحترمها، إذ لا يخفى اعتبارات ما يفترض ان يكون في مجال العلاقة بين المنظومة الاعلامية ومنظومة القيم الاجتماعية والاخلاقية من حيث الفاعلية والتداخل وخدمة كل منهما للاخر إيجابياً، على اعتبار ان وسائل الاعلام في اي مجتمع هي الوسائل الناقلة لانماط التفكير والمعرفة والقيم والسلوك وبالتالي فهي تساهم في خلق جانب كبير من الثقافة الاجتماعية وطريقة حياة اي شعب او مجموعة سكانية معينة، فمن هنا يعد من المهام الاعلامية تدعيم المعايير الاجتماعية من خلال تسليط الضوء على مساحات العقوبة التي يتعرض لها الخارجين عن هذه المعايير، في المجتمع الذي يحترم الفضيلة ويقدرها، حتى يتشكل رأي عام سلبي تجاههم، ينفر من الأحتذاء بهم في السلوك، ويعلي القيمة، ويحط من شأن هؤلاء الخارجين عن الأعتبارات الأخلاقية في المجتمع.

والواقع المأساوي ان الأعلام يعلي من قيمة الخارجين عن الأعتبارات الأخلاقية في المجتمع، إذ هناك فجوة بين الأعلام ومنظومة القيم الأخلاقية، إذ يتم تعلية من يسقط تلك الأعتبارات الأخلاقية بدلاً من فضحها اعلامياً للحفاظ على القيم الاجتماعية، إذ يعد من الواجبات الاعلامية توظيف البرامج الأعلامية لغاية تعليم افراد المجتمع والجيل الناشىء

المهـارات والقـيم والمعـتقدات التي تحث عليه التربية الأسلامية ومنظومة القيم العربية، وهذه احـدى وظائـف الأعـلام، وتـتم هـذه العملـية من خلال مراقبة البيئة الاجتماعية وتزويدها بالمعلـومات والتنبـيه بالمخاطـر، خلـق المـثل الاجتماعـي وذلـك بتقديم النماذج الإيجابية في الامـور العامـة والـثقافة والفـنون، وفي توحـيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشتركة للقيم والخبرات الجماعـية، وتحقـيق التواصـل الاجتماعـي مـن خـلال التعبير عن الثقافة السائدة والكـشف عـن الـثقافات الفـرعية ودعـم القـيم الـشائعة، فهـناك علاقة سببية بين التعرض لوسـائل الاعـلام والسلوك البشري، لكن اثار هذه الوسائل عديدة ومختلفة الشدة، قد تكون قصيرة الامد او طويلة الامد، ظاهرة او مستترة، قوية او ضعيفة، ويمكن ان تؤثر في الاراء او القيم ومستوى المعلومات والمهارات والذوق والسلوك.

ويقول رولوماي أن الانسان المعاصر قد فقد، إلى حد ما، القدرة على توكيد أية قيمة والاعـتقاد بأهميـتها. وأيـاً كان الأمر، فليس المهم في الأمر أهمية القيمة، ولا كم هي مناسبة نظـرياً كمـا هـي مدونة على الورق، بل ان ما يحتاجه المرء هو قابلية متوفرة لديه قبلاً، وأعني بـذلك أن لديه القدرة على التقييم. ان تخلي الانسان عن قيمه يفقده معنى وجوده في مجتمعه وفي الحـياة، وان مـا تحـض عليه التعاليم السماوية هو أن يكون الفرد هو ذاته أينما كان وأن يجتهد في صنع القيم الإيجابية وأن يعمل على توكيدها، وعند فقدان هذه القيم يكون الانسان قـد فقـد هويـته الذاتـية، إذ أن الحكـم الخلقي واتخاذ القرار يجب أن يكونا متأصلين في قدرة الانـسان على التقييم، وبمقدار ما يحمل المرء في نفسه وفي تكوينه من قوة وأصالة فإنه يتمكن من تحديد معالم الواقع الذي يعيشه والذي فيه تنعكس القيـم، فمن واقعه هذا يتلقى المسببات الأساسـية الـتي تتـيح لـه نـسج مقومات القيم الراسخة، ومن خلال ذلك يستطيع أن يتعلم حـدود مـسؤوليته الأخلاقـية والاجتماعـية؛ وبممارسـة الفـرد نشاطه فإنه يتسنى له أن يختار طـريقة تحديـد وتأكـيد ما يسعى إليه من أهداف تحكم وعيه الإدراكي، مما يؤهله في المآل من استبانة السبل المفضية إلى كيفية بناء القيم الإيجابية وتعزيز مكانتها.

http://www.balagh.com/youth/m10oj6bs.htm

خصائص القيم

وللقيم مجموعة من الخصائص منها أنها (عبد الله، ٢٠٠٣، ٨٥):

- مجردة أي غير محسوسة؛ فالعدل في حد ذاته لا نلمسه، ولا نشاهده، ولكن لكل قيمة مؤشرات عليها، ولهذا يمكن للإنسان العادي أن يصف موقفاً معيناً بأنه ينطوي على عدل، وآخر ينطوي على ظلم.

- تكتسب من البيئة التي تحيط بالفرد، وهذا ما بينه حديث الرسول ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" فالحديث الشريف يبين أن الفطرة وهي قيمة عظيمة ركبها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، قد تفسد إذا كانت البيئة الأسرية غير صالحة، فينتقل الإنسان من الإسلام إلى الكفر ويبين حديث شريف آخر أن المرء يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويعملنا الرسول محمد ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" وهذه أدلة كافية تظهر أن المرء يغير قيمه، وأنها لا تبقى على حالها، لكن مما ينبغي التنبيه إليه أن تغير القيم عند الأفراد لا يعني أن القيم في حد ذاتها متغيرة، فالقيم الإسلامية ربانية المصدر، فهي بهذا ثابتة ابد الدهر، وما يتغير هو مدى التزام الأفراد بها.

- القيم موجهات لسلوك المجتمع الذي تسود فيه، وهي تعمل بصورة متكاملة، فقيمة التعاون في مجتمع إسلامي ترتبط بالعبادة وبسائر القيم الإسلامية الأخرى، ولهذا أمر المسلم بالتعاون مع الآخرين على البر والتقوى، ونهي عن التعاون مع غيره على ارتكاب المعاصي، ومفهوم التعاون في المجتمع الذي يؤمن بالفلسفة البرجماتية يتصرف على نحو مغاير؛ فهو مستعد للتعاون مع أفراد من مجتمعه لتحقيق ما يفيد ذلك المجتمع، حتى لو كان ذلك على حساب المجتمعات الأخرى، فالقيم منظومة متكاملة، ولا تعمل كل منها بصورة منعزلة عن غيرها من القيم التي تسود في ذلك المجتمع، وإن حدث ذلك كان خروجاً على القاعدة.

☒ نظراً لأن حاجات المجتمع من المجتمعات ليست على نفس الدرجة من الأهمية، فإن القيم ذات طبيعة متدرجة، فهناك قيم أساسية، وقيم فرعية تنضوي تحتها، وحتى القيم الإنسانية، فإنها قد لا تكون على نفس الدرجة من الأهمية، ولهذا كان من الضروري معرفة التنظيم الهرمي للقيم التي تسود في مجتمع معين، أو مؤسسة معينة، أو لدى فرد معين.

إشكالية القيم والعولمة

بعد انهيار كتلة الاتحاد السوفيتي ظهرت العولمة، وهي نظام سياسي واقتصادي وثقافي تقودة الولايات المتحدة الأمريكية، ويرى احد الأساتذة الإدارة في جامعة كامبردج أن العولمة لها مفهومان: فالعولمة بالمفهوم الأول ليست سوى توسيع للنظام الرأسمالي الأمريكي، فالولايات المتحدة التي نجحت في استيعاب المهاجرين إليها تتطلع إلى استيعاب دول العالم في النظام الجديد، أما العولمة بمفهومها الثاني، فترى أن التقارب بين الأمم يجب أن يقوم على الحوار، وعلى توثيق الصلات بين منظمات حقوق الإنسان في مختلف دول العالم، ويتفق باحث هندي مع هذه الرؤية عندما يرى أن هناك نوعين من العولمة؛ فالعولمة الفوقية أو التسلطية، وهي الأقوى، والعولمة الشعبية وهذه صوتها خافت، ويمثله أنصار المحافظة على البيئة، ومناهضو العولمة التسلطية، ومنظمات حقوق الإنسان.

وتسعى العولمة الفوقية في المجال السياسي لفرض الديمقراطية الغربية، وتعدد الأحزاب السياسة، وسحق كل دولة تقدم تصوراً مختلفاً عنها في الحياة، وفي المجال الاقتصادي تدعو على فتح أسواق الدول أمام البضائع والشركات القادمة من الخارج، فهي تنظر إلى العالم وكأنه قرية واحدة، ولا بد أن يتعامل سكان القرية مع بعضهم على هذا الأساس.

أما المجال الثقافي فتقوم على سيطرة الشركات الغربية على المعلومات وشبكات الاتصال، مما يستتبع فرض ثقافة واحدة هي الثقافة الأمريكية على سكان العالم أو ما يسمونه بالقرية العالمية، وقد بدأ الأوربيون وغيرهم باستشعار الخطر الذي يتهدد ثقافاتهم.

ولكي يتكون لدى القارئ اتجاه ملائم نحو العولمة، فإنه من المفيد التعرف على توزيع السكان والثروات في القرية العالمية، التي يتحدثون عنها، والجدول التالي يبين النسب المئوية للتوزيع السكاني في هذه القرية العالمية.

جدول رقم (٢)

التوزيع السكاني في القرية العالمية

م	اسم الحي	النسبة المئوية للسكان
١	الحي الأسيوي	٥٧,٥٪
٢	الحي الأفريقي	١٣٪
٣	الحي الأوروبي	١٢,٥٪
٤	حي أمريكا الشمالية	٦,٥٪
٥	حي أمريكا اللاتينية	١٠٪
٦	أماكن أخرى	٠,٥٪

يظهر من هذا الجدول أن أكثر من نصف سكان القرية العالمية يسكنون في الحي الأسيوي، والذين يسكنون في حي أمريكا الشمالية اقل من (٧٪) من مجموع سكان القرية، ومع ذلك فهم يريدون أن تكون السيادة لهم، فالذين يريدون التحكم في شؤون القرية أقلية سكانية، يضاف إلى ذلك أن نصف ثروات القرية يملكها اقل من (١٥٪) ومع أن سكان القرية ينتجون من المواد الغذائية ما يكفيهم جميعاً، إلا أن نصفهم يفتقرون إلى التغذية المناسبة، وفيما يتعلق بالمساكن التي يعيشون فيها فإن (٦٪) من السكان يعيشون في بيوت فخمة، بينما يفتقر أكثر من (٦٠٪) إلى بيوت ملائمة، وبخاصة أولئك الذي يسكنون في الحي الأسيوي، والحي الأفريقي وحي أمريكا اللاتينية، فالبيوت تفتقر إلى ادني حد إجراءات السلامة، بل إن اعداداً كبيرة من السكان لا تمتلك مساكن، فإذا كان هذا هو واقع القرية

العالمية فما القيم التي ينبغي أن تسودها؟ وهل يسمح لسكان كل حي بالاحتفاظ بقيمهم، أم أنه سيفرض عليهم جميعاً قيم واحدة؟

لذلك فإن العولمة التي تسعى إلى تصدير بضائع الشركات الغربية تسعى في الوقت ذاته إلى تصدير قيمها، فيما الموقف الذي ينبغي على المؤسسات التربوية اتخاذها، لقد شعرت دول العالم برياح التغيير القادمة من الغرب، ولكن الاحتياطات التي قامت بها الحكومات والأفراد متفاوتة، ففي أوروبا تواجه العولمة بمقاومة من بعض المنظمات الشعبية، ومقاومتها اقل من ذلك بكثير في العالم العربي، ويذكر احد الباحثين الخليجيين أن حكومات وشعوب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي شعرت برياح العولمة، ويرى فيها البعض اعصاراً مدوياً، بينما يراها آخرون سبيلاً للتخلص من البيوقراطية، وسبيلاً لرفع مستوى الأداء (عبد الله، ٢٠٠٣).

ويعتقد المحللون لظاهرة العولمة انه ينتج عنها تواترات وصراعات في القيم، فمن خصائصها انتقال القيم الغربية، ومحاولة فرضها على سكان القرية العالمية، وهذا يعني محاولة القوى المهيمنة عليها إجبار المسلمين على التخلي عن قيمه، وتبني القيم الجديدة، ولا يتوقف التحذير من الآثار الضارة للعولمة على المفكرين المسلمين، بل ان بعض الغربيين يحذر من تلك الآثار، وإن كان ذلك راجعاً لأسباب مختلفة، ويرى احد أساتذة التربية في جامعة بوسطن انه في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن التعليم والتصنيع، تبدو الحاجة ملحة للحديث عن القيم الأخلاقية، فنحن بحاجة إلى الكائن البشري بأكمله، ولسنا بحاجة إلى إنسان آلي، فالتنمية الاقتصادية لا يعقل أن تتم بمعزل عن الجانب الإنساني، فالإنسان هو الهدف من التنمية، ولهذا فإن قيمة التي يؤمن بها تتقدم من حيث الأهمية على العوامل المادية، فالتقدم في المجالات المادية والعلمية والصناعية يتحول إلى قوة مدمرة ما لم يلتزم بالضوابط الأخلاقية، فالقوة المادية وحدها لا تكفي، وما انهيار الاتحاد السوفيتي عنا ببعيد، ومن هنا كانت المسؤوليات على المؤسسات التعليمية والتدريبية في البلاد العربية والإسلامية عظيمة، فهي لا تستطيع أن تدير ظهرها للتحديات التي فرضتها عليها العولمة في مجال القيم، نظرا لما تعرفه البشرية جمعاء في زمن العولمة والثورة الرقمية من تطورات عميقة تطال منظومة

القيم الاجتماعية هادفة إلى صياغة نماذج سلوكية قيمية بمضامين و معاني تختزل وتغتال المرجعية النهائية للإنسان.

من هذا المنطلق يبدو أن الحاجة إلى فهم و سبر أغوار هذه التحولات تحتاج إلى تظافر كل الجهود والإمكانيات للإفادة من البحوث العلمية التي تعكف على البحث في مجال القيم، تكون الخلفية الأساسية لمشاريع العمل الدعوي؛ تحققا بمعنى الآية الكريمة: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ﴾ (يوسف: ١٠٨) فالدعوة إلى الله هي عيش مع الله وفي الآن نفسه عيش مع الناس، لا تكفي الأذواق الإيمانية واللطائف العرفانية لتغيير الأنماط العقلية والسلوكية للمجتمع وتكسب الفرد المسلم قيم الإسلام الهادية، بل إن هذا العمل يحتاج إلى مؤسسات عمل تمتح من معطيات البحوث الاجتماعية العلمية التي تجلي واقع الناس من منظور علمي سليم، يخاطب الناس من منطلق واقعهم وازماته، في ضوء معرفة علمية واعية بالمشكلات وجذورها، ويمتلك مفردات التفكير ووسائل التعبير المؤثرة في ذهنية المخاطب، بحيث تشكل حفز له على الألتزام بالقيم، والأعتداد بها، وعدم المساومة بها تحت مؤثرات الحداثة ومفرداتها في التسيب والتفلت، ومفردات التغريب، ومؤثرات العولمة الفوقية في الأنسلاخ في دائرة الأقوى وتقليد الغالب، والتنكر للقيم؛لان الامم اذا سقطت اخلاقها سقطوا.

ومن الجدير بالذكر هنا، التنبية إلى انه قامت في أمريكا مراكز بحوث متطورة ومؤسسات عملها رصد النفسية العربية المسلمة وبناء مقومات رضوخ للاحتلال للتأثير على مسار التنمية البشرية مثل تعطيل قدرات العقل وضرب ملكاته ودفعه إلى التخلف وإفراغ أجيالنا من القيم الإنسانية وتحويل مجتمعاتنا إلى مسخ حضاري هم سدنته، والعمل على تشكيل رأي عام غربي معاد للأمة العربية تستخدم فيه صناعة الصورة وصناعة الخبر وصناعة السينما . كما غصّت المناهج الغربية بالمغالطات والأكاذيب التي تناولت الإسلام بالتشويه والتحريف، بحيث تم اختزال الأسلام في ضوء ما يعرف بالأرهاب جملة وتفصيلا، مما اعطى مبرراً ومسوغاً للهجوم على الأسلام وقيمة، ليل نهار، وتسارعت تيارات الحداثة

والانخراط في العالمية الاقتصادية والثقافية، بعيداً عن القيود الدينية، إلى مد اخطبوطها، في خلخلة القيم والدعوة إلى نبذها، والتحلي بالقيم الحداثية في التحرر والأنفتاح المخل، واصبح هنا صراعا مدوياً بين التيارات الداعية إلى التمسك بأصول الهوية الإسلامية، والتيارات المتفلتة من القيم، وتيارات تقف على المم الوسط بينهما من خلال الانفتاح الموزون على التجارب العالية الإيجابية، والتي تستوعبها مقاصد الشريعة الإسلامية، بما تكفله من رقي حضاري بمختلف أشكاله؛ اعتماداً على مبدأ الاستخلاف، وما زالت الغلبة لصوت الصراع، وما زال التيار الأوسط في صوت خافت لا يكاد يسمع صوته، في ظل معمة الصراعات، إذ يجب ان يتشكل في الأمة العربية والأسلامية رأي عام قوي يعلي صوت التيار الأوسط بهدوئة وعقلانيته، بعيدا عن الشد والرخي بين تيار العلمنة من جهة والتيار الأسلامي المحافظ من جهة اخرى، وما بينهما من صراعات تاريخية.

ويمكن القول هنا؛ بأن اهمية تشكيل رأي عام للتيار القيمي الأوسط، يبررها، خطورة ما شكله الصراع الدامي بين العلمنة والتيار الأسلامي المحافظ على مدخل التربية والتعليم، ونقل المعركة فيه، وما يشكل ذلك من خطر تربوي لا تحمد عقباه في المؤسسات التربوية من خلال تطبيقاتها التربوية، إذ ما يزال اثر التدافع بينهما، منعكس على المدخل التربوي، إذ من الواجب بمكان هنا، تشكيل تصورت الأجيال في ضوء التيار الوسطي، بدلا من التدافع بين تيار العلمنة والخطاب الأسلامي المحافظ، وانعكاسات ذلك على قناعات الأجيال وأفكارهم على المدى المتوسط والبعيد، ولا ينبغي ان يغفل هنا ما يحمله ملف المخططين للسيطرة على العالم الإسلامي في مجال السيطرة على التربية والتعليم، بدأ بما سمي بإصلاح معاهد التعليم التقليدية كالأزهر والقرويين، وتغيير مناهج التعليم بفصل العلوم الشرعية عن العلوم التجريبية، وإنشاء معاهد التعليم الغربية،.ونشر البعثات الأجنبية، ودعم المراكز الثقافية الغربية أو المتغربة، لغاية تعميم ثقافة التغريب، ومعطيات الغزو الفكري، ومن ذلك خلخلة البنية القيمية عند النشء، وتحقيق غاية استعمارية كبرى مفادها نشأة جيل مقطوع الصلة بدينه، مفتون بالغرب وتياراته الثقافية المختلفة التي تتفق في شيء واحد، هو تحللها من الالتزام بالدين، وكل ذلك نتيجة طبيعية للفصل بين العلم والأخلاق، الذي نجد

آثاره السلبية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية على المستوى العلمي، كما نرى ونشاهد في عصرنا الحاضر، لأن تلك التيارات التغريبية المتفلتة لا تستهدف فقط إسقاط القيم الأخلاقية، وإنما تتعداه إلى إسقاط الأصول الأخلاقية الدينية، ومعلوم أن الأصول الأخلاقية هي جملة المعايير والقيم الرئيسة التي تتولد منها باقي المعايير والقيم السلوكية تَوَلُّد الفرع من الأصل، فلما كانت العقلانية الانتظامية تسعى إلى إنشاء بنية أخلاقية جديدة للإنسان، فقد لزم أن تقوم الأصول الاصطناعية الأولى التي تضعها لهذه البنية الأخلاقية الجديدة، مقام الأصول المعنوية الروحية المبثوثة بالخلقة في الإنسان؛ أي أن تقوم مقام ما يسميه الدين بمعاني الفطرة الإنسانية، وعلى هذا فإن عقلانية الانتظام تطلب في نهاية المطاف تغيير هذه الفطرة التي خُلق عليها الإنسان.

http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/2.htm

ومن هنا تبرز اهيمة التوعية بتلك التيارات التغريبية، وفي مقدمتها تيار العولمة الفوقية، وما يحدثه من خلخة مطلقة للقيم، ليس لها سقف ينتهي اليه، في مساحات تفلت لا محدودة.

فالعولمة باختصار شديد (مركزة العالم في حضارة واحدة) أي إعادة إنتاج العالم وفقاً لثقافة واحدة هي ثقافة الجهة صاحبة المشروع وهي تعرف بأنها تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفاً واحداً، وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة) ظاهرة العولمة (بركات، ٢٠٠٢).

وكان مصطلح العولمة قد أعلنه الرئيس الامريكي بوش الأب أثناء حرب الخليج الثانية ١٩٩١ وأداته الرئيسة منظمة التجارة العالمية W.T.O التي أنشئت في كانون الثاني ١٩٩٥ ولا تقتصر مهمتها على مبدأ حرية التجارة بل أضيف لبراجمها الحرية الثقافية أي حرية الإنسان في اي مكان في تعاطي مايريده ويرغبه من ألوان الثقافة دون حظر رقابي من حكومته. والهدف تحويل العالم كله الى النموذج الاميركي دون احساس بالدونية الحرب الباردة الثقافية (سوندرز، ٢٠٠٢).

فالعولمة مرادفة لمفهوم الهيمنة التي يمكن تفسيرها بتفرد النظام الرأسمالي كقوة جبارة بقيادة العالم مصحوباً بثورة علمية تكنولوجية ومعلوماتية واتصالية مصدرها تلك القوة الى

حـد كبير، فهي باختصار هيمنة اميركا على وسائط نقل المعرفة وسعيها لتنميط العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً من أجل إحكام الهيمنة.

وفي ظـل العـولمة وادواهـا الـتي هـي موضع إشكاليات، تظهر عدة مواقف ازاءها، منها: التسليم بها كقدر محتوم او الرفض التام لكافة معطياتها وآخرها الموقف الوسط الذي يدعـو للتمسك بالهـوية مـع التطويـر والتغيير بما يتمشى مع الخصوصية الحضارية والتراث والقـيم الدينية دون اندماج مطلق وتابع للدول المهيمنة، أي النظر لها بموضوعية والافادة من معطـياتها الإيجابـية، وربمـا يـشكل الرأي الوسطي، موضع قبول اكثر لدى العقلاء في الأمم، دون التسليم المطلق لها او الرفض المطلق.

فالعـولمة في جوهـرها اتجاه متعاظم نحو تخطي الحدود، أي التعامل دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسية أو الانتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة، ودون حاجة لإجراءات حكومية. ويظهر ذلك بشكل واضح في الشركات متعددة الجنسيات، وفي انتقال رأس المال الذي يظهر بوضـوح في اسـتخدام بطاقـات الائـتمان، وللعـولمة شـقين أولهما: شق واقعي أو مادي جاء نتـيجة الـتطور العلمـي والتكنولوجـي الهائـل ومـا تـرتب عليه من ثورة في وسائل الاتصال والإعـلام وانتـشار المحطـات الفضائية التي تبث براجمها لكل انحاء الكوكب ولكل البشر على هـذا الكـوكب دون أن تحـدها حدود؛ وثورة المعلومات الهائلة التي تجسدها شبكة الإنترنت، وهـذا الجانـب مـن العـولمة لـيس مطـروحاً للقـبول أو الرفض فهو واقع أصبح أحد ظواهر العـصر الـذي نعيـشه، أمـا الـشق الثاني للعولمة: فهو شق قيمي، جاء نتيجة الطابع التوسعي التنافـسي لـنمط الإنـتاج الرأسمالـي الذي فرض اقتصاد السوق على العالم، وعزّزه باتفاقية الـتجارة العالمـية (الجـات). وهذا الجانب هو الذي يثير كثيراً من المخاوف والشكوك. خاصة وأن جـولة أورجـواي جـاءت ضـربة قاضـية للـدول النامـية حيث فرضت الدول الصناعية الكـبرى شـروطها المجحفـة فحـررت التجارة وانتقال رؤوس الأموال، ولكنها فرضت حماية مـبالغ فـيها للملكـية الفكـرية بمـا يجعـل نقل التكنولوجيا والمعرفة امر باهظ التكلفة بالنسبة للدول النامية، وهذا الجانب القيمي من العولمة هو الذي يجعل من العولمة مسألة خلافية.

التناقض بين قيم العولمة المعلنة والممارسة الفعلية

لا يخفى ان هناك مشكلة حقيقية تواجه هذا التيار الجامح نحو تعزيز الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان الذي اتت به رياح العولمة العاتية، وهو أنّ النظام الدولي القائم حالياً ليس نظاماً ديمقراطياً حيث توجد فيه دولة عظمى واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تفرض قوانينها ونمط استهلاكها وثقافتها على العالم أجمع فظهرت المعايير المزدوجة والانتقائية في مواجهة قضايا حقوق الإنسان أو المشاكل الإنسانية، ويظهر ذلك جلياً في فرض الحصار على شعب العراق واستمرار هذه السياسة رغم ما تشكله من انتهاك جسيم لحق الشعب العراقي في الحياة والذي وصل إلى ما يمكن اعتباره إبادة الجنس، وقد إدّى هذا الحصار إلى زيادة القمع والقهر الذي يعاني منه الشعب العراقي بل إن هذا الحصار أوجد المبرر لاستمرار هذه السياسة القمعية، لقد أساءت الولايات المتحدة الأمريكية استخدام حق التدخل لأسباب إنسانية وتعسّفت في مسلكها كدولة عظمى وخرجت على قواعد القانون والمواثيق الدولية، وفي نفس الوقت تستخدم الولايات المتحدة دائماً حق الفيتو في مجلس الامن لحماية إسرائيل من أي قرار يدينها أو يوقع عليها عقوبة نتيجة أعمالها الوحشية ومذابحها ضد الشعب الفلسطيني العربي؛ من دير ياسين إلى مذبحة قانا مروراً بتهجير شعب فلسطين إلى الشتات وحرق قُراه واستمرار احتلال الأراضي العربية، وإطلاق التهديدات التي تفضح سياستها العنصرية مثل التهديد بقتل الأطفال وحرق التراب اللبنان يوظهرت نفس مشكلة الانتقائية والمعايير المزدوجة في كل من الصومال وبورندي والشيشان وأماكن أخرى كثيرة من العالم.

مما اعطى انطباعاً بأن قيم العولمة وما يبدو للظاهر فيها من انسانية وحماية لحقوق الأنسان من الأنتهاك وحرية التعبير، هي في الواقع محض مهزلة لأنها تطبق في الغرب، في الوقت الذي يمارس فيه كافة اشكال الهمجية والظلم العالمي والأستبداد والوحشية تجاه الشعوب المستضعفة في العالم، مما يجعل العولمة وقيمها في ميزان السقوط، وموضع استثارة الغضب لدى الشعوب المستضعفة في العالم، وبالتالي يمكن القول عنها بأنها قيم ازدواجية لا تمت للمساواة العالمية بصلة.

ومـن الاتجاهـات الناشـئة عـن العـولمة مـا يمكـن اعتـباره اتجاه واضح في العالم لحو استقطاب شـديد للفقـر الـذي اتسعت دائرته بشكلٍ مخيفحيث يعاني ٨٤٠ مليون نسمة من الجـوع، و ٢ بلـيون آخـرون يعانـون مـن سـوء الـتغذية، كما يتجه العالم إلى تركيز شديد في الثـروة، وذلـك علـى مـستوى الدول ومستوى الأفراد أيضاً داخل الدولة الواحدة، فَخُمس سكان العـالم ممـن يعيشون في أعلـى البلدان دخلاً يحصلون على ٨٦٪ من الناتج الإجمالي، ٨٢٪ مـن صـادرات العـالم، ٦٨٪ مـن الاسـتثمارات الأجنبـية المباشرة، و ٧٤٪ من خطوط الهاتـف في العـالم، أمـا خُمـس السكان ممن يعيشون في أشد البلدان فقراً فإنهم يحصلون على ١٪ فقط من الناتج الإجمالي العالمي.

ويـرجع ذلـك لعـدّة أسـباب أهمهـا هيمـنة الأسواق على عملية العولمة وتكريسها لزيادة الربح دون اعتبار يُذكر لما يعكسه ذلك على حقوق الناس، وبطبيعة الحال يترتب على ذلـك وجـود جيش من العاطلين وكذلك تخفيض أجور ومرتبات العمال والموظفين وتقلص الكـثير مـن المـزايا والحقـوق التي كانوا يحصلون عليها، فثمار زيادة الإنتاج الناتجة عن الثورة العلمـية يـتقاسمها عـدد ضـئيل جـداً من الأفراد، والذين يمثلون تحديداً رجال الإدارة العليا وحملـة الأسـهم وعمّال المعرفة، ويترتب على ذلك زيادة مطردة في فئات ما تحت خط الفقر، وتهميش هذه الفئات وتركيز الثروة في أيد قليلة.

ومـن هـنا لم تـستطيع العـولمة ان تحـرر الأنـسان مـن الفقـر، ودفـنت قـيم العدالـة الاجتماعية، وحالت دون تحقيق قيم توازن المجتمعات، إذ عززت الطبقية، واحدثت الخلل في البـناء القيمي، وعززت الصراعات الاجتماعية، وحالت دون الأستقرار الأجتماعي وتحقيق الأمن وحفزت المزيد من صور العنف واقامت صور مشوهة للديمقراطية.

وهناك انعكاسات سلبية للعولمة في المجال الثقافي، فالقيم المترسخة في ضمير الشعوب هـي الـتي تـشكل رؤيـتها ونظـرتها للعالم ومن هنا تأتي أهمية الثقافة بالنسبة لقضية العولمة، ووفقـاً للمواثـيق الدولـية، فللإنسان الحق في التمتّع بثقافته الخاصة واستخدام لغته والمجاهرة بدينه أي أن تكون له خصوصيته الثقافية التي تعني التباين بسبب اختلاف السلالة أو اللغة أو الـدين في إطـار الـثقافة والفكـر علـى مـستوى الوطن والمنطقة – والحضارة،إلا أن التفاوت

الهائل في الإمكانيات الثقافية التي ارتبطت ببعض الحضارات يثير الكثير من المخاوف لما في ذلك من تهديد للخصوصية ولثقافات أخرى لا تملك هذه الإمكانيات.

وتتفوق الولايات المتحدة الامريكية في نسبة ما تصدّره من ماد ثقافية وترفيهية وكتب وأفلام السينماوالموسيقىوبرامج التلفزيون و (Software) إلى حد أن صادراتها من هذه المواد تسبق جميع صادراتها من أي قطاع آخر، وهذا ما يدفع الولايات المتحدة إلى الإصرار على أن تعامل السلع الثقافية معاملة بقية السلع الأخرى بمعنى ألا تُفرض عليها قيود تمييزية، بعكس فرنسا ودول أخرى التي تعتبر أن العولمة الثقافية خطر استراتيجي يهدد هويتها الثقافية، أما في العالم الثالث فمشكلة العولمة الثقافية أنها تكاد تكون في اتجاه واحد نتيجة الإمكانيات الهائلة للولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى في هذا المجال والتي جعلت دول العالم الثالث في وضع المتلقي دائماً، ولا شك أن هذه الأوضاع تثير مخاوف الكثيرين في العالم العربي والأسلامي باعتبارها تُهدد الهوية الثقافية التي هي حق من حقوق الإنسان، ومما يزيد من هذه المخاوف خروج عدة نظريات منها مقولة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما، ومقولة "صدام الحضارات" لصموئيل هنتنجتون، وتلك النظريات تعزز مسارات العولمة الثقافية الفوقية في العالم العربي والأسلامي، لأنها تشكل في حقيقتها تنظير لسياسة الهيمنة الأمريكية خاصة، وأنها تميزت بالعداء الشديد للإسلام.

استراتيجيات مواجهة الصراع القيمي

في ظل خضم التحولات التي يعرفها العالم المعاصر؛ أصبح سؤال الهوية يطرح نفسه بحدة، وأصبح الحديث عن الخصوصيات الثقافية زمن العولمة مثار جدل واسع في أوساط المهتمين بالمسار الحضاري لكل بلد وقطر وإقليم، ويمكننا القول إن محاولات التنميط الثقافي والاجتماعي بعد النجاح القهري في عولمة الاقتصاد؛ يمر بالضرورة عبر إعادة خلخلة منظومة القيم التي تحفظ لكل بلد خصوصياته، وهكذا أصبحت النظرة إلى قضايا السكان والتنمية وحقوق الإنسان تأخذ بعدها الدولي من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة، وتجد الأصوات المنادية بالخصوصية الحضارية للشعوب ترفع أصوات الاحتجاج والاعتراض والتحفظ على

كـل ما يمس أسسها العقائدية والفكرية وما لا ينسجم وواقعها، وتحاول أن تستصدر من هذه المؤتمرات توصية تمكنها من تكييف التوصيات الدولية مع خصوصياتها؛ إلا أن الأمر بالنسبة للقيم الإسلامية يتجاوز الحديث عن الخصوصيات الإقليمية، لكونها قيماً عالمية وكونية على الأقـل مـن الناحـية النظـرية، وهـذا هـو الذي يدفعنا في اتجاه الانتقال من الدعوة إلى مراعاة الخصوصيات إلى الدعوة إلى حوار الحضارات لبناء حد أدنى من القيم الإنسانية المشتركة.

ومـن هـنا فإنـه مـن المنطقـي بمكـان ضـرورة الاعـتراف بالخـصوصيات الحـضارية للـشعوب الـتي لا تحمـل خـصوصيات عالمـية، أو الحـديث عـن حـوار الحضارات، تصطدم بالاتجـاه العالمـي الأحادي النظرة، المسنود بالقوة الاقتصادية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، والـذي يدعـو الجمـيع إلى الانخـراط في سياق العولمة بقيمها ومبادئها، فانتقل العالم من حوار الحضارات إلى صراع القيم وإعادة تشكيل عقل الإنسان وفق أنماط محددة.

والخـيار في ازمـة القيم في العالم العربي والأسلامي يسير في اتجاهين؛ إما خيار تعزيز مـنظومة القيم الإسلامية، وذلك عن طريق إعادة النظر في كيفية بناء تلك القيم واليات إبراز هـذه القـيم في صـورة واضحة مشرقة، في بعد يراعي الأصالة والأنفتاح معاً، ويتعاطي معها بطـريقة تتـسم بالجـدة والإبداع، في اطر عالمية، تستهدف الرحمة بالناس، وفي اطر توظيفية في حـل الأزمات والإشكالات التي يتخبط فيها المجتمع المعاصر؛ وإما خيار الانخراط في منظومة القـيم الماديـة الـتي تـسوّقها العـولمة بواسـطة الإعـلام والاقتصاد والقوة العسكرية، ومن ثمَّ الـذوبان في مـسلك حـضاري تتـشكل معالمـه بعـيداً عـن أساليب الإقناع والحجاج والحوار والتثاقف، واحترام الاختلاف والخصوصيات الحضارية للشعوب.

وعلـيه؛ فـإن الخـيار الأول يـبرز إلى الواجهة من خلال كيفية جعل القيم الأسلامية مادة لتغيير الواقع من السلب إلى الإيجاب، ورفض اتجاهات تغيير القيم الأسلامية في ذاتها.

http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/2.htm

والـرؤية الـسيكولوجية في هـذا الـصدد مفادها انه يوجد فينا قوى كامنة متصارعة: مـنها قـوى دافعة نحو الأقدام، وأخرى رادعة فتغري بالأحجام، ولعل بعضها يظهر للفرد في أحلامـه، وكلها توضح أن في الانسان قوى كائنة بالقوة والفعل، تنطلق وقت الحاجة المعقولة

موجهة بعقلانية صوب اتخاذ قرار حكيم، وهذا بدوره يوضح أن العمل الأخلاقي، إنما هو، نشاط يختاره الفرد وينفذه بإرادته، فهو نشاط يعد تعبيراً عن دوافع ذلك الفرد الداخلية وعن واقع اتجاهاته، ولا ينكر، من وجهة النظر السيكولوجية، ان أعمال الانسان لا تخلو من تناقض وجداني، وليس ثمة في دوافعه ما هو نقي تماماً فلا يشوبه شيء من هذا التناقض. ففي دخيلة كل انسان يوجد هناك تناقض، وتناحر، وشك، وصراع، وتأزم نفسي، فما على الانسان، وهو يسلك سلوكاً أخلاقياً، إلا أن يجتهد في تهذيب نوزاعه لتتساوق وقيم الحياة التي يرتضيها لنفسه ولمجتمعه وأبنائه.

ومن هنا من الضروري بمكان الأتساق مع قيم المرجعية الأسلامية، في تهذيب النوازع البشرية، والارتقاء بها لحو السلوك الحضاري المنشود في كافة الاتجاهات الفردية والاجتماعية.

وسيكولوجيا عند مواجهة الصراع القيمي، فمن الواجب بمكان اخذ ذلك بجدية، ودراسة الموقف كاملاً، وبشكل متأمل، وتحليله ضمن إطاره الزماني والمكاني، وطرح منظومة تساؤلات، ينبغي ان يفكر فيها من يخضع لاشكالية الصراع القيمي، باحثاً عن اجابات هادئة معقولة لها، وهي على النحو الآتي:

- ☒ ما هي القيم المتصارعة؟
- ☒ ما ترتيب القيم المتصارعة من حيث الأهمية؟
- ☒ من هم الأشخاص المعنيون بالصراع؟
- ☒ هل يدرك هؤلاء هذا الصراع؟
- ☒ هل يمكن تأجيل الصراع؟
- ☒ ما الحلول التي يمكن أن تتقدم بها كفرد او مؤسسة او تجمع ما لحل الصراع؟

ويمكـن تحديـد الاسـتراتيجيات الأتـية، في حـل الـصراع القيمـي، التي يمكن تزويد الأفراد او المؤسسات بها وهي على النحو الآتي:

❖ نشر المعرفة الصحيحة

من المهم تزويد من لديهم صراع قيمي بالمعلومات الصحيحة عن القيم ذات العلاقة بعملـهم، ومـع أن معـرفة الطريق الصحيح لا تؤدي بالضرورة إلى السير على ذلك الطريق، إلا انهـا شـرط مـن تـصويب الخطـأ، فـنقص المعلومات سبب من أسباب حدوث الخلل في معتقدات الأفراد وسلوكهم.

❖ اقتراح بدائل جديدة

قـد يحـدث صـراع لـدى الفرد عندما يشعر أن عليه الاختيار بين الرغبة في الإبداع، والمحافظة على الأمن النفسي، وهنا يمكن أن تقترح المؤسسة على ذلك الفرد المشاركة في لجنة تمكـنه مـن تقـديم أفكـاره المـبدعة دون أن يـشعر بـأن أمنه النفسي مهدد، لأن العمل ضمن مجموعة يوفر له الغطاء الأمني إن اتخذت إجراءات مناسبة.

❖ إعادة ترتيب القيم من حيث الأولوية

في بعـض المواقـف يحـل صـراع القـيم من خلال مساعدة الأفراد على إعادة ترتيب الأولـويات، فقـد يـرغب فـرد في الاشــتراك في دورة تدريبية، ولكنه في الوقت نفسه نطالب بإنجـاز أعمـال معيـنة وقـت انعقاد الدورة التدريبية، ويمكن حل هذا الصراع إذا ما اعلم بأن انجـاز العمل مقدم على الاشتراك في الدورة، وانه يمكنه الالتحاق بدورة تدريبية أخرى تعقد فيما بعد.

❖ مساعدة الفرد على النظر في نتائج القيم المتصارعة

عـندما يكـون الفـرد قـادراً على التعرف على الآثار المترتبة على اختيار قيمة معينة، وقـيمة أخـرى منافـسه لها، فإنه يصبح أكثر قدرة على الحكم على أهمية كل منهما، وهذا ما ينهـي الـصراع بـين القيمـتين، ومـثال ذلـك أن المـوجه التربوي مطالب بزيارة كل معلم من المعلمـين الـذين أوكـل إلـيهم مهمة توجيههم عدداً محدداً من الزيارات، لكن هؤلاء يتباينون مـن حـيث الحاجـة إلى زيارات الموجه، فالمعلم الجديد، والمعلم الضعيف اشد حاجة لزيارات المـوجه، ويمكـن لمديـر الأشـراف والمـوجه مناقـشة النـتائج المترتـبة علـى البديلين الماثلين في الموقـف، فيتوصـلان إلى أن تجـويد التعلـيم يـتقدم علـى الـشكليات، وأن المعلـم ذا المستوى الـضعيف يحـتاج إلى عدد اكبر من الزيارات، لأن النتائج المترتبة على عدم زيارته عدداً كافياً من الزيارات يضر بتعلم الطلاب.

الفصل الثاني

منظومة مختارة من القيم في التصور الإسلامي

الفصل الثاني

منظومة مختارة من القيم في التصور الإسلامي

التوحيد والمنهج الرباني

يعد من لوازم الحياة الإيمانية، التزام المنهج الرباني في عبادة الله تعالى، وهو بمثابة دليل الصانع، فكما لو انك اشتريت الة ثمينة حساسة الصنع، تنبري لقراءة دليلها التقني "الكتالوج" حتى لا يحصل منك تشغيل لها، في غير محله، فتحدث عطلاً فيها، وربما يؤدي إلى اتلافها، وإذا كان المرء في قضايا الدنيا بهذا الوعي والحساسية، فأمور حياتنا وفق شرعه تعالى ومنهجه القويم، لهي اشد اهمية وخطراً، لأن المصير فيها اخروياً، والخسارة هنا فادحة للغاية، فالألة يمكن تعويضها فهناك مثيلها وبديلها، ولكن حياتنا لا يمكن ان تستعيدها مرة اخرى، فلحظة الحساب الأخروي حاسمة، وليس هناك رجوع البتة للدنيا، حيث الخسارة المصيرية.

ومن النصوص الشرعية التي تعلي من قيمة التوحيد الآتي:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٢)، فتشير الأية هنا إلى ان الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ولا معاصي، أولئك لهم الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم. فهؤلاء الأمن التام، والهداية التامة (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وتبرز الأية الكريمة الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك متوقف على معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما

ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، ويخبر تعالى هنا، أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متآخرة، إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)، فالنص القرآني هنا؛ لما نهى تعالى عن الشرك به، أمر بالتوحيد، فقال: وقضى ربك قضاء دينياً، وأمراً شرعياً، أن لا تعبدوا أحداً من أهل الأرض والسموات والأحياء والأموات إلا إياه لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي له كل صفة كمال، وله من كل صفة أعظمها، على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الدافع لجميع النقم، الخالق، الرازق، المدبر لجميع الأمور، فهو المتفرد بذلك كلّه، وغيره ليس له من ذلك شيء، ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: وبالوالدين إحساناً ،أي: أحسنوا إليهما، بجميع وجوه الإحسان، القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد، والإحسان إليه، والقرب، ما يقتضي تأكد الحق، ووجوب البر (السعدي،٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزخرف: ٢٦ - ٢٨)، فهنا يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته. فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ الذين اتخذوا من دون

الله آلهة يعبدونهم، ويتقربون إليهم، إنني مبغض له، مجتنب معادٍ لأهله، إلا الذي فطرني فإني أتـولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق، والعمل بالحق. فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، فإنه سيهدين لما يصلح ديني وآخرتي (السعدي، ٢٠٠٢).

وقـال تعـالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة: ٣١)، وتخبر الآية الكريمة عن الذين اتخذوا علماؤهم ورهبانهم أي: العُـبَّاد المتجـردين للعـباده، أربابـاً مـن دون الله؛ يُحِلُّون لهم ما حرم الله، فيحلونه، ويحرمون علـيهم مـا أحـل الله فيحـرمونه، ويـشرعون لهـم مـن الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتـبعونهم عليها، وكانوا أيضاً يغلون في مشايخهم وعبّادهم، ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانـاً، تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة، مثل ما اتخذوا والمسيح ابن مـريم إلهـاً مـن دون الله، والحـال أنهـم خالفـوا في ذلك، أمر الله لهم على ألسنة رسله، قال تعـــــــالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ (سـورة الـتوبة: ٣١)، فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والـدعاء، فنـبذوا أمـر الله، وأشـركوا به، ما لم ينزل به سلطاناً، سبحانه وتعالى عما يشركون بمعنـى تنـزه وتقـدس، وتعالـت عظمـته عـن شـركهم وافترائهـم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويـصفونه بمـا لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله، عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس (السعدي، ٢٠٠٢).

وقـال تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ (البقـرة: ١٦٥)، تخـبر الآيـة الكريمة إلى ان من الناس مـن يـتخذ مـن دون الله نظـراء ومـثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة، ومـن كـان بهـذه الحالـة بعـد إقامـة الحجة، وبيان التوحيد، علم أنه معاند لله، مشاق له، أو معـرض عن تدبر آياته، والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه

كلمة العذاب، وهؤلاء الـذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم ليقربوهم إليه، وفي قوله تعالى: ﴿اتخذوا﴾ دليل على أنه ليس لله ند، وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أنداداً لله، تسمية مجردة، ولفظاً فارغاً من المعنى، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الرعد: ٣٣) إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن، فالمخلوق ليس نداً لله لأن الله هو الخالق، وغيره مخلوق، والرب هو الرازق، ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء، فعلم علماً يقيناً، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأنداداً، سواء كان ملكاً أو نبياً، أو صالحاً، صنماً أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾، أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره (السعدي: ٢٠٠٢).

ومن هنا يجب ان نعبد الله تعالى وفق منهجه وتوجيهاته الشرعية، لا وفق تشريع الهوى ورغبة الأنا وجموح الغريزة، ويجب ان يكون في وعينا العميق، اهمية الكمال الإنساني، الذي لايمكن تحقيقه الا من خلال التزام منهج الله تعالى التعبدي، الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ وهو دليل الصانع، وهو الكفيل بتحقيق الكمال الشخصي والنفسي والأجتماعي والجسدي، فهذا المنهج هو الضمانة في ان يوصلنا إلى لذة السعادة، من خلال الأتصال مع الله تعالى، واستشعار لذة القرب.

وينبغـي التنبيه هنا على ان أي طريقة يُكلف بها احدٌ اياً كان بغير ما كلف الله تعالى نبـيه ﷺ وأصحابه، هي طريقة مرفوضة، وتخالف دليل الصانع الرباني، الذي نستقي مصادره مـن القـرآن الكريم والسنة الشريفة وسير السلف الصالح، ومن هنا فإن كل بدعة في الأمور التعبدية في الشرع ضلالة، وكل ضلالة في النار، واي فتنة من أن تزايد على النبي ﷺ، وتشعر انك سبقت النبي ﷺ في قضايا تعبدية، بإبتداع عبادات لم يأتي الشرع بها.

انطلاقـاً ممـا سبق يجـب الالتزام بأوامر الشرع في العبادات بحذافيرها، دون زيادة أو نقـصان، لأن في ذلـك عظمـة الألتـزم والرقـي الإنـساني، فالمنهج الرباني يسع الناس جميعاً، ويرقي بهم، إلى اعلي مراتب الكمال الإنساني.

ولـذلك هناك بعض القوانين الحتمية في العبادة التي ينبغي ان تترسخ في خلد المؤمن وهي على النحو الآتي:

- ☒ إذا التـزمت اوامـرالله فأنـت في نعمـة عظـيمة وشخـصية فـذة لأن معـك تعلـيمات الصانع.
- ☒ أحب الأعمال إلى الله تعالى، أدومها وان قلت.
- ☒ لا تقـيد نفـسك بـبرنامج تعـبدي في الـنافلة، لاتـستطيع تحملـه، والمداومة عليه، لأنه ينعكس بعد ذلك عليك، نفوراً من هذه العبادة التنفلية.
- ☒ لا يعـد مـن العـبادات، مـا بـني علـى تضيع الحقوق، وإهمال الأولاد والزوجة ومن تعول، وإهمال العمل والتقصير به، وعدم إتقان الصنعة، والتسيب.
- ☒ أذا التـزمت عبادةً ما، وكان منك تضييع للحقوق، وإهمال وتقصير في واجباتك تجاه الآخرين، كنت مبغوضاً عند الناس.
- ☒ دع خيراً يربو الشر عليه، ودرء المفاسد أولى من تحقيق المصالح.
- ☒ خذ من الأعمال ما تطيق نفسك.
- ☒ نحـن بحاجـة إلى الإقـبال علـى المـزيد مـن العـبادات، حتى نصل إلى الحد الأدنى من العبادة.
- ☒ أوقات النشاط في العبادة أول النهار وعند الغروب وفي الليل.

- ألزم المنهج الوسط، المعتدل، تبلغ الهدف، القصد، القصد تبلغوا، أي بالتوسط والاعتدال تبلغ المقصود.
- المبالغة في التعبد، توصل إلى الملل والانقطاع.
- المنهج الرباني، منهج وسط، معتدل، واقعي، متوازن.
- اخذ العزيمة عند الرخصة، تنطع وتشدد في غير محله.
- البدء بتمرين رياضي عالي الجهد يسبب نكسة صحية لك، ابدأ تمارينك الرياضية بالتدريج تسلم، وهكذا بالعبادات التنفلية ابدأ بالتدريج تسلم، لأن الحياة واحدة، في قوانينها المعنوية والمادية.
- لا تدخل العبادة على كره ونعاس، ادخلها على جدٍ ونشاط.
- ليس البراعة في أن تبدأ امراً ما جميلاً، بتألق وهمة، ونشاط وثورة نفسية، لكن الكمال الحقيقي، في أن تستمر على هذا الشيء الجميل، بعد هذه الثورة النفسية والنشاط، وهذا التألق والهمة، لا أن تمل فتدعه، المهم دائماً، الاستقرار والتوازن على الشيء الجميل، لا أن تصعد القمة، ثم تفتر، فتنحدر.
- أي مصيبة تقع على الأرض، أساسها مخالفة أوامر الله تعالى.
- اكبر عدو للإنسان جهله، وأعظم الجهل جهلك بمصيرك المستقبلي الأخروي.
- يجب أن تعلم ما الذي ينفعك وما الذي يضرك، فما بالك بما يخص بمصيرك في الحياة، وغايته.

وانطلاقاً مما سبق فإن من لوازم الأمن والسكينة، توحيد الأتجاه القلبي نحو الله تعالى، فالله لا يقبل الشريك، والقلب المشرك، فيجب ان توحد القلب لله تعالى، عندئذ يزول اثر الخوف من الجهات الأرضية، والتعلق بها، فيزول مع هذا الشعور الألم والشدة النفسية، والقلق والأكتئاب، فربما خوف من جهة ارضية يهوي بإنسان نحو اودية التهلكة، والأصل ان لا يكون الخوف الا من الله، وان لا يتوجه الذل الا لله، وان لا يشعر المرء

بالفقر تجاه اية جهة الا الله تعالى، فالخوف منه امن، والذل بين يديه عز، فمن استعز بالعباد ذل، والفقر بين يديه غنى، وسكينة وامن ورحمة.

ومن مستلزمات التوحيد التوكل على الله تعالى، والأعتماد عليه، وتحرير القلب من الأعتماد على غيره، بعد الأخذ بالأسباب، والتوكل له قوانين حتمية مفادها:

- ☒ عليك أن تأخذ بالأسباب الدنيوية وكأنها كل شيء، وتتوكل في الوقت ذاته على الله، وكأن ما قمت به من أسباب دنيوية لا شيء.
- ☒ التوكل شعور قلبي موحد لله، مترع باليقين التام الذي لاشك فيه، والأخذ بالأسباب، مسألة تتعلق بالجوارح، في همة ونشاط وجد.
- ☒ أن أخذت بالأسباب واعتمدت عليها كلياً، فقد وقعت في وادي الشرك.
- ☒ إذا اردت ان تكون اقوى الناس فتوكل على الله.
- ☒ يكون التفويض قبل النتائج ويكون التسليم بعد النتائج، ويعد التفويض والتسليم اركان مهمة في التوكل على الله تعالى، ومستوى ثقتك بالله تعالى، وقدر الفرح والسرور الحقيقي واستشعار الراحة في جوهرها بالرضى واليقين بأمره تعالى، والهم والسقم بالتسخط من امره تعالى.
- ☒ من سمات الكافر دوماً التسخط وعدم الرضى بأقداره تعالى.
- ☒ القضاء نوعان نوع تسلم له ونوع ترفضه من خلال العمل لدفعه، كأن يكون لديك طفل ضعيف في الدراسة، فتبذل جهدك وطاقتك وامكانياتك، لتقوية مستواه الدراسي، ورفع مستواه التعليمي ما امكن، او واجهك شخص تجاوز جده، هل تستسلم لهذا القدر، بالتأكيد لا، يجب ان تقف امام وجهه وتردعه.
- ☒ يجب ان تنعكس اسماء الله الحسنى وصفاته العليا في سلوكك وتصرفاتك اليومية، ومنها الاعتماد على الله تعالى، وتنزيهة عن الشرك، لأن جعل الثقل في الأعتماد على جهة ارضية من دون الله هو شرك، من خلال سلوكك، وان كنت في تصريحك اللساني تقول غير ذلك، وتدعي التوحيد، فليس التوحيد بالقول بل بتصديق الجوارح لما يتقوله اللسان.

- من متطلبات التسليم لله تعالى ان لا ترد امره تعالى لشهوة او شبهة او اعتراض.
- من استعز بالعبيد اذله الله تعالى.
- المتوكل يسكن إلى وعده تعالى، والمسلم بأمره إلى الله يكتفي بعلمه تعالى، وصاحب التفويض يرضى بحكمه.
- ن ثمار التوكل الكسب بقدر الحاجة من غير استكبار وتفاخر وحبس للمال عن النفس والمحتاج.
- هناك ارتباط بين التوكل الحقيقي والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، والزهد يكون كما قال الأمام علي ﷺ بما معناه ان تكون الدنيا في يدك، ولا تستقر في قلبك.
- لا يقبل الله العمل المشترك والقلب المشترك بين الله تعالى وغيره، عز شأنه وجلاله، وتنزه عن الشريك.
- من لم يسكن إلى شئ لم يضطرب إلى فقده، ومن اضطرب لفقد شئ فقد سكن اليه.
- وطن نفسك على ان الله لا يفعل بك الا ما فيه صلاحك.
- ورد ان العبد ليهم من الليل بأمر من التجارة، مما لوفعله لكان فيه هلاكه، فينظر الله تعالى اليه، من فوق عرشه، فيصرفه عنه، فيصبح كيئباً حزيناً يتطير بجاره، وابن عمه، من سبقني؟ من دهاني، وما هي الا رحمة من الله تعالى، وورد في الدعاء اللهم صن وجوهنا باليسار ولا توهنًا بالأقتار، فنسترزق طالبي رزقك، ونستعطف شرار خلقك، وننشغل بحمد من اعطانا، ونبتلى بذم من منعنا، وانت من وراء ذلك كله اهل العطاء والمنع (طاهر، ٤٧).
- لا يكمل حال لتوكل ما لم يكمل الأيمان بأنه لا فاعل الا الله، ولا رازق سواه، وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة هو خير له.
- التوكل مقام مفهوم عقلاً لكنه يستدعي قوة القلب واليقين حتى يتحقق سلوكاً.
- سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله للإنسان، وطبيعة الإنسان مشغوفة بسماع تخويف الشيطان واساءة الظن، الا ما رحم ربي.

- اســاس التعامل بين البشر قائم على ركن الثقة، فكيف بتعاملك بالله تعالى، فكله ثقة ويقين.
- من ترك شيئاً لله تعالى عوضه الله خيراً منه.
- زوال الكون اهون عند الله من ان يضيع عبده، ولا يحقق وعده له.
- هناك ارتباط متسق بين مؤشر الأيمان في قلب المؤمن ومؤشر الثقة بالله تعالى.
- إذا كان الله معك فمن عليك.
- الرضا حال قلبي وليس عمل وإرادة.
- من لم يقدر على الرضا فقد ظفر باليقين، ومن لم يظفر باليقين فعليه بالصبر.
- رتــب الـثقة بــالله تعــالى هي: الرضا وهو الأعلى فيها، واليقين وهو في المرتبة الثانية، والصبر وهو في المرتبة الثالثة.
- كــل شــئ يحـدث في الكــون مــن ضياع موسم الزرع لصقيع ما، او ريح لا تبقي ولا تـذر، هو حادث بأمر الله، وهنا تبرز رسالة التوحيد التي يجب ان تنشرها بين الناس، بنسبة الاشياء إلى موجدها وهو الله تعالى عزَّ شأنه وجلاله.
- كل ما يحدث في الكون لا يحدث الا بأمر من الله تعالى واذنه ومشئيته لذلك.
- يـد الله المـبدعة القـادرة تعمـل في كل شئ في حياتك وحياة الأخرين وحراك الكون وسكونه.
- لا تعزل الاشياء في الكون عن التوحيد.
- الإنسان بين حالين لا ثالث لهما هما؛ التأييد والتخلي.
- إذا اعتمدت على اية جهة ارضية مهما كانت، دون الله عز وجل، لا بد ان تخذلك.
- التوفـيق والحفـظ مـن المطـبات والمفاجـآت غـير الـسارة، يكون بالتأييد الألهي للفرد والجماعة، فالتأييد الألهي سر رباني، يتجلى بالطاعة والأنابة لله رب العالمين.
- مـن اتكل على نفسه اوكله الله اياها وخذلته، ومن اتكل على الله تعالى، كفاه الله كل مؤونته.

- إذا قلـت "انا" نالك التخلي الألهي، وان قلت يا رب،ساندتك المعونة الألهية، ومن هنا يجـب ان تتبرأ مـن حـولك وقـوتك إلى حول الله تعالى وقوته، بعد اخذك بالأسباب المشروعة.
- لا تـتكل علـى مالـك وجاهـك وعلمـك وخبراتك، فينالك الخذلان الألهي، وليكن اتكالك على الله رب العالمين، الخالق البارئ المصور العزيز الحكيم القوي الجبار.
- انت لا شئ امام الله، لأن الله تعالى قادر على ان يلقي في روعك فكرة غير صحيحة، تجعلك مرعوبا، مشلولا عن الحراك والتفكير، وقادر على ان يخوفك من جهة ضعيفة لا تخـيف، إذ تخافهـا بـوهمك، وقـادر علـى ان يطمأنـك مـن جهـة قوية، تمكر بك، وتدمـرك، وانـت لا تدري، وقادر على ان يضيع وقتك ساعات وساعات في اصلاح شـئ تافـه يعطـل مـسيرتك، وقـادر عل ان يسعدك وكل شروط السعادة غير متوفرة لديك، وقادر على ان يشقيك وكل عناصر السعادة فيك، فالله قادر على كل شئ.
- من لوازم الأيمان الطمأنينة، التي لو وزعت على اهل بلد لكفتهم.
- مـن لـوازم الـشرك القلـق والخوف والتشتت والأكتئاب والشدات النفسية والشعور والخذلان.
- البلاء إذا اتى وانت في طاعة الله، فإنه يكون برداً وسلاماً عليك.

ومـن ثمار التوحيد ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمـران: ١٣٩)؛ ويقول تعالى مشجعاً لعباده المؤمنين، ومقوياً لعـزائمهم، ومنهـضاً لهممهـم، ولا تهنوا، أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبـدان، زيـادة مـصيبة علـيكم، وأعـون لعـدوكم علـيكم، بل شجعوا قلوبكم، وصبروها، وادفعـوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن، وهـم الأعلـون في الإيمـان، ورجـاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب

الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (السعدي: ٢٠٠٢).

وهذه الأية يستنبط منها تأييد الله الفردي والجماعي، فالله يؤيد المؤمن ويبث في قلبه الطمأنينة، وينصره على خصمه، وكفاك نصراً على خصمك انه في معصية الله وانت في طاعة الله، وهناك معادلة للنصر في الفكر الأيماني مفادها، انك إن انتصرت على نفسك ونزواتها وما ينشأ منها من تمرد وعصيان على منهجها الرباني، حصلت لك الغلبة على عدوك، حتى لو يتحقق التكافؤ بينكما في القوة العددية، بينما ان غرقت في معاصيك وشهوات النفس، حصل لعدوك الغلبة، وكان له سلطان عليك، وحصل قانون الأقوى والأكثر كفاءة عددية وتسلحية، وهذا قانون عام، يقاس على اشياء كثيرة، وميادين عديدة في التنافس بين المؤمنين والأعداء، وهناك قانون ايماني مفاده ان افعل ما عليك بين يدي الله تعالى وعلى الله الباقي.

ومن هنا فإن واقع العالم الإسلامي مأساوي، حيث القتل والدمار وتسلط الأمم الكبرى الطاغية علينا، والحل يتشكل بأنتصار امة الإسلام على نفسها، بكف ذاتها عن الذنوب والمعصية والتمرد على المنهج الرباني، فإذا انتصرنا على أنفسنا، انتصرنا على أعداءنا، وكانت الغلبة والتمكين والأستخلاف لأمة الإسلام، قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة المائدة: ٩)، وبذلك يزول قانون تسلط الأقوياء علينا، الذين استقوا بضعفنا من خلال تمردنا على منهج الله وتفلتنا منه.

فالتوحيد سر الطاقة النفسية الفردية، وسر القوة الجمعية، وانتصارنا على الأمم الباغية المتعدية، وسر الأمن والسكينة النفسية، وسر الفن القلبي، وسر القوة الذاتية وحسن التصرف في اتخاذ القررات، وسر الطاقة الخارقة في تحمل الآلام وتجاوز العثرات وادارة

الانفعـالات، وتحفيـز الـذات، وتحديـد الهدف، واستخلاص الثمار اليانعة من حراك المعاناة، حيث بين عيني المؤمن الملتزم دوماً، منحة تلي المنحة.

والتوحـيد يخلـق قيما ايجابية، تتشكل في الحراك الهادف في الحياة، فالأخذ بالأسباب وعـدم الـتواكل، ومن فقه هذه المسألة وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القـدر جهـلا مـنه وعجـزا أو تفـريطا وإضاعة فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا، بل الفقيه العارف هو الذي يرد القدر بالقدر، ويجلب القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن للإنـسان أن يعـيش إلا بـذلك، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القـدر، والخلـق كلـهم سـاعون في دفع هذا القدر بالقدر، فمن وفقه الله تعالى والهمه رشده؛ فإنـه يدفـع قـدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فثبت بما تقرر أن الله تعالى جعل للسعادة والشقاوة أسباب، وأنه سبحانه هو مسبب الأسباب، وخالق كل شيء كمـا أقتـضت ذلـك حكمته ومشيئته، وأن الأسباب لا بد منها في وجود المسببات، بمعنى أن الله تعـالى لا يحـدث المـسببات ويـشاؤها إلا بوجـود الأسباب، لكن الأعتماد على الأسباب فحـسب في تقـرر النتائج كما قال فيه الإمام الغزالي والحافظ ابن الجوزي شرك في التوحيد، والإعـراض عـن الأسـباب بالكلـية قـدح في الـشرع، والتوكل معنى يلتئم به معنى التوحيد والعقل والشرع فالمؤمن المتوكل يباشر الأسباب (أبي بكر، ١٩٨٩، ١/ ٢٨).

ومـن هـنا فترتـبط الجاهلـية بالإعـراض عـن المـنهج الإلهـي ورسـالة التوحيد، فإن الجاهلـية لا تـريد الا ان تجـد لنفـسها تعلة في نبذ شريعة الله، واستبقاء عبودية البشر للبشر، والا ان تـصرف العصبة المسلمة عن منهجها الرباني، فتجعلها تتجاوز مرحلة بناء العقيدة في صورة حراك هادف، وان تحول منهج أصحاب الدعوة الإسلامية عن طبيعته التي تتبلور فيها النظـرية مـن خـلال الحـراك الهادف، وتتحدد ملامح النظام من خلال الممارسة، وتسن فيها التشريعات في مواجهة الحياة الإسلامية الواقعية بمشكلاتها الحقيقية (قطب، ١٩٨٣، ٥٠).

إن المـنهج في الإسلام يساوي الحقيقة ولا انفصام بينهما، وكل منهج غريب لا يمكن ان يحقق الإسلام في النهاية، والمناهج الغربية يمكن ان تحقق انطمتها البشرية، ولكنها لا يمكن

ان تحقق منهجنا، فالتزام المنهج ضروري كالتزام العقيدة وكالتزام النظام في كل حراك هادف يستهدف تطبيق الإسلام منهج حياة (قطب، ١٩٨٣، ٥١).

فالكلمة دعوة، والدعوة حركة، والحركة عمل، العمل بناء، والبناء مجد للإسلام، ولايمكن تحقيق ذلك الا من خلال الالتزام بالإسلام ومبادئة، وان خالف ذلك الطبع والهوى، ومن هنا فإن الدعوة إلى الالتزام صعبة؛ لأن النفس البشرية طبعت على الميل إلى التحرر من القيود، والدين يقيدها، فالطبع يناديها إلى الأنطلاق وراء اللذة، والدين يمسكها، فمن يدعو إلى الفسوق والعصيان يوافق طبيعتها، لأن في دعوته تحرير من القيود، فتتمشي معه مشي الماء في المنحدر، ومن هنا فقس على ذلك فيما لو صعدت إلى خزان ماء على رأس جبل وقمت بثقبه بضربة معول، فإنك تجد الماء ينزل وانت واقف؛ حتى يستقر في قراراة الوادي، فإن اردت ان تعيده لم يعد الا بمضخات، ومشقات ونفقات بالغات، وكذلك والصخرة الراسية في الذروة لا تحتاج إلى جهد في زحزحتها وامالتها، حتى تتدحرج وتهوي، فهي تنزل بلا مشقة ولا تعب، ولكن إذا اردت ان ترجعها، وجدت المتاعب والمشقات (طنطاوي، ١٩٨٩، ١٧).

ويعد الالتزام ثمرة عقيدة التوحيد، وقد سئل بن أبي طالب ﷺ عن العدل والتوحيد فقال التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه، ففصح بما بهر إيجازه، ومن فقه دلائل التوحيد وعمل بمضمونها، فهو من السعداء (الماوردي، ١٩٨٧ ١/ ٣٩)، ودلائل الشقاوة في عدم التوحيد ما اشار اليه إبن عباس ﷺ إذ يقول إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها والبدعة هي إستحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظن بكونها حقا وهؤلاء ينزع من قلوبهم نور المعرفة وسراج التوحيد من اسرارهم ووكلوا إلى ما اختاروا فضلوا وأضلوا ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون حتى ينكشف لهم الأمر كما قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (الدمشقي، د.ت، ١/ ٢٧).

وقال يحيى بن معاذ التوحيد في كلمة واحدة ما تصور في الأوهام فهو بخلافه، وقال علي ﷺ ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود، وقال ﷺ أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال

الإخلاص لـه نفي الصفات المحدثة عنه، وسئل عليا ﷺ بم عرفت ربك فقال عرفته بما عرف بـه نفسه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره، وقال أيضا ﷺ عرفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف، وبعث سيدنا محمد ﷺ بتبليغ القرآن وبيان المفصلات للإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به، وقال الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي صاحب التصانيف المشهورة من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل، قال العلماء في قوله تعالى قل هو الله أحد هو الذي لم يعط لأحد من معرفته غير الإسم والصفة وقيل هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته إلا هو، وقوله تعالى الله الصمد قيل هو الذي أيست العقول من أن تطلع عليه أو تدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه، وقيل هو السيد الذي لا نهاية لسؤدده، وقيل هو المصمود إليه في الحوائج، وقيل هو الذي لا يستغني عنه شيء من الأشياء (الدمشقي، د.ت ١/ ٤٩).

ومن مستلزمات عقيدة التوحيد، اعتماد المنهج الرباني في مصادره الأولى، فمعالم الدين لا بد ان تقام من المصدر الاول لهذه العقيدة، من خلال الالتزام بالقرآن ومن توجيهاته الأساسية، ومن التصور الذي انشأه في نفوس الصفوة المختارة، التي صنع الله بها في الأرض ما شاء ان يصنع، والتي حولت خط سير التاريخ مرة إلى حيث شاء الله ان يسير (قطب، ١٩٨٣، ١٢)، وكذلك من خلال الالتزام بالسنة النبوية الشريفة، وقد سمى الأمام احمد بن حنبل رد الشئ الواحد من كلام رسول الله ﷺ زيغاً فقال: "نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (النور: ٦٣) وجعل يكررها ويقول، الفتنة: الشرك، فلعله إذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شئ من الزيغ، فيزيغ قلبه فيهلكه" (الراشد ١٩٨٩، ٤٥).

ويعد الالتزام بالمنهج الرباني ضرورة إنسانية، فإن حاجة البشرية إلى هذا المنهج ليست بأقل من حاجتها يومذاك في عصر السيرة، وإن وزن هذا المنهج اليوم- بالقياس إلى كل ما لدى البشرية من مناهج لا يقل عنه يومذاك، ومن ثم ينبغي الا يخالجنا الشك في أن ما وقع مرة في مثل هذه الظروف لا بد ان يقع، ولا يجوز ان لا يقع، ولا يجوز ان يتطرق إلى قلوبنا الشك، بسبب ما نراه من حولنا، من الضربات الوحشية التي تكل لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، ولا بسبب ما نراه كذلك من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية، ان الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام، إنما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق، ومدى الصمود للضربات، إننا لسنا وحدنا، إن رصيد الفطرة معنا، فطرة الكون وفطرة الإنسان، وهو رصيد هائل ضخم، اضخم من كل ما يطرأ على الفطرة من اثقال الحضارة، ومتى تعارضت الفطرة مع الحضارة، فلا بد أن يكتب النصر للفطرة، قصر الصراع ام طال، ان امامنا رحلة طويلة في كفاح مرير شاق طويل، حتى نرتفع إلى مستوى حقيقية ايماننا بالله، وفي حقيقة معرفتنا بالله، فإننا لن نؤمن به حق الأيمان حتى نعرفه حق المعرفة، وترتفع إلى مستواه في عبادتنا، فإننا لن نعرف الله حق المعرفة إلا اذا عبدناه حق العبادة (قطب، ١٩٧٤، ١١٧).

ومن سمات المنهج الرباني انه موافق للفطرة، فإيماننا بالإسلام ينبغي ان يصل إلى درجة اليقن بأن المستقبل لهذا الدين، فكون الإسلام من عند الله، يجعله الأجدر والأقدر على تنظيم الحياة وقيادة ركب الإنسانية وريادتها، فهو المنهج الأوحد الملائم لأحتياجات الفطرة والتنسيق بين متطلبات الإنسان النفسية والحسية، قال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (سورة الملك: ١٤)، فربانية المنهج الإسلامي هي الصبغة التي تجعل له القوامة على سائر المناهج الوضعية، وتفرده بخصائص البقاء والعطاء في كل زمان ومكان وعلى كل صعيد، ومرونة المنهج الإسلامي هي الصبغة التي تمنحه القدرة على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة، الصبغة التي تفسح المجال للاجتهاد في استنباط الأحكام فيما لا نص فيه، عن طريق القياس واعتبار المصلحة المرسلة والأستحسان وغير

ذلك من الأدلة الشرعية، وشمول المنهج الإسلامي هو الصبغة التي تميزه عن سواه من المناهج الأرضية والنظم الوضعية ذات المقاصد المحدودة، فالمنهج الإسلامي منهج العليم الخبير، العالم بشؤون الناس وبما يحتاجه الناس وبما يصلح لهم، وبما يضرهم وينفعهم، وبما يسعدهم ويشقيهم، ولذلك كان الإسلام المنهج القادر على إشباع احتياجات الحياة الفردية والجماعية، التشريعية والتوجيهية الداخلية والخارجية، قال تعالى "صبغة الله ومن احسن من الله صبغة (يكن، ١٩٨٨، ٧٣).

ومن هنا فإن الالتزام بشريعة الله في هذا التصور هو مقتضى الارتباط التام بين حياة البشر وحياة الكون، وبين الناموس الذي يحكم فطرة البشر ويحكم هذا الكون، فمن الضروري المطابقة بين هذا الناموس العام والشريعة التي تنظم حياة الإنسان وتتحقق بالتزامها عبودية البشر لله وحدة (قطب، ١٩٨٣، ١١٥).

ومن المهم بمكان التوعية بأن الإسلام تصور مستقل للوجود والحياة، تصور كامل ذو خصائص متميزة، من ثم ينبثق منه منهج ذاتي مستقل للحياة كلها، بكل مقوماتها وارتباطاتها، ويقوم عليه نظام ذو خصائص معينة، ووظيفة الإسلام الأولى هي ان ينشئ حياة إنسانية توافق هذا التصور وتمثله في صور واقعية، وان يقيم في الأرض نظاماً يتبع المنهج الرباني الذي اختاره الله، وهو يخرج هذه الأمة المسلمة لتتمثله وتقوم عليه، قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٠) ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (الحج: ٤١)، ان الجاهلية هي عبودية الناس للناس، بتشريع بعض الناس للناس، ما لم يأذن به الله، كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع (قطب، ١٩٨٣، ١٦٢).

ومـن هـنا فقـد جـاء هـذا القـرآن ليربـي امة ويقيم لها نظاماً فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتعلم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل المتكامل، ومن ثم جـاء القـرآن مفـرقاً وفـق الحاجات الواقعية لتلك الأمة، ووفق الملابسات التي صاحبت فترة التربـية الأولى، والتربـية تـتم في الزمن الطويل، جاء ليكون منهجاً عملياً، لا فقها نظرياً، ولا فكـرة تجريدية تعرض للقراءة والأستمتاع الذهني، ولقد تلقاه الجيل الأول من المسلمين على هـذا المعنـى، تلقوه توجيهاً يطبق في واقع الحياة، كلما جاءهم منه امر أو نهي، تلقوه بالحراك والعمـل، ولم يأخـذوه مـتعة عقلـية او نفسية، كما كانوا يأخذون الشعر والأدب، ولا تسلية وتلهـية كمـا كانـوا يأخذون القصص والأساطير، فتكيفوا به في حياتهم اليومية و مشاعرهم وضـمائرهم و سـلوكهم ونشاطهم وفي بيوتهم ومعاشهم، فكان منهج حياتهم الذي طرحوا كـل مـا عـداه مما ورثوه ومما عرفوه، ومما مارسوه قبل ان يأتيهم القرآن، قال ابن مسعود ﷺ: كـان الـرجل مـنا إذا تعلم عشر ايات لم يجاوزهن حتى تعرف معانيهن والعمل بهن، ان هذا القرآن لا يتذوقه الا من يخوض مثل المعركة التي نزل معها القرآن، ويواجه مثل تلك المواقف الـتي تنـزل بهـا، لـيواجهها ويوجهها، والذين يتلمسون معاني القرآن ودلالاته وهم قاعدون يدرسـونه دراسـة بيانـية أو فنـية، لا يملكون ان يجدوا من حقيقته شيئاً في هذه القعدة الباردة الـساكنة بعـيداً عـن المعـركة وبعـيداً عن الحركة، ان حقيقة هذا القرآن لا تتكشف للقاعدين ابـداً، وان سـره لا يتجلـى لمـن يؤثـرون الـسلامة والـراحة مع العبودية لغير الله، والدينونة للطاغوت من دون الله (قطب، ١٩٨٧،١/ ١٢٨).

ان هـذا الدين منهج للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد بشري، في حدود الطاقة البشرية، ويبدأ في العمل من النقطة التي يكون البشر عندها بالفعل من واقعهم المادي، ويسير بهم على نهاية الطريق في حدود جهدهم البشري وطاقتهم البشرية، ويبلغ بهـم اقصى ما تمكنهم طاقتهم وجهدهم من بلوغه" (قطب،١٩٨٧، ١/ ٣٧).

وهـذا المـنهج يـبدأ بكل جماعة منَ النقطة التي هي فيها، ومن الواقع المادي التي هي فـيه، ثم يمضي بها صعوداً، كما بدأ بتلك الجماعة من الجاهلية العربية الساذجة، من السفح، ثـم انتهـى في فترة وجيزة لم تبلغ ربع قرن من الزمان إلى ذلك الأوج السامق، شرط واحد لا

بد ان يتحقق، ان تسلم الجماعات البشرية قيادها لهذا المنهج، وان تؤمن به، وأن تستسلم له، وأن تتخذه قاعدة حياتها وشعار حركتها، وحادي خطاها في الطريق الشاق الطويل (قطب، ١٩٨٧، ١/ ٤٣).

إن الشخصية الإنسانية السوية وحدة متماسكة، فهي في حاجة إلى عقيدة موحدة تصدر عنها في كل اتجاه، وتستلهمها في الشعور والسلوك، وتستهديها في مواجهة الكون والحياة، وترجع اليها في كل صغيرة وكبيرة (قطب، ١٩٨٢، ٩).

وهؤلاء الناس الذين تمثلت الذين تمثلت فيهم نماذج الإنسانية العليا، النماذج التي ظلت فريدة في سموقها، وظلت سائر النماذج على مدار القرون تبدو في ظلها اقزاماً صغيرة، او كائنات غير تامة الوجود، المهم ان نعرف ان هؤلاء الناس الذين حققوا ذلك المنهج الألهي في حياتهم على هذا النحو العجيب، قد ظلوا مع هذا ناساً من البشر لم يخرجوا من طبيعتهم، ولا عن فطرتهم، ولم يكبتوا طاقة واحدة من طاقاتهم البانية، ولم يكلفوا انفسهم فوق طاقتهم، لقد زاولوا كل نشاط إنساني، واصابوا من الطيبات كل ما كان متاحاً لهم في بيئتهم وزمانهم، لقد اخطأوا واصابوا، وعثروا ونهضوا، واصابهم الضعف البشري احياناً كما يصيب سائر البشر، وغالبوا هذا الضعف، وانتصروا عليه احياناً اخرى، والمعرفة بهذه الحقيقة ذات اهمية قصوى، فهي تعطي البشرية املاً قوياً في اعادة المحاولة، وتجعل من واجبها بل تجعل من حقها ان تتطلع على هذه الصورة الوضيئة الممكنة، وان تظل تتطلع فهي ضرورة من شأنها ان تزيد من ثقة البشرية بنفسها وبفطرتها، وبمقدارتها الكامنة، التي يمكن عندما يوجد المنهج الصالح ان تبلغ بها إلى ذلك المستوى الإنساني الرفيع، الذي بلغته مرة في تاريخها فهي لم تبلغه بمعجزة خارقة لا تتكرر، انما بلغته في ظل منهج من طبيعته ان يتحقق بالجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية (قطب، ١٩٨٣، ٤٤).

لقد ظل هذا المنهج على كل ما الم به على مدى الزمن من انحرافات ومن خصومات ومن هجمات، يبعث بنماذج من الرجال، فيها من ذلك الجيل الأول الفارع مشابه، وفيها من اثار وانطباعات، وظلت هذه النماذج تؤثر في الحياة البشرية تأثيرات قوية، وتؤثر في خط سير التاريخ البشري، وتترك من حولها ومن ورائها تيارات ودوامات هائلة

تطبع وجه الحياة، وتلون سماتها، وما يزال هذا المنهج قادراً في كل حين على ان يبعث بهذه النماذج، كلما بذلت محاولة جدية في تطبيقه وتحكيمه في الحياة على الرغم من جميع المؤثرات المضادة، وعلى الرغم من جميع المعوقات من حوله وفي طريقه، والسر الكامن فيه هو تعامله المباشر مع الفطرة، واستمداده المباشر من رصيدها المكنون، وهو رصيد هائل، ورصيد دائم، وحينما التقى مع هذا المنهج تفجرت ينابيعه الثرية، وفاض فيضه المكنون (قطب، ١٩٨٣، ٤٤).

وفي ماضي الحياة وحاضرها ومستقبلها كان الوحي الألهي ولا يزال العاصم الذي يمسك الأرض ان تزول والحضارات ان يلتبس فيها الرشد بالغي، وان المثل العليا كلها في اطار من اللحم والدم، تستطيع ان تعرفه في يسر من الكتاب الذي جاء به النبي ﷺ، ومن الحكمة التي يتفجر بها منطقه (الغزالي، ٢٠٠١، ٢٠١).

وانطلاقا مما سبق، من عظمة التوحيد والمنهج الألهي، وانعكاساتهما في تربية النشء وبناء النموذج الإسلامي في حراكه الهادف، فإن من مستلزمات العمل بالمنهج الرباني الدعوة اليه، وتمثل مبادئ الدعوة فيه، التي يمكن ادراجها على النحو الآتي

- العلم مفتاح التدين الصادق والالتزام الجاد، ويكن بالقراءة المعمقة المتأنية المفصلة لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ.
- السلوك في كافة حيثيات الإسلام بكل صغيرة وكبيرة منها، وتفاصيلها، مفتاح لتدين الأخرين واثارة دافعيتهم للتعرف عليه.
- اصطباغ الذات بالإسلام بحيث تغيب الذات ويحضر الإسلام، بحيث يحضر الإسلام في حضور ذاتك.
- اعتزازك بالإسلام، وما منحك من مواهب وهدايا، وفي مقدمتها القرآن الكريم، وشعورك انك بالإسلام تملك العالم وطاقة نورانية نادرة من نوعها، يستحيل ان تتواجد مع ملة ونحلة غير الإسلام،
- مواجهة الآخرين لك بالمصاعب والعقبات والفصل من العمل على تدينك ، لهي اكبر دليل على انهم يخافون من تدينك، لأن فيه شئ عظيم.

- الإسـلام ممارسـة وعمـل وسلوك، الإسلام في أكثر الكلمات اختصار، دعوة وتبليغ لدين الله تعالى.
- لا عبرة بالتدين القولي ما لم يعاضده تدين بالسلوك والممارسة والعمل، فالمحك عليه، والعبرة فيه.
- اهـم اسـباب تـشوه صـورة الإسلام في الغرب، هو سلوك المسلمون ذاته الانهزامي الدنـيوي المنـسحب جملة وتفصيلا من مبادئ وقيم الإسلام الخالدة، فالعيب فيهم لا في عظمة هذا الدين.
- الجهـاد هو صورة عالمية واقعية، ومفاد ذلك ان تجاهد ذاتك ومجتمعك والأخرون في حـياتك الشخصية والأسرية والاجتماعية ومكان عملك، وما تواجهها من المصاعب والعقـبات، جهـادك في ان تعكـس دينك في ابهج صورة واجمل معنى، واقوم سلوك، جهـادك في ان تعلـن للعالم ان الإسلام دين سلام ومحبة واخاء، وان الحياة بدأت بأدم وحـواء ثـم انتـشرت الأمـم والخلائـق، فالأصـل واحـد، مهمـا اختلفـنا، وكـان منا الأمريكي والالماني والكندي والياباني، الإسلام دين يوحد العالم في كفة واحدة، ولا عبرة بسلوك مجتمعاته المنهزمة بسبب تخاذلها عن نصرة هذا الدين العظيم.
- الإسـلام ديـن الـسلام، فتحيـته الـسلام، وفـيها معانـي الأمـن والـرحمة والطمأنينة والـتحاب، وديـن العلـم، المـناط بكلمة اقرأ، حيث التدبر والتفكر والفهم المعمق في الإسلام ورسالته، ونشره للناس كافة.
- ايـاك ان تـضيع وقتك، مساحات تواجدك، منظومة المكان، وتيرة الزمان، في حياتك دون ان تصيد فيها صيد للدعوة إلى الله تعالى،
- الإسـلام رسالة جماعية، حيث تتكاتف الأيدي، يعاضد بعضها بعضا، ويسند بعضها بعـضا، وتحقـق سـواد المسلمين، فالفـردية قد تنالها اليأس والإحباط وتشتت الجهد، ولكـن التكاتف الجماعي، يحدث القوة والأسناد والتفاؤل، ويحتفظ بقانون الجذب في العمل، والحراك الهادف المستمر.

- ☒ دومـا ارسـم صـورة جميلة بسلوكك، واطرها بأنك مسلم حتى النحاع، بعزة وفخر، ودع الباقي على الله تعالى.
- ☒ السلوك مفـتاح الـتدين، مفتاح الدعوة، مفتاح لفت الأخر، مفتاح انتزاع الأعجاب، مفتاح اثارة الدافعية، مفتاح التفكر، مفتاح نقلك إنسان من محيط إلى محيط اخر.
- ☒ الكلمـة الطيـبة والعطـاء وحـسن المعاملـة تلـين القلـوب، وتحدث فيها اثراً ومساحة للاستماع والاستجابة.
- ☒ الحـب عـندما يخـترق الكلمـة ويسكن فيها، وينطلق بطاقة نوارنية في مفردات لفظية، يحدث اثراً في الأخر، والأجمل من ذلك ان يكون محض سلوك، مسجى برسالة سامية هي رسالة الدعوة إلى الله تعالى.
- ☒ هـناك ارتـباط بين التدين الصادق الواعي الملتزم بالإسلام، ورسالة الإبداع في الحياة، بحـيث يحول السلوك رسالة، تنبض بالعاطفة الصادقة، ويزينها العلم والحلم، ويشكل روحها الحراك الهادف الذي لا يعرف الملل والإحباط.
- ☒ سـر طاقـة الإسـلام النورانـية، تتـشكل عندما يلتزم المسلم بمبادئ الإسلام بعيداً عن الازدواجـية في الـسلوك، والأعتـزاز بالسلوك، المؤطر بالفهم الصحيح المعمق للدين، في ظل روحه واسراره ومقاصده وحكمتة ولغته العقلية والقلبية معاً.
- ☒ من اهم ما يعين السلوك على الأستقامة على الإسلام، استشعار حضور الهيبة الألهية في القلـب، وتعاهـد العقل والفكرة بالعلم ومجالسه، وتذاكر الآخرة وانها دار المآل لا محالـة، فـتهون الدنـيا ومالهـا ومتاعها الزائل، ومنظومة همومها الصارفة عن الطاعة، فـيغدو الهـم همـاً واحداً، فتستجمع الطاقة والقلب والعقل معاً في ظل هدف واحد، هو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

والإيمـان بـدين الله من مقتضاه ان ينهض المؤمن لينصر ما آمن به، وليقيمة الأرض، ولـيحققه في حـياة الـناس، فدين الله ليس مجرد تصور اعتقادي، ولا مجرد شعائر تعبدية، إنما هـو مـنهج واقعي للحياة، ونظام محدد ينظم شؤون هذه الحياة، والمنهج والنظام في حاجة إلى

نـصرة وتعزيـز وإلى جهد ومجاهدة لتحقيقه ولحمايته بعد تحقيقه، والا فما وفى المؤمن بالميثاق (قطب، ١٩٨٧، ٢/ ٣٤).

فالتوحـيد المطلـق لله سـبحانه يقتـضي توحـيد ديـنه الـذي ارسل به الرسل للبشر، وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة للناس، وكل كفر بوحدة الرسل او وحدة الرسالة هو كفـر بوحدانـية الله في الحقـيقة، وسـوء تـصور لمقتـضيات هـذه الوحدانـية، فدين الله للبشر ومـنهجه للـناس هـو هـو، لا يـتغير اساسـه، كمـا أنـه لا يـتغير في مصدره (قطب، ١٩٨٧، ٢/ ٣٥).

والمـنهج الرباني مـرتبط بالرسـل، فالرسل موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة للإنذار والتبشير، موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة مـن البشر، نـوح وابـراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وايوب ويونس وهـارون وسـليمان وداود وموسـى وغيرهم، ممن قصهم الله على نبيه ﷺ في القرآن، وممن لم يقصصهم عليه، موكب من شتى الأقوام والأجناس، وشتى البقاع والأراضي في شتى الأونة والأزمـان، لا يفـرقهم نـسب ولا جـنس ولا ارض ولا وطـن ولا زمن ولا بيئة، قال تعالى:

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ (النساء: ١٦٣)، كلهم اتى من ذلك المصدر الكريم، وكلهم يحمل ذلك النور الهادي، وكلهم يؤدي الأنذار والتبشير، وكلهم يحاول ان يأخذ بزمام القافلـة البـشرية علـى ذلـك الـنور، سـواء مـنهم من جاء لعشيرة ومن جاء لقوم، ومن جاء لمديـنة، ومـن جـاء لقطـر، ثم من جاء للناس اجمعين، محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، كلهم تلقـى الوحي من الله، فما جاء بشيء من عنده، اولئك الرسل من قص الله على رسوله منهم ومـن لم يقـصص، إذ اقتـضت عدالـة ورحمـته أن يبعث بهم إلى عباده يبشرونهم بما اعده الله للمؤمـنين الطـائعين من نعيم ورضوان، وينذرونهم ما أعده الله للكافرين العصاة من جحيم

وغـضب، كـل ذلك ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥)، أولئك الحجة البالغة في الأنفس والآفـاق، وقـد اعطـى الله البشر من العقل ما يتدبرون به دلائل الأيمان في الأنفس والآفاق، ولكنه سبحانه رحمة منه بعباده، وتقديراً لغلبة الشهوات على تلك الأداة العظيمة التي اعطاها لهـم – اداة العقـل – اقتـضت رحمـته وحكمـته ان يرسـل الـيهم الرسـل مبشرين ومنذرين، يذكـرونهم ويبـصرونهم، ويحاولـون استنفاذ فطرتهم وتحرير عقولهم من ركام الشهوات التي تحجـب عـنها، او تحجـبها عـن دلائـل الهـدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق (قطب، ١٩٨٧، ٢/ ٣٨).

فمـا أرسل الله الرسل الا ليطاعوا، وما انزل الكتاب الا ليحكم بين الناس بالقسط، كمـا جاء في الأيات الأخرى، وكلهم اوتي الحكمة، واوتي النبوة، واولئك الذين وكلهم الله بديـنه، يحملـونه على الناس ويقومون عليه ويؤمنون به ويحفظونه، ان دعوات الأنبياء حقيقة قديمـة امـتدت شجرتها، وموكب موصول تماسكت حلقاته، ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسـول، وأمن بها ويؤمن من يقسم الله له الهداية بما يعلمه من استحقاقه للهداية، وهو تقرير يـسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العصبة المسلمة اياً كان عددها، ان هذه العصبة ليست وحدها، ليست مقطوعة من شجرة، انها فرع منبثق من شجرة اصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصولة اسبابه بالله وهداه (قطب، ١٩٨٧، ٢/ ٤٠).

فالرسـول بـشر يرسـله الله ليبـشر ويـنذر، وهنا تنتهي وظيفته وتبدأ استجابة البشر، ويمـضي قـدر الله ومـشيئته مـن خـلال هـذه الاسـتجابة، وينتهـي الأمـر بالجـزاء وفـق هذه الاسـتجابة، فمـن أمن وعمل صالحا يتمثل فيه الأيمان فلا خوف عليه، ولا هو يحزن على ما اسـلف، فهـناك المغفـرة علـى ما اسلف، والثواب على ما اصلح، ومن كذب بايات الله التي جـاءه بهـا الرسـول، يمـسهم العذاب بسبب كفرهم، ويريد الله ان يدرك الناس طبيعة النبوة، ويعـرفوا ان الرسل بشر منهم اختارهم الله وحدد وظيفتهم، وما هم بقادرين ولا محاولين ان يتجاوزا حدود هذه الوظيفة (قطب ،١٩٨٧، ٢/ ٤٦).

فلقد اختار الله عز وجل نبينا محمد ﷺ لأعظم رسالة ارسلها الله تعالى، ختم بها النبوات، ايدها بالمعجزات الباهرات التي تجعل العقل يمتلئ قناعة ويذعن اذعاناً كاملاً لصدق النبوة، وجعلها الرسالة السامية الكاملة الشاملة المهيمنة على الرسالات السماوية جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة: ٤٨)، ولتكون واجبة الأتباع إلى يوم القيامة، ارسلها رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) واوجب اتباعها على الخلق اجمعين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨) وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨)، فقد ارسله بالهدى ودين الحق، وجعله السراج المنير الذي انار الدنيا برسالته العظمى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٥- ٤٦)، وجعله اشرف الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة، وسيد الأولين والأخرين، وحبيب رب العاليمن، واصطفاه لأنزال اشرف كتبه عليه، القرآن العظيم، وجعله اهلا لفضل الله العظيم، ، وكتب اللعنة في الدنيا والآخرة مع العذاب المهين في الآخرة على من يؤذيه بأي نوع من الأذى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٧) ونظراً لما اختصه الله تعالى به من الكمالات والصفات الكريمة والشمائل العطرة جعله المثل الأعلى واصطفاه خير قدوة للبشر اجمعين، فخير قدوة على الإطلاق هو رسول الله ﷺ الهادي البشير المبعوث رحمة

للعالمين، صاحب الموقف المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين الذي اختصه ربه جل جلاله من بين سائر خلقه بالخلق العظيم، واورد الطبري (١٩٨٤، ٢٩/ ١٨)، في تفسير الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (القلم: ٤)، ما رواه جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة ﵂ فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن" ومعنى هذا انه ﷺ صار امتثال القرآن امراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما امره القرآن فعله، ومهما نهاه تركه، مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل ، فمن تمام نعمته عليه ﷺ ان جعله حبيبه، واقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المحل الأعلى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأسود والأحمر، واحل له ولأمته الغنائم، وجعله شفيعاً مشفعاً، وسيد ولد ادم، وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه، وجعله احد ركني التوحيد (البياتي، ٢٠٠٦، ٩٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾(القلم: ٤) أي: عليٌّ به، مُستَعْلٍ بخلقك الذي منَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩)، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله

عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على كل خلق جميل، فكان له منها، أكملها وأجلّها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً، إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بِشْرَهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان ويحتمله غاية الاحتمال، وقال تعالى مخاطبا المؤمنين ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ١)، أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

وجاء في كتاب الشفا، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال على ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال، من فضيلة النبوة والرسالة، والخلة والمحبة، والأصطفاء والأسراء، والرؤية والقرب والدنو، والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث على الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد ادم، ولواء الحمد والبشارة والنذارة، والمكانة عندي ذي العرش، والطاعة والأمانة، والهداية

والـرحمة للعـالمين، واعطـاء الرضـا والسؤال، والكوثر، وسماع القول، واتمام النعمة، والعفو عمـا تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة والتأيـيد بالملائكـة، وايـتاء الكـتاب والحكمـة والـسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة والـدعاء، والحكم بين الناس بما اراه الله، واجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم واسماع الـصم ونـبع المـاء بين اصابعة وتكثير القليل وانشقاق القمر والنصر بالرعب والأطلاع على الغـيب وظـل الغمام وتسبيح الحصى وابراء الألأم والعصمة من الناس إلى ما لا يحيط بعلمه الا مانح ذلك ومفضله به، لا اله غيره، إلى ما اعد الله له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجـات القـدس، ومراتب السعادة، والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانـتها الـوهم، قـال الـنبي ﷺ: "فـضلت علـى الأنبـياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالـرعب وأحلـت لـي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وخـتم بي النبيون" (مسلم، د. ت، ١/ ٣٧١)، وقال ﷺ "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" (مسلم، د. ت، ٤/ ١٧٨٢)، وبيدي لواء الحمد ولا فخـر، وما نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي "وقد ارشدنا الله تعالى إلى اتخاذه قدوة قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحـزاب: ٢١)، واتخـاذ الرسول ﷺ قدوة حسنة يقتضي التأسي به في سـائر افعالـه واحـواله وصـفاته عـدا خصوصياتها وما كان مقتصراً صفة النبوة (البياتي، ٢٠٠٦، ١٠٠).

وإذا فـات المـسلم الـيوم صحبة رسول الله ﷺ فلا يفوته ان يصاحبه مصاحبة شعور وتفكـر؛ فيستـشعر نفـسه في مجلـسه وبـين يديـه يـتعلم منه كما تعلم أصحابه الأبرار، ويراه ويـسمعه مـن خـلال افعالـه واقـواله ﷺ، ومـن خلال دراسة سيرته العطرة وشمائله الكريمة وأخلاقـه العظـيمة؛ فيقـتدي بـه في كـل ذلـك، بعد ان تنشأ في نفسه المحبة الصادقة لشخصه الكـريم، والـتعلق بـه تعلقـاً يمـلأ شـغاف القلـب، فيجد المؤمن نفسه منساقاً إلى الأقتداء به، ومحاكاتـه في افعالـه وصـفاته بدافـع المحـبة والأشتياق، ويدخل في باب الأسوة والقدوة ايضا

الأقتداء بسيرة الصالحين صحابته الأبرار، وال بيته الأطهار والخلفاء والخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأصحاب بدر وكل من مدحهم القرآن واثنى عليهم؛ كأصحاب بيعة الرضوان الذين قال فيهم: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح: ١٨) الذي قال فيهم محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٨) والأنصار الذين قال فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الحشر: ٩) واهل البيت الأطهار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ومن هنا فقد اقام الله على طريق الجنة دعاة يدعون اليه، ويدلون عليه هم الأنبياء، كما قام على طريق النار، دعاة يدعون اليه، ويرغبون فيه من الشياطين، وجعل العلماء ورثة الأنبياء ،فاطمة بنت محمد ما ورثت مالا ولا عقاراً والعلماء ورثوا منه هذه الدعوة، فمن قام بها حق قيامها استحق شرق هذا الميراث (الطنطاوي، ١٩٨٩، ١٧).

انطلاقاً مما سبق فإن التزام عقيدة التوحيد والمنهج الرباني تخلق في المسلم روحية عالية، وإن من خصائص الروحية الكبرى انها تقدح زناد النشاط الإنساني فيمن اقترب

منها، وتطلق قواه الكامنة ليخدم الحقيقة الكبرى في حدود ما اوتي، ومن هنا تبرز اهمية النبوة، فهم يهيئون لأتباعهم وحوارييهم فرصاً اوسع لإحراز الكمال، ثم لغرسه في الدنيا، لتحلو هذه الدنيا وتعلو، وتنال من ينابيع الحياة العاطفية والفكرية في نفس الرسول الكريم ﷺ، التي هي ثمرة معرفته الساطعة بالله، وذكره الدائم واخذه بنصيبه الضخم من معاني الكمال في اسمائه الحسنى، من خلال اعتباره القدوة الحسنة، والتزامها في سلوكاته في الحياة (الغزالي، ٢٠٠١، ٢١٠).

العلم

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالعلم، وسخرت في العصور الإسلامية الاولى، كل السبل المتاحة للتعلم، وجلس الطلبة بين يدي العلماء، حيث اسست المدارس الإسلامية، التي كانت تستقطب العلماء الأجلاء، واهتم السلاطين بالعلم انذاك؛ وسخرت اوقاف الأغنياء للعناية بطلبة العلم، وتوفير كافة مستلزمات العلم لهم، وكان من العلماء الأغنياء، من يخصص من ماله، حصة لإنفاقها على طلبة العلم، ومنهم الأمام ابو حنيفة.

ونال العلم هذه المكانة العلية، من التوجيهات الربانية، التي اكدتها نصوص السنة الشريفة، في رفع مكانة العلم والعلماء، واهتم العلماء الأوائل امثال الإمام الغزالي بالعلم الذي يوصل إلى الدار الآخرة، فكان مصطلحه بشأن الفقية كل الفقية أي حق الفقية هو الذي امتلك علم الآخرة، وكيفية ايثارها في كل شئ في الدنيا، وتعلم علم اصلاح القلوب، وتطهير النفس من المفاسد، وشكر النعمة، وقد نعى على زمانه في دروس العلم الذي تسرد فيها النصوص الشرعية والأحاديث سردا سردا، أي لغة التنظير، لأن العلم الحقيقي هو اعمال العقل في التدبر والتفكر في عظمة الله تعالى واياته المبثوثة في الكون، وتعداد نعمه تعالى علينا، وعدم الأمن من مكره، وعدم ترك القرأن وتعاليمه إلى غيره.

وانطلاقا مما سبق فقد اهتم الإسلام بالتعلم ويقصد بالتعلم في ضوء المنهج الإسلامي، قدرة المتعلم على تحصيل المعاني والمفاهيم، بطريقة مباشرة وغير مباشرة عبر وسائل الأتصال اللفظي وغير اللفظي المتنوعة وتتم عملية التعلم عبر وسائل الأتصال اللفظي وغير اللفظي كل من المؤسسات العلمية المختلفة مثل المسجد والكتاب والدرسة والجامعة والومجالس العلماء والندوات والمناظرات في العصور الإسلامية الأولى.

وتنوعت وسائل التعلم، من اطر مباشرة ذاتية، تستند إلى البعد المعرفي، ومنها إلى وسائل تستند إلى بعد الممارسةالعملية لتغدو الفكرة، خبرة عملية، إلى تعلم انفعالي من خلال تأثر الوجدان بالترغيب والترهيب.

ومـن هنا فقد كانت وسائل التعلم متنوعة، منها ما يكون من خلال القصة والشرح والمناقشة والحوار والتعليل والتحليل، بحيث يدركها المتعلم ما تتضمنه من معلومات ومفاهيم وحقائق فيحفظها او يدونها او بهما معاً ليقف من خلالها على الجانب المعرفي.

ومنها ما يستند إلى اطر عملية، تتضمن مهارات وممارسة، فتتحول الفكرة من حيزها المعـرفي، إلى خـبرة عملـية معاشـة، بل وتحمل معها معاناة (مجاهدة) واستخلاصات، فتخرج بـذلك من اطارها النظري، إلى اطارها التطبقي العملي، ووتتحول إلى خبرة معاشة في الحياة، وبذلك تترسخ المعلومة، ومن امثلة ذلك؛ العبادات والأخلاق، إذ تتعلم من خلال التوظيف العملـي، باعتـبارها مـنظومة مـن المهـارات والـسلوكات العملـية، وحفلـت مواطن الجهاد، بمـساحات مـن الـتعلم الذاتـي، لموضـوعات تخـص الشجاعة والتضحيات، وكذلك مواقف التطوع والتكافل الأجتماعي ورعاية ذوي الحاجة في المجتمع المسلم، والتعاون على ذلك.

وهـناك مـا يعـرف بالـتعلم، مـن خـلال مؤثـر الـوجدان والانفعـالات، من خلال الترغيب والترهيب، ويستند إلى تأمل الفكرة التي يوردها الشرع، وما ترتبط به من سلوك، إذ يعد دافعاً مهماً للتعلم، والنصوص الشرعية حافلة، بهذا النمط من التعلم.

ومـن هنا تبرز المكانة العلية للعلم في الإسلام، فقد حث الإسلام على طلب العلم، والعلـم هو نقيض الجهل، وإدراك الشئ على حقيقته، اوالأعتقاد الجازم المطابق للواقع، وهو يشمل في الرؤية الإسلامية كل المعارف والعلوم على اختلاف انواعها وتخصصاتها.

والعلـوم في الرؤية الإسلامية منها ما هو متعلق بالأمور الشرعية التي تبين بالأحكام الـشرعية، وتفـصيل كيفـية العبادات والمعاملات، وتنظيم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره مـن الأفـراد والجماعـات، ويعـد هذا النوع من العلم من اشرف العلوم، لأنه صادر من عند الله تعالى، ويحقق الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة.

امـا العلـوم الأخـرى الـتي يحـتاجها الـناس، ويـشبعون بهـا حاجاتهم ليتمكنوا من الاستمرار في معيـشتهم، ولهـا صـلة بالكـون والحياة، وقد حث الإسلام على تعلمها وعدم اهمالهـا، لأنهـا سـبب لرقـي الافـراد والمجتمع المسلم، إلى افضل المستويات المادية التي تسهل عليه وسائل العيش ومستلزمات الحياة، ويؤهل الأمة المسلمة لتكون امة عزيزة، وليست عالة

على الأمم، تستهلك خيرات الأمم، ولاتنتج، وتكون رقماً ليس ذا اهمية في مسارات التقدم العلمي والصناعي والتقني والعسكري والعمراني وغير ذلك، وهذا من متطلبات العمارة المادية في الكون، حيث حث الإسلام على ارتباطها بالعمارة المعنوية، بحمل رسالة التوحيد في الأرض.

وهناك ارتباط بين العلم ورسالة التوحيد، لأنها أساس كل علم، فرجاحة العقل تتحدد في ضوئها، فكما ورد في السنة الشريفة، أرجحكم عقلاً، أعرفكم بالله تعالى، ولا يسمى المجنون مجنوناً بل مبتلى، لأن المجنون هو من عصى ربه، فالجنون الحقيقي، هو فقد العقل الذي يوصلك إلى التوحيد ومعرفة الله عز وجل.

ومن الدلالات على مكانة العلم العظيمة في الإسلام، ان اول اية نزلت، تضمنت الأمر بالقراءة، والأشارة إلى العلم والكتابة، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق: ١-٥)، فإنه تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه، لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس، تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها، على جزاء ولا شكور (السعدي،٢٠٠٢).

ولقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأيات التي تحث على العلم، وتأمر به، وترغب الإنسان في النظر في الكون والحياة، لسبر اغوارها والأستفادة من خيراتها، وكذلك التدبر في خلق الإنسان، وما تجلى فيه من عظمة الله في خلقه، تقتضي التدبر والتفكر، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (الطارق: ٥- ٧).

وفي مجال الكون ومعرفة المواقيت والحساب، حث القرآن الإنسان على معرفة ههذ الأمور وكيفية الأستفادة مما يحيط به من عوالم وافلاك، يقول تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٨٩)، أي: جعلها الله تعالى، بلطفه ورحمته، على هذا التدبير. يبدو الهلال ضعيفاً في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم، من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج، وكذلك تعرف بذلك أوقات الديون المؤجلات، ومدة الإجارات، ومدة العدد والحمل، وغير ذلك مما هو من حاجات الخلق. فجعله تعالى حساباً يعرفه كل أحد، من صغير وكبير، وعالم وجاهل، فلو كان الحساب بالسنة الشمسية، لم يعرفه إلا النادر من الناس (السعدي،٢٠٠٢).

ومن النصوص في هذا الصدد ايضا، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس: ٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٧).

وأشارت النصوص القرآنية إلى ان طلب العلم والحث عليه، لايقفان عند، وهو دائر مع مبدأ الأستمرارية، فإسلام يطلب من المسلم، الأستمرار في طلب المزيد منه، وعدم الوقوف عند حد معين من العلم لايتجاوزه، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

(طـه: ١١٤)، فعلـم الإنـسان بالنسبة إلى حقيقة الوجود، واسرار الكون التي اودعها الله فيه، شئ لا يكاد يذكر، لقلته وضآلته.

وارتـبط العلـم، بالتطبـيق العملـي، والـورع والأنابة لله تعالى، إذ ان ذلك المقدمات المنطقـية، لخـوض غمـار العلـم، متحلياً بالخشوع والتبتل بين يدي الله تعالى، وشعارهم قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقـد ذم الله تعـالى الذين يقولون ولا يعملون قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف: ٢- ٣).

واهـتمت الـسنة الشريفة بالعلم وحضت عليه، وادرج ثلة من النصوص الواردة في هذا الصدد: قوله ﷺ "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (مسلم، د.ت، ٢/ ٧١٨).

وقوله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلـم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء فإذا ذهـب العلمـاء إتخـذ الناس رؤساء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل" (الهيثمي، ١٩٨٦،١/ ٢٠١).

وقـوله ﷺ أبـي الـدرداء قـال سمعت رسول الله ﷺ يقول "موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمـة لا تـسد،هو نجـم طمـس ومـوت قبيلة أيسر لي من موت عالم" (الهيثمي، ١٩٨٦، ١/ ٢٠٢).

قال ﷺ "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" (الترمذي، د.ت، ٥/ ٥٠).

قـال ﷺ "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" (الترمذي، د.ت،٥/ ٥٠).

وعـن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال "تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٢٨٨).

وروي عن الرسول ﷺ "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ" (الترمذي، د.ت، ٥/ ٤٨).

وساهمت الرحلة في طلب العلم، في اثراء الحركة العلمية، وتوسعة نطاقها، حيث كان العلماء يرتحلون من قطر إلى قطر، ومن مدينة إلى مدينة، متحملين مشاق السفر والعذابات، في سبيل تحقيق أهدافهم السامية، في طلب العلم، واثراء الذات بالعلوم النافعة المعمقة، حيث لم يحركهم مكسب من مكاسب الدنيا ومتاعها الزائل، بل كانت النية الخالصة الموجهة لله تعالى، هي حراك الدم الذي يجري في عروقهم، لخدمة العلم، واعانة الأمة على التسلح بسلاح العلم امام الأمم.

ولقد لاقى العلم اهتماما لا نظير له، في جهود العلماء الأوائل، والحقبة الذهبية في تاريخ الحضارة الإسلامية، واسست له مؤسساته من المسجد والكتاب والمدرسة التي تقابل ما يعرف بالجامعة اليوم، والجامعة في العصر الإسلامي التي تقابل ما يعرف بالدراسات العليا في التعليم المعاصر، واسهمت تلك المؤسسات في تخريج العلماء، واجيال علمية فذة، ما زال نتاجها العلمي، يزخر بالمعرفة والأسهامات العلمية الإبداعية، وما زالت مصدرا للدراسة والتعلم والتدبر.

ولم تحظ فئة من البشر بما حظي به العلماء في الإسلام، من منزلة وتكريم، يتضح من خلال الآيات القرآنية التي كرم الله تعالى فيها العلماء، ورفع من قدرهم ومنزلتهم قال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٩).

فالعلماء يمتازون على غيرهم من الناس، بما حباهم الله من عقل نير، وفهم ثاقب، وعلم نافع، فهم ليسوا كغيرهم ممن لاعلم عنده ولا معرفة لديه، لهذا كان قدرهم كبيراً

ومنزلتهم رفيعة، ودلالة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة: ١١).

فالعلم أعظم درجة من غيره، ورفع الدرجة يدل على الفضل وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لأن العلماء ورثة الأنبياء وحملة الشريعة، وهم الذين يبينون للناس ما يحتاجونه من امور دينهم ودنياهم، وبهم تقوى الأمة وتزدهر حياتها المادية والمعنوية.

ومن اهم ما يميز العالم عن غيره، انه يدرك ما لايدركه الأخرون، ويعلم ما لايعلمه غيره من حقائق توصله إلى الإيمان بالله تعالى، ومعرفة قدره، وما يليق بجلاله سبحانه، فهو اخشى الناس لله، واقربهم اليه واسرعهم استجابة لأمره ونواهية، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(فاطر: ٢٧- ٢٨).

"وقوله: إنَّمَا يَخْشى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف اللّهَ فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه، وفي الأثران الحكمة هي عين الخشية، لأن رأس كل شيء خشية الله" (الطبري، ١٩٨٤).

فخشية الله تعالى التي يترتب عليها طاعته سبحانه، تعد من اهم ما يميز العلماء الأتقياء العاملون، لذلك كانت لهم هذ المنزلة الرفيعة، والتي بينها الرسول ﷺ "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل

العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ"(الترمذي، د.ت،٥/ ٤٨).

ويرتبط العلم بالأيمان، وكل منهما يدعو للاخر، ويتضح ذلك لمن فهم الحقائق العلمية فهماً صحيحاً، فالعلم يكشف توازن الكون ودقته واتقانه وانسجامه في نظام متناسق، يدل في النتيجة على وجود الخالق العظيم القادر، لأن الدقة والإبداع والأتقان لم تأت مصادفة، وانما ورائها مبدع قادر خالق عظيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (البقرة :١٦٤)

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر:٤١).

وقال العالم لابلاس "ان القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية وكثافتها واقطارها ومداراتها، حددت مدة دوران السيارات حول الشمس والتوابع بنظام مستمر إلى ما شاء الله، لايمكن ان تنسب إلى المصادفة" (نوفل، ١٩٧٣، ٢٢).

فالعلم يدعو إلى الإيمان، ومن هنا كانت الغاية من العلم، الوصول إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده تعالى دون سواه.

وربما برزت اتجاهات حديثة في الدعوة، ولاقت نجاحاً لافتاً للنظر، من خلال الأعجاز العلمي للقرأن والسنة الشريفة، وقد تواترت المراكز العلمية، التي تولى ذلك العلم عنايتها، وتنشر ما توصلت اليه في هذا الصدد، ولقد لاقى هذا البعد من الدعوة، جاذبية مميزة، جعلت الكثير من الغرب، يراجع حساباته، ويبادر للتفكر في الإسلام، ورسالته

الإنسانية الخالدة في الحياة، فيراجع ذاته ومعتقداته، في ضوء سماحة وإنسانية الإسلام، فيبادر حرا في الدخول إلى مظلة الإسلام، كواحد من افراده المخلصين.

ومصادر العلم في الإسلام ثلاثة هي السمع والبصر والفؤاد، وفيما يأتي تعريف عام بـ:

- السمع: ويعد نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، فعن طريقه يستطيع الإنسان الحصول على كثير من المعارف، وعن طريقه وصل الينا كثير من معارف الأمم حديثها وقديمها، من الأحداث التاريخية، وعن طريقه وصل الوحي الالهي للإنسان، ويتعلم الإنسان عن طريق السمع المعلومات التي لم يرها، ولكن رأها غيره، او انتقل خبرها اليه، ويدخل في ذلك عالم الغيب الذي يعجز عن ادراكه، وهي الوحي الألهي الذي جاء به الأنبياء والرسلﷺ، فمجال السمع هو الخبر الصادق الذي لايقع التجربة والاختبار.

البصر: ومن فضل الله تعالى على الإنسان ان وهب له البصر حتى يرى الأشياء ويعرفها ويتدبرها قال الله تعالى:

- أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية :١٧)
- الفؤاد (العقل): إذ به تدرك الحقائق والأشياء التي تصله عن طريق السمع والبصر وغيرها من الحواس، وقد ربط الإسلام بين مصادر العلم السابقة قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٦).

واهتم المسلمين بالمنهج الاستقرائي، الذي حدده القرآن الكريم بالحس والمشاهدة والنظر في مخلوقات الله تعالى، مع ملاحظة ما فيه من ظواهر إنسانية وغير إنسانية للاحاطة بالحقائق العلمية، والإلمام بعناصر المعرفة التي توصل إلى عظمة الله تعالى، في إبداعات تصريفه وتدبيره في الكون، ومن ذلك دعوة القرآن إلى الآتي:

- المشاهدة والنظر في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ (يونس: ١٠١).
- الحس والمشاهدة لما خلق الله من ظواهر كونية، واحاطها بأسلوب الحياة والديمومة، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣ ﴾ (النازعات: ٢٩- ٣٣).
- السير في الأرض: والنظر في بداية الخلق، ومعرفة النشأة الأولى والآخرة، ﴿قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ (العنكبوت: ٢٠).
- السير في الأرض والنظر في عواقب الأمور، قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢ ﴾ (الروم:٤٢). وقال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ﴾ (الأنعام: ١١).
- دعوة العقل إلى التفكر للوصول إلى القدرة الإلهية في الإبداع والخلق، وذلك عن طريق ربط الأسباب بالمسببات، والاستدلال بالأثر على المؤثر، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ

﴿ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٣- ٦٩).

☒ الـربط بين العلم بأيات الله والتفكير والمشاهدة للظواهر الكونية، وبين العلم بأسباب تلـك الظواهـر، وتلك القوانين العلمية التي يستند اليها المنهج العقلاني في الأستقراء والتجـربة والملاحظـة، قـال تعـالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ (الـــروم: ٢٢).

ويتجلـى المـنهج التجـريبي في بحـوث المـسلمين واكتشافاتهم العلمية، ومجال العلوم التطبيقية الإنسانية، كعلم الطب والنبات والصيدلة، وفي مجال العلوم التطبيقية غير الإنسانية، كعلـم الفلـك وعلـم الكيمـياء، وتجلـى كـذلك في علـوم الشريعة واللغة وغيرها، وقد امتاز اسـلوب الـتفكير العلمـي لـدى المـسلمين بالموضـوعية والالتـزام بالأمانة العلمية، والتجرد الموضـوعي في الـبحث عـن الحقائـق العلمـية، ومن امثلة المنهج التجريبي عند المسلمين علم اصول الفقة، الذي يبين علماء اصول الفقه ان الوصول إلى علة الحكم له طرائق عدة منها:

١- الـنص: حـيث يدل النص في القرآن الكريم والسنة الشريفة على علة الحكم، كما في ايجـاب اخذ الفيء للفقراء والمساكين، فإن على هذا الحكم، وعدم حصر المال في ايدي فـئة معيـنة، وقـد اوضـح القرآن الكريم ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ﴾ (الحشر: ٧).

٢- الـسبر والتقـسيم: والمـراد بالـسبر الاختـبار والتقـسيم حصر الأوصاف الصالحة لأن تكـون علـة في الأصـل، ويكـون هذا الطريق في النصوص التي لم يرد فيها نص على عليتها، فيقوم المجتهد بحصر الأوصاف التي توجد في واقعة الحكم، وتصلح لان تكون العلـة مـنها، ويختـبرها وصفاً وصفاً، بحيث يستبعد الأوصاف التي لاتصلح ان تكون عله.

٣- تحقيق المناط: ويكون بأن ينظر المجتهد في تحقيق العلة الثابتة بالنص في واقعة غير التي ورد فيها النص، واعطائها الحكم نفسه.

واهتم المسلمون بالعلوم التطبيقية، فيقول ابن البيطار فيما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخبرة لا الخبر، ادخرته كنزاً.

وارتبط العلم في التربية الإسلامية بالتدوين والتوثيق، واتسمت مناهج البحث عند المسلمين بربانية الغاية وارتباطها بامتثال اوامر الله عز وجل والواقعية، من خلال البحث في الأمور ذات الصلة بواقع الحياة، بحيث يمكن للعقل الإنساني إدراكها، اما عالم الغيب، فلم يكن من الأمور الخاضعة للبحث العلمي عند المسلمين، لن الإنسان لا يصل فيه إلى نتيجة بعقله المجرد مثل الجنة والنار والملائكة، إذ يعتمد المسلمون في امور الغيب على الوحي الذي هو المصدر الوحيد لها، وتتسم ايضاً بالموضوعية ،بأن يرى الباحث الحقيقة كما هي، لا كما يريد ان يراها، بمعنى ان يكون الباحث محايداً، لأن الهدف من البحث الوصول إلى الحقائق، سواء اوافقت هواه ام لم توافقه، وتتسم بالشمول، إذ وضع علماء المسلمين قواعد لتحصيل شتى العلوم مراعين في مناهجهم طبيعة كل علم من العلوم على حدة، فكان لكل مجال من مجالات العلوم منهج خاص للوصول إلى حقائقه، فهناك المنهج القياسي والمنهج الاستقرائي وغيرها مما عرف المسلمون من مناهج البحث.

واهتمت التربية الإسلامية، بتوجيه الأفراد، إلى تلقي العلم النافع، وقد أشار إليها الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (د. ت، ١/ ٤٣)، إذ يقول:

- إن بعض أنواع العلم ضارة، كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع.
- يجب التعوذ من علم لاينفع، وان لايكون المرء بحاثاً عن علوم يذمها الشرع.
- إن السلامة تتحقق في إتباع الهدي الإلهي في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وما يوصيان به من العلم النافع.

- هناك من العلوم ما يضر صاحبها وتؤدي به إلى المهلكة يوم لقاء الله عز وجل، والعبرة بموازين العلم يوم لقاءه تعالى، لا في العلو والشهرة في الأرض.
- اجتهد في تحصيل العلوم التي يكون لك منها شيئاً من الصفاء والنقاء وتسهم في تزكيتك وإصلاحك، وتيسير طريق السالكين إلى الله تعالى.
- اعلم أن من العلوم ما يكون تأثيره تأثير الجهل في الأضرار.
- إن قيمة العلم بالتوفيق من الله تعالى ، فقليل من التوفيق مع العلم خير من كثير من العلم بلا توفيق من الله تعالى.
- اعلم أن العلوم كثيرة، وما أكثرها ولكن ليس كلها بنافع، كما قال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر.

إن ما ينقصنا هو ايمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، او العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، او القنابل مهما بلغت قوتها (قطب، ١٩٧٤، ٨٣).

عن صفوان بن عسال المرادي قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله اني جئت اطلب العلم فقال: مرحبا يا طالب العلم، ان طالب العلم لتحفه الملائكة وتظلله بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا سماء الدنيا من حبهم لما يطلب، والحكمة خشية الله والعلم به وكان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده وكان الرجل لبطلب الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة وقال ابن عيينة إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فما اصنع بالعلم الذي كتبت وروي عن علي بن ابي طالب انه قال: ألا انبئكم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم مكر الله ولم يترك القرآن إلى غيره ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر ،وقال الحسن الفقه هو الورع الزاهد الذي لا يسخر ممن اسفل منه ولا يهمز من فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما فهو الفقيه الزاهد في

الدنيا الراغب في الآخرة البصير في امر دينه المداوم على عبادة الله عز وجل، (الأجري، ١٩٨٥، ٥٠).

وروي عن احدهم "منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب العلم فيزداد رضا الله، واما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان، ثم قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء، ثم قرأ كلا ان الإنسان ليطغى ان رأه استغنى".

فبحسب امرئ من العلم ان يخشى الله وبحسب امرى من الجهل ان يعجب بعلمه، والعالم من خشي الله وخشية الله الورع.

الحـــياة الآخرة

إن المتتبع لنصوص الشرع بشأن توصيف الدنيا، يجدها الدنيا نظاماً قائماً على الضغوطات والإغراءات، فمن هنا فعلى الفرد، ان يجتنب هذين المنزلقين، فيثب عند الضغوطات على امره تعالى، ولا يسقط امام الإغراءات، فيبقى امره تعالى ساكن في قلبه، محرك لجوارحه، قال تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (المدثر: ٥٣). بمعنى انهم لا يخافون الآخرة، اغتراراً بالدنيا، وهذه سمت القوم الكافرين (القرطبي، ١٩٩٨).

ويعد من اسباب مرض القلوب، الأعراض عن امره تعالى، والغفلة التي يحدثها التعلق بالدنيا ومتاعها الزائل، ومن هنا حذر القرآن الكريم من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (القيامة: ٢١)، فإعراضهم عن الآخرة هو الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها؛ لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها، وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل، فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم العواقب نظر البصير العاقل، لنجحتم، وربحتم ربحاً لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه، ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا (السعدي، ٢٠٠٢).

وعباد الدنيا، في غفلة عما ينتظرهم يوم لقائه تعالى من العذاب الشديد؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (طه: ١٢٧)، وكذلك؛ أي هذا الجزاء لمن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوزما أذن له، ولم يؤمن بآيات ربه الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها؛ وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.ولعذاب الآخرة أشد من عذاب

الدنيا أضعافاً مضاعفة، وابقى لكونه لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب، الخوف والحذر من عذاب الآخرة (ابن كثير، ١٩٩٦)، وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (الرعد:٣٤)، فهنا ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك {لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} اي بأيدي المؤمنين قتلاً وأسراً، {وَلَعَذَابُ ٱلآخرة} أي المدخر مع هذا الخزي في الدنيا {أَشَقُّ} أي من هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة» وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبداً في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته (ابن كثير، ١٩٩٦).

والدنيا قائمة على نظام العمل، والآخرة قائمة على نظام الجزاء، فكما يكون الزرع يكون الحصاد، ومن هنا؛ فإن الضال العاصي، الغافل عن امره تعالى، لن ينال الا ما كان من جنس عمله من العقوبة وسوء المآل، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٧٢)، أي من كان اعمى عن الحق، فلم يقبله، ولم ينقد له بل اتبع الضلال. فهو في الآخرة أعمىعن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، وأضل سبيلاًفإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان.

ومن هنا فإن المجاهدة في سبيل الله، والتضحيات التي يقدمها المسلم في سبيله تعالى، يجد لذتها في الدنيا، بحلاوة الأتصال بالله تعالى والتعلق به، وبالآخرة بالأجر العظيم من رب كريم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤١)، فالذين هاجروا في الله بمعنى الذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى

آخرين غيرهم؛ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله. لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً يقول: لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا، وروي عن قتادة، قوله: وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ قال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين، وروي عن الشعبي: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: المدينة، وروي عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم، وظَلَمَهُم المشركون، وقال آخرون: عنى بقوله: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا، وعن مجاهد لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا، عن العوامّ، عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخره لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخرة أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ،وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى لَنُبَوِّئَنَّهُمْ: لنحلنهم ولنسكننهم، لأن التبوأ في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالى: وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صدْق. وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل. ذكر من قال ذلك، فعن داود بن أبي هند، قال: نزلت والَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا... إلى قوله: وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ في أبي جندل بن سهيل، وقوله تعالى: وَلأَجْرُ الآخرة أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ يقول: ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل؛ فعن قتادة، قال: قال الله: وَلأَجْرُ الآخرة أكْبَرُ أي والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (الطبري،١٩٨٤).

وتبرز اهمية العلم بالآخرة وعظمها، على الحراك في الحياة الدنيا، وتوجيهه في ضوء الأهداف الأخروية، ومن هنا يأتي العتاب على عدم الحراك، ان كان اطفأ نوره، الاغترار

بالدنيا الزائلة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة: ٣٨)، يخاطب النص القراني المؤمنون؛ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، ودواعي اليقين، من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه لدينكم، فمالكم تكاسلتم، وملتم إلى الأرض، والدعة، والكون فيها، أي ما حالكم، إلا حال من رضي بالدنيا، وسعى لها، ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها، فما متاع الحياة الدنيا التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة إلا قليل، أفليس قد جعل الله لكم عقولاً، تزنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟ أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة، فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا، حتى يجعله الغاية، التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه، وكده، وهمه، وإرادته، لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار، فبأي رَأْيٍ رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة، من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب (السعدي، ٢٠٠٢).

والعقيدة الإسلامية، تعمق عقيدة الأيمان بأن الله الرازق، وانه مدبر الكون وحاكمه، ومن هنا يتوجه بطلبه من الله تعالى، وتبذل له الأسباب المشروعة، ولكن وفق معادلة الرصد للآخرة لا التكالب على الدنيا، وفي ضوء حقيقة ان المال الحقيقي هو ما تأخذه معك بعد الموت، من الصدقات والأعمال الصالحة الجارية، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ (الرعد: ٢٦)، يقول تعالى ذكره: الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه، لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك. وَيَقْدِرُ يقول: ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار. وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول تعالى

ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته، فقال: وَما الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخرة إلاَّ مَتاعٌ يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة إلا متاع قليل وشيء حقير ذاهب. فكما روي عن مجاهد إلاَّ مَتاعٌ قليل ذاهب، روي عن عبد الرحمن بن سابط في قوله: وَفَرِحُوا بالحَياةِ الدُّنيا وَما الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخرة إلاَّ مَتاعٌ قال: كزاد الراعي يزوّده أهله الكفّ من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن (الطبري، ١٩٨٤).

والإسلام يعلمنا، التعاطي مع الحياة وفق سنن كونية واجتماعية وسلوكية، تعد قوانين حتمية، فمن وجه قلبه وعمله ومسعاه وسهره للدنيا، فهي له، بكل احزانها وصراعاتها وتكتلاتها وانقساماتها، وما ينعكس عليه من تشرذم وقلق وازمات نفسية، وليس له في الآخرة، رصد وعمار، فالمعادلة اما ان تكون مع الدنيا ومتاعها الزائل غافلاً عن الآخرة او تعمل بجد للآخرة، وترصد اعمالك الصالحة في الدنيا ، في ميزان اعمالك يوم لقائه تعالى الآخرة، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: ١٤- ١٦)، يخبر النص القرآني بأن من كانت كل إرادته، مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث. قد صرف رغبته، وسعيه، وعمله، في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته، شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان، يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال، أثر من آثار إرادته الدار الآخرة، ولكن هؤلاء الاشقياء، الذي كأنهم خلقوا للدنيا وحدها نعطيهم ما قسم له، في أم الكتاب من ثواب الدنيا، وهم

فـيها لا ينقصون شيئاً، مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم، فهؤلاء ليس لهم في الآخرة الا النار، خالدين فيها أبداً، لا يُفتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب، إذ بطل واضمحل ما صنعوا في هذه الدنيا مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان (السعدي،٢٠٠٢).

والمؤمن يتعاطى مع الدنيا والآخرة في اطار، جسر لدار بقاء وخلود، يتزود من دنياه بالعمل الصالح، ويعلق امله بأن يكون مرضياً عند ربه يوم لقائه تعالى، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه: وَاكْتُبْ لَنا: أي اجعلنا ممن كتبت له فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وهي الصالحات من الأعمال، وَفي الآخرة ممن كتبت له المغفرة لذنوبه، كما روي عن ابن جريج، قوله: وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً قال: مغفرة، وقوله: إنَّا هُدْنا إلَيْكَ يقول: إنا تبنا إليك.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل، وروي عن ابن عباس: إنَّا هُدْنا إلَيْكَ قال: إنا تبنا إليك.

وروي ايضاً عن سعيد بن جبير، قال: إنَّا هُدْنا إلَيْكَ قال: تبنا إليك، وروي كذلك عن العوام، عن إبراهيم التيميّ، قال: تبنا إليك.، وروي كذلك عن قتادة: إنَّا هُدْنا إلَيْكَ أي إنا تبنا إليك (الطبري،١٩٨٤).

وتاريخ الكفر واحد، لا يتعدد، فملة الكفر تشترك في حقيقة الغفلة عن الآخرة، واسقاطها من حساباتهم، لأن جهدكم بأقصى طاقاته، موجه لدنيا فانية زائلة، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ (النمل: ٦٦)، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: بل أدرك

علـمهم فـي الآخـرة فأيقـنوها إذ عايـنوها حـين لـم ينفعهم يقـينهم بها، إذ كانوا بها فـي الدنـيا مكـذّبـين. وعـن ابن عبـاس «بَلْ ادْرَكَ عِلْـمُهُمْ» قال: بصرهم فـي الآخرة حين لـم يـنفعهم العلـم والبـصر، وقـال آخرون: بل معناه: بل غاب علـمهم فـي الآخرة وفي رواية اخـرى عـن ابـن عبـاس، قوله: «بَلْ ادْرَكَ عِلْـمُهُمْ فِـي الآخرة» يقول: غاب علـمهم، وعن ابـن زيـد، فـي قـوله تعـالى: بَـلِ ادَّرَكَ عِلْـمُهُمْ فِـي الآخرة قال: يقول: ضلّ علـمهم فـي الآخرة فلـيس لهم فـيها علـم، هُمْ مِنْهَا عَمُونَ، وقال آخرون: معنى ذلك: لـم يبلغ لهم فـيها علـم (الطبري،١٩٨٤).

فالآخـرة هـي المعـول، في عمـل المـؤمن في الدنـيا، وهـي مركزه وعصبه، لأنها محل المـستقبل الحقيقـي المنـشود، قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (آل عمـران: ١٥٢)، ولقـد صـدقكم الله وعـده بالنـصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقتم فـيهم قـتلاً، حتـى صـرتم سبباً لأنفسكم، وعوناً لأعدائكم عليكم، فلما حصل منكم الفشل وهـو الـضعف والخـور، وتنازعـتم في الأمـر؛ الـذي فـيه تـرك أمـر الله، بالائـتلاف وعـدم الاخـتلاف، فاختلفـتم، فمـن قائـل: نقيم في مركـزنا، الـذي جعلنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قائل: ما مقامنا فيه، وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور؛ فعصيتم الرسول، وتركتم أمـره مـن بعـد مـا أراكم الله ما تحبون وهو الخذال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله علـيه بما أحب، أعظم من غيره. فالواجب في هذه الحال خصوصاً، وفي غيرها عموماً، امتثال أمـر الله ورسـوله، مـنكم مـن يريد الدنياوهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ومنكم من يـريد الآخـرة وهم الذين لزموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبتوا حيث أمروا، ثم صـرفكم عـنهم، أي: بعـدما وجـدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار

الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم، وامتحاناً، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة، ما صدر منكم، فلهذا قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾، أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم، ومن فضله على المؤمنين، أن لا يقدر عليهم خيراً ولا مصيبة، إلا كان خيراً لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا، جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين (السعدي، ٢٠٠٢).

وعلامة قبول العمل، هي بمقتضى المنهج الرباني، الذي يوجه نحو طلب الآخرة، وعدم الركون للدنيا، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٧)، فالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخرة حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ أي من فعل منهم ذلك، واستمر عليه إلى الممات حبط عمله، حيث لمجازيه بحسب أعماله التي أسلفت إن خيراً فخير وإن شراً فشر وكما تدين تدان (ابن كثير، ١٩٩٦).

والمؤمن يتطلع إلى رحمات الله تعالى، بالنجاة من اهوال يوم القيامة، في حسن ظنٍ بالله تعالى، بأن يكتب له حسن المقامة في نعيمه المقيم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٩)، أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير، كقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (ابن كثير، ١٩٩٦).

والقرآن يعلمنا، انه من المحال ان تكون مقاييس الدنيا مثل مقاييس الآخرة، فالخير والنجاة والفوز في حسن رصد الأعمال الصالحة في حسابات الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يوسف: ٥٧).

أي ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطيناه في الدنيا؛ لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع (القرطبي، ١٩٩٨).

ويرغب الله تعالى في الدار الآخرة والعمل لها، ولا يعي ذلك الا الكيس الفطن، الذي احسن استخدام عقله، في خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٩)، وهنا يرغبهم الله تعالى في جزيل ثوابه ويحذرهم من وبيل عقابه، وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه، أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير (ابن كثير، ١٩٩٦).

ومن هنا لا يمكن ان تكون الدنيا، وهي من الدنو، بمثل الآخرة وهي البقاء السرمدي، ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ

رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (النحل: ٣٠)، وقوله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ يقول تعالى ذكره: للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به حَسَنَةٌ يقول: كرامة من الله، وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ يقول: ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ يقول: ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. إذ روي عن قتادة، قوله: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقُوا ماذَا أنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرا لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وهؤلاء مؤمنون، فيقال لهم: ماذَا أنْزَلَ رَبُّكُمْ فيقولون خَيْرا لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ: أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله، وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه (الطبري،١٩٨٤).

ويوجه الله تعالى المؤمن، في تدبره لأحوال الأمم السابقة، ان ما في سنن الماضين، وقصص الله تعالى للأمم الضالة، ايات للمتعظين، الذين تتقد قلوبهم خوفاً من عذابه تعالى، على الرغم من انشغال جوارحهم في حراك لحوح دؤوب للآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ (هود: ١٠٣).

يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا مَن أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس الآية، يقول: لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجة عليه لربه، وزاجرا يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه، وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بأن الله سيفي له بوعده، وروي عن ابن زيد ، في قوله تعالى: إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِمَنْ خافَ عَذَابَ الآخرة إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة كما وفينا للأنبياء أنا ننصرهم. وقوله: ذلكَ يَوْمٌ

مَـجْمُـوعٌ لَـهُ الـنَّاسُ يقـول تعالـى ذكـره: هذا الـيوم، يعنـي يوم القـيامة، يوْمٌ مـجموعٌ له الـناس، يقـول: يحـشر الله الـناس مـن قبورهم، فـيجمعهم فـيه للـجزاء والثواب والعقاب. وَذَلِـكَ يَـوْمٌ مَشْهُودٌ يقول: وهو يوم تشهده الـخلائق لا يتـخـلف منهم أحد، فـينتقم حينئذ مـمن عصى الله وخالف أمره وكذب رسله، وروي عن مجاهد فـي قوله: ذلكَ يَوْمٌ مَـجْمُوعٌ لَـهُ الـنَّاسُ وذلـكَ يَـوْمٌ مَـشْهُودٌ قال: يوم القـيامة، وعن ابن عبـاس، قال: الشاهد: مـحمد، والـمشهود: يوم القـيامة. ثم قرأ: ذلكَ يَوْمٌ مَـجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ،

وفي روايـة اخـرى عن ابن عباس، قال: الشاهد: مـحمد، والـمشهود: يوم القـيامة. ثم تلا هذه الآية: ذلكَ يَوْمٌ مَـجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، وعن الضحاك قوله: ذلكَ يَوْمٌ مَـجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ قال: ذلك يوم القـيامة، يجتـمع فـيه الـخـلق كلهم ويشهده أهل السماء وأهل الأرض (الطبري،١٩٨٤).

والقـرآن الكـريم يعري ادعاءات الكافرين، بأنه لامحل لها من الصحة، وان الحق، لا يلغـيه افتراءاتهـم، والحقيقة مبثوثة في اياته تعالى الكونية والمسطورة في القرآن الكريم وافعال الله تعـالى، الـتي تعاقـب المتمـرد، وتجـازي المحـسن، فـالله يدهش ان اعطى من عظيم عطائه، ويـدهش اذا عاقـب، مـن عظيـم غـضبه تعـالى، قـال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٩٤).

بمعنـى قـل لهم يا محمد ﷺ على وجه تصحيح دعواهم، إن كانت لكم الدار الآخرة، أي الجـنة، خالـصة مـن دون الـناس؛ كمـا زعمـتم أنـه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نـصارى، وأن الـنار لـن تمسكم إلا أياماً معدودة، فإن كنتم صادقين في هذه الدعوى، فتمنوا المـوت وهـذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله ﷺ وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العـناد مـنهم، إلا أحـد أمرين: إما أن يؤمنوا بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمـر يسير عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلـك، فعلم كل أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال

تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب، ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا، فقال تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم من العذاب شيئاً، والله بصير بما يعملون؛ تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم (السعدي، ٢٠٠٢).

وبيت النبوة يعد اسوة للمؤمنين، حيث اخترن امهات المؤمنين الله ورسوله والدار الآخرة، وهن اسوة لكل مؤمنة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٩)، فقد اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، وفي مرادهن متعنتات شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهراً، فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾، أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن إرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال، فتعالين أمتعكن شيئاً مما عندي، من الدنيا وأفارقكن من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة؛ أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لما تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً؛ أي رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات

الرسـول فـإن مجـرد ذلـك، لا يكفي بل لا يفيد شيئاً مع عدم الإحسان. فخيَّرهن رسول الله صـلى الله عليـه وسلم في ذلك، فاخترن كلهن الله ورسوله، والدار الآخرة، لم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن، وفي هذا التخيير فوائد عديدة (السعدي، ٢٠٠٢):

- ☒ الاعتـناء برسـوله، والغـيرة علـيه، أن يكـون بحالـة يـشق علـيه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.
- ☒ سـلامته صلى الله عليه وسلم، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حـرية نفـسه، إن شـاء أعطـى، وإن شـاء منع، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾.
- ☒ تنـزيهه عمّـا لـو كـان فـيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.
- ☒ سـلامة زوجاته، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله. فحسم الله بهـذا التخيير عـنهن، التسخط علـى الرسـول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.
- ☒ إظهـار رفعـتهن، وعلـو درجـتهن، وبـيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.
- ☒ اظهار استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر المختار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.
- ☒ ظهـور المناسـبة بيـنه وبيـنهن، فإنـه أكمـل، وأراد الله أن تكـون نـساؤه، كـاملات مكمـلات، طيـبات مطيـبات، قـال تعـالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

- أن هـذا التخـيير داع، ومـوجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويـزول عـنهن جـشع الحـرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.
- الحـث على أن يكون اختيارهن هذا، سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة لـيس فـيها أحـد من النساء، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (٣٢) وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا (٣٣) وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴾ (الأحزاب:٣٢- ٣٤).

ويعـد مـن سمـات الكفـرة، الـسخرية بالمـآل، وتكـذيب الرسـالات والدعـوات، وتـشويهها، وهـم مقـيمين علـى شـهواتهم وشـبهاتهم، لا يغادرونهمـا قـيد انملـه، ومن هنا تـوعدهم الله بالعـذاب المقـيم، قـال تعـالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ (١٦) ﴾ (الروم: ١٦)، والمقصود بلقاء الآخرة هنا الـبعث، فـتوعدهم الله تعـالى بـأنهم في العـذاب مقيمون. وقيل: مجموعون. وقيل: معذبون. وقيل: نازلون (القرطبي، ١٩٩٨).

وقـال العلمـاء بـأن المجالـسة مجانـسة، ومـن هـنا يبرز اثر الرفقة الصالحة، ومصاحبة الـصالحين، الموقـنين بالآخـرة، فالـصحبة تنشر ما ينضح بدلوها من خير أو شر، فإما نصح

ودعـم في طـريق الحـق، والمـؤمن نافع وخير حيثما حل، او تثبيط وصد عن سبيل الله تعالى، والكافـر لـؤم وانانـية وشـر حيـثما حل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الممتحنة: ١٣).

يقول الله تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الممتحنة: ١٣)، واختلف أهل التأويل في تأويل قـوله: قَـدْ يَئِسُوا مِنَ الآخرة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحاب القُبُورِ فقال بعضهم: معنى ذلك: قـد يـئس هـؤلاء القـوم الـذين غـضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة، وأن يُبعـثوا، كمـا يـئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم، وروي عـن ابـن عباس قوله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... الآية، يعني من مـات مـن الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وروي عـن الحسين أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخرة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحاب القُـبُورِ قـال: الكفـار الأحياء قد يئسوا من الأموات، وروي عن قتادة في قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخـرة يقول: يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا، وفي روايـة اخـرى عـن قـتادة .قوله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِـسُوا مِنَ الآخرة... الآية، الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره، وروي عن الضحاك انه كان يقـول في قـوله: قَـدْ يَئِسُوا مِنَ الآخرة، كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحاب القُبُورِ يقول: من مات مـن الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وقال آخرون: بل معنـى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها، ويغفر لهم، كما يئس الكفار الذي هم أصـحاب قـبور قـد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة، لأنهم قد أيقـنوا بعـذاب الله لهـم، وعـن مجاهـد، في قـوله قَـدْ يَئِسُوا مِنَ الآخرة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ

أصحاب القُبُورِ قال: من ثواب الآخرة حين تَبين لهم عملهن، وعاينوا النار،وعن عكرمة أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخرة... الآية، قال: أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة، وقال الكلبي قد يئسوا من الآخرة، يعني اليهود والنصارى، يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها، كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار، وقال ابن زيد، في قول الله: لا تَتَوَلَّوْا قَوْما... الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا، عن منصور، في قوله: يَئِسُوا مِنَ الآخرة... الآية، قال: قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عاينوا العذاب والهوان.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم، وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون (الطبري،١٩٨٤).

وتحذر النصوص القرآنية، من الانسحاب عن المهمة الخطيرة، التي اوكلت بالإنسان في الأرض، في رسالة التعمير الإيمانية والكونية، ومن هنا فعندما ينشغل الفرد بالدنيا ومتاعها الزائل، فإنه في الواقع يمارس حراكاً سمته اللهو بما فيه من تضييع الجهد، ولعب بما فيه من الخروج عن الهدف، بمعنى انه يصرف ذاته عن اصل مهمته في الحياة، قال تعالى: ﴿ وَمَا

هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت:٦٤). فهنا يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، إذ انها في حقيقتها لهو ولعب تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة. ثم تزول سريعاً، وتنقضي جميعاً، ولم يحصل منها محبها، إلا على الندم والخسران، والدار الآخرة هي الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها، في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها، كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذة، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت. ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلو كانوا يعلمون لما اثروا الحياة الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، تدل ذلك إن الذين يعلمون لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين،ثم ألزم تعالى، المشركين بإخلاصهم لله، في حال الشدة، عند ركوب البحر، وتلاطم أمواجه، وخوفهم الهلاك، يتركون وقتذاك أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له. فلما زالت عنهم الشدة، ونجى مَنْ أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به، من لا نجاهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة. فهلا أخلصوا لله الدعاء، في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه، ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته الكفر بما رتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، فسوف يعلمون حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف، وأليم العقوبة، ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن، وسعة وزرق، والناس من حولهم، يتخطفون ويخافون. فلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف (السعدي، ٢٠٠٢).

وتخبر النصوص القرآنية بأن مفتاح النجاة، بالالتزام بالمنهج الرباني "دليل الصانع"، في إسلامنا الحنيف، حيث يتضمن ما فيه استجابة لنداءات الفطرة الكامنة في اعماقنا، ومخاطبة ناضجة للعقل، وحراك هادف، موجه إلى الآخرة، التي هي محل المستقبل المنشود، في احلى صورة له، حيث النعيم المقيم، لا العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥)، فهنا من ابتغى غير الأيمان وأصوله المشرعة في الإسلام، فعمله مردود، وليس له دين يعول عليه. فمن زهد عنه، ورغب عنه، فأين يذهب؟ إلى عبادة الأشجار والأحجار والنيران؟ أو إلى اتخاذ الأحبار والرهبان والصلبان، أو إلى التعطيل لرب العالمين؟ أو إلى الأديان الباطلة، التي هي وجه الشيطان؟ وهؤلاء كلهم في الآخرة من الخاسرين (السعدي،٢٠٠٢)

ويتوجه المسلم بالدعاء مخبتاً لله تعالى، بأن يوفقه لخير الدنيا ويسدده، وان يكرمه بحسن المقام في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١)، واختلف أهل التأويل في معنى الحسنة التي ذكر الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: يعني بذلك: ومن الناس من يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة، وروي عن قتادة؛ قال: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية، وقال قتادة: وقال رجل: اللهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض مرضا حتى أضنى على فراشه، فذكر للنبيّ صلى الله عليه وسلم شأنه، فأتاه النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقيل له: إنه دعا بكذا وكذا، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لا طاقَةَ لأَحَدٍ بِعُقُوبَةِ اللَّهِ، وَلَكِنْ قُلْ: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخرة حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّار» فقالها، فما لبث إلا أياما أو يسيرا حتى برأ، وروي عن انس بن مالك انه قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد صار مثل الفرخ المنتوف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ، أوْ تَسألُ اللَّهَ شَيْئا؟» قال: قلت: اللهمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعاقبني به في الدنيا.

قال: «سُبْحانَ اللّهِ هَلْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ أحَدٌ أوْ يُطِيقُهُ فهَلاَّ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وفِي الآخرة حَسَنَةً، وَقِنا عَذَابَ النَّارِ»، وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بالحسنة في هذا الموضع: في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، وروي عن الحسن: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخرة حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، ورويعن الحسن في قوله: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وفِي الآخرة حَسَنَةً، وَقِنا عَذَابَ النَّارِ قال: العبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وروي عن الحسن في قوله: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: الفهم في كتاب الله والعلم، حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوري يقول هذه الآية: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخرة حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفي الآخرة حسنة: الجنة.وقال آخرون: الحسنة في الدنيا: المال، وفي الآخرة: الجنة، وقال ابن زيد: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخرة حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ قال: فهؤلاء النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، وروي عن السدي وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخرة حَسَنَةً هؤلاء المؤمنون أما حسنة الدنيا فالمال، وأما حسنة الآخرة فالجنة، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله، ممن حجّ بيته، يسألون ربهم الحسنة في الدنيا، والحسنة في الآخرة، وأن يقيهم عذاب النار. وقد تجمعُ الحسنة من الله عزّ وجل العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك والعلم والعبادة. وأما في الآخرة فلا شك أنها الجنة، لأن من لم ينلها يومئذٍ فقد حرم جميع الحسنات وفارق جميع معاني العافية، وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات بالآية لأن الله عز وجل لم يخصص بقوله مخبرا عن قائل ذلك من معاني الحسنة شيئا، ولا نصب على خصوصه دلالة دالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فالواجب من القول فيه ما قلنا من أنه لا يجوز أن يخصّ من معاني ذلك شيء، وأن يحكم له بعمومه على ما عمه الله، وأما قوله: وَقِنا عَذَابَ النَّارِ فإنه يعني بذلك:

اصرف عنا عذاب النار، يقال منه: وقيته، كذا أقيه وقاية وواقية ووقاء ممدودا، وربما قالوا: وقاك الله وَقْيا: إذا دفعت عنه أذى أو مكروها (الطبري،١٩٨٤).

وكل شيء مرصود يوم القيامة، وكل فرد سيلقاه كتابه منشورا، ان خيراً فخير، وان شراً فشر، والخسارة العظيمة، هي بيع الآخرة بعرض فاني زائل من الدنيا، لاقيمة له جملة وتفصيلا، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٢)، ويشير النص الكريم إلى انه لما جاء هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله، الذي أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون، ولما كان من العوائد القدسية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

﴿كذلك﴾ هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبةٌ في ذٰلك فلم يستعمله سليمان، بل نزَّهه الصادق في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ولكن الشياطين كفروافي ذٰلك يعلمون الناس السحر؛من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذٰلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر. وما يعلمان من أحدٍ حتى ينصحاه، بمعنى لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة، فهٰؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه، ثم ذكر مفاسد السحر، فقال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾، مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة؛ ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين، ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية

كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾، فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داعٍ أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المامورات، إما مصلحة محضة، أو خيرها أكثر من شرها، ولقد علموا، أي: اليهود لمن رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة، ما له في الآخرة من نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، علماً يثمر العمل ما فعلوه (السعدي، ٢٠٠٢).

وعدالة الله تعالى، تحكم شريعته تعالى، حيث يجازى كل فرد على عمله، فطلاب الآخرة، تجارتهم رابحة في المضاعفة والزيادة، وطلاب الدنيا ليس لهم من الدنيا الا ما اخذوا، وقدر لهم في نصيبهم، لذلك هم يتكالبون على الدنيا، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الشورى: ٢٠)، يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقترُ على من يشاء منهم وَهُوَ القَوِيُّ الذي لا يغلبه ذو أيدٍ لشدّته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته العَزِيزُ في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشراً، إلى ما شاء ربنا من الزيادة وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْها يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها وما لَهُ فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إذ يروى عن ابن عباس، قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ... إلى وَما لَهُ فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ قال: يقول: من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها، ويروى عن قتادة مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ

حَـرْثَ الدُّنْـيا... الآيـة، يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار، ولم نـزده بـذلك من الدنيا شيئاً إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له، ويروى عن ابن زيد، في قوله: مَـنْ كـانَ يُـرِيدُ حَـرْثَ الآخـرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عملـه وَمـنْ كـانَ يُـرِيدُ حَـرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها... إلى آخر الآية، قال: من أراد الدنيا وعملها آتيـناه مـنها، ولم نجعـل لـه في الآخرة من نصيب الحرث العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومـن عمل للدنيا أعطاه الله، ويروى عن السدي قوله: مَنْ كانَ يُرِدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَـرْثِهِ قـال: من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله.وقوله: وَما لَهُ فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ قال: للكافر عذاب أليم (الطبري،١٩٨٤).

وهـنا تـتأكد المعادلـة القـرآنية بأن من اثر الدنيا على الآخرة خسرهما معاً، ومن اثر اخـرته علـى دنـياه كـسبهما معـاً، قـال تعـالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (آل عمـران: ١٤٥)، ويـشير الـنص القرآنـي إلى ان مـن كان عملـه للدنـيا فقـط نـال منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الـدار الآخـرة أعطـاه الله مـنها مع ما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ﴾ وقـال تعـالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ وهكـذا قـال هـنا وَسَـنَجْزِى ٱلـشَّٰكِرِينَ أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم (ابن كثير، ١٩٩٦).

فالـدار الآخـرة لهـا عاملـوها، وطلابهـا، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القـصص: ٨٣)، يخبر تعـالى أن الـدار الآخـرة ونعـيمها المقـيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمـنين المتواضـعين الـذين لا يـريدون علـواً في الأرض أي تـرفعاً على خلق الله وتعاظماً علـيهم وتجـبراً بهـم ولا فـساداً فـيهم، كما قال عكرمة العلو: التجبر. وقال سعيد بن جبير: العلـو البغـي. وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين: العلو في الأرض التكـبر بغـير حـق، والفـساد أخـذ المـال بغـير حـق. وقـال ابـن جريج (لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي ٱلأرْضِ) تعظمـاً وتجبراً {وَلاَ فَسَاداً } عمـلاً بالمعاصي. وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثـنا أبـي عـن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه من شـراك نعلـه أن يكـون أجـود مـن شـراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وهـذا محمـول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الـصحيح عـن الـنبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخـر أحـد علـى أحد ولا يبغي أحد على أحد» وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يارسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: «لا، إن الله جميل يحب الجمال» (ابن كثير، ١٩٩٦).

فمعـيار الخـسارة هـو خـسارة الآخرة، لأنها العطاء الباقي الخالد، والدنيا دار زاول وتـرح، وممـر لا مستقر، قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (هـود:٢٢)، يخـبر تعـالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الـدركات عـن الـدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن وعن شرب الرحيق المختوم بـسموم وحمـيم وظـل مـن يحمـوم وعن الحور العين بطعام من غسلين وعن القصور العالية

بالهاوية، وعن قرب الرحمن، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (ابن كثير، ١٩٩٦).

والقوم الضالون، عندما ركنوا للدنيا، واقاموا حياتهم فيها، خدام لها، في ظل تزيين اهوائهم اليهم، وشياطين الأنس والجن، فهم الذين تسببوا بسوء المآل لأنفسهم، قال تعالى: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ ﴾ (النمل: ١– ٥).

ينبه الله تعالى عباده على عظمة القرآن، ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فهي أعلى الآيات، وأقوى البينات، وأوضح الدلالات، وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد، وخير الأعمال، وأزكى الأخلاق. آيات تدل على الأخبار الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل عمل وخيم، وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها البصائر النيرة، مبلغ الشمس للإبصار، آيات دلت على الإيمان، ودعت للوصول إلى الإيمان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، طِبْقَ ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه، ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين، ولم يهتد بها جميع المعاندين، صوناً لها، عن من لا خير فيه ولا صلاح، ولا زكاء في قلبه. وإنما اهتدى بها، من خصهم الله بالإيمان، واستنارت بذلك قلوبهم، وصفت سرائرهم، فهي تهدي المؤمنين إلى سلوك الصراط المستقيم، وتبين لهم، ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله، المرتب على الهداية لهذا الطريق، وربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان فهل يقبل من كل أحد ادَّعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق، فلذلك بَيَّن تعالى صفة المؤمنين فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فرضها، ونفلها، فيأتون

بأفعالها الظاهرة، من أركانها، وشروطها، وواجباتها، ومستحباتها. وأفعالها الباطنة، وهو: الخشوع الذي روحها ولبها، باستحضار قرب الله، وتدبر ما يقول المصلي ويفعله، ومن أوصافهم انهم يؤتون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم بالآخرة هم يوقنون، بمعنى بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو: العلم التام، والواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل. ويقينهم بالآخرة، يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير، ومن هنا فإن الذين يكذبون بالآخرة، ويكذبون من جاء بإثباتها، زينا لهم أعمالهم فهم حائرين مترددين، مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق، فرأوا الباطل حقاً، والحق باطلاً، فتوعدهم الله بأشد العذاب وأسوأه، وأعظمه، وهم في الآخرة هم الأخسرون، حيث حصر الخسار فيهم، بكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل (السعدي، ٢٠٠٢).

ومهما اوتي الضالون من قوة ومال وذكاء، فإنه لا عبرة بذلك، إذا لم تكن حقيقة الكون والإنسان والحياة، واضحة لديه، كالشمس، يعمل بمقتضاها، لا يغادرها قيد انمله، في ضوء المنهج الرباني السامي، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ ﴾ (الروم: ٧)، فقد حصرت الأيات علمهم بظاهراً من الحياة الدنيا، بمعنى انهم ينظرون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر، الذي في رأيهم، انعقدت أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده، شيئاً فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها، المتصرف فيها، وهم عن الآخرة هم غافلون؛ قد توجهت قلوبهم، وأهواؤهم، وإراداتهم، إلى الدنيا وشهواتها، وحطامها، فعملت لها، وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة. فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه، ويروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة، ومن العجب أن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم، الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا، إلى أمر يحير العقول، ويدهش الألباب. وأظهروا

مـن العجائـب الذرية، والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية، والهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجـبوا بعقـولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عمّا أقدرهم الله عليه: فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهـم مـع ذلـك، أبلـد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معـرفة بالعواقب. قد رآهم أهل البصائر النافذة، في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلـهم يـترددون. نـسوا الله، فأنسـاهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون، ولو نظروا إلى ما أعطـاهم الله وأقـدرهم علـيه، من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها، وما حرموا من العقل العالـي، لعـرفوا أن الأمـر لله، والحكـم لـه في عباده، وإن هو إلا توفيقه أو خذلانه، ولخافوا ربهـم وسـألوه أن يـتم لهـم مـا وهـبهم، مـن نور العقول والإيمان، حتى يصلوا إليه، ويحلوا بـساحته. وهذه الأمور لو قارنها الإيمان، وبنيت عليه، لأثمرت الرُّقِيَّ العالي، والحياة الطيبة. ولكـنها لما بنـى كـثير منها على الإلحاد، لم تثمر إلا هبوط الأخلاق، وأسباب الفناء والتدبي ر(السعدي، ٢٠٠٢).

وقـال تعـالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (غافـر: ٣٩)، فهـنا يخـبر الله تعالى عن المؤمن بالله من آل فرعون وَقالَ الَّذي آمَـنَ مـن قوم فرعون لقومه: يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مـني ما أقول لكم، بيَّنت لكم طريق الصواب الذي تُرشدُون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هـو ديـن الله الـذي ابتعث به موسى. يقول: إنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيا مَتاعٌ يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنـيا العاجلـة الـتي عجلـت لكـم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغـوه، ثـم تموتون وتزول عنكم وَإنَّ الآخرة هِيَ دَارُ القَرارِ يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القـرار الـتي تـستقرّون فـيها فـلا تموتـون ولا تـزول عنكـم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلـبوا. وبـنحو الـذي قلـنا في معنى قوله: وَإنَّ الآخرة هِيَ دَارُ القَرارِ قال أهل التأويل. إذ يروى عن قتادة قوله وَإنَّ الآخرة هِيَ دَارُ القَرارِ بمعنى استقرّت الجنة بأهلها، واستقرّت النار بأهلها (الطبري، ١٩٨٤).

وقال تعالى بشأن الملأ الذين كذب بالآخرة: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المؤمنون: ٣٣- ٣٧)، وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، وأترفناهم في الحياة الدنيا، أي: قال الرؤوساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وإنكار البعث والجزاء، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيباً، وتحذيراً منه؛ ما هذا إلا بشر من جنسكم؛ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون، فما الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكاً، لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولئن إتبعتموه وجعلتموه لكم رئيساً، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة، لمن لم يتابعه، ولم ينقد له. والجهل والسفه العظيم، لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر،وهذا نظير قولهم: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾، فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾، أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم، وكنتم تراباً وعظاماً، فنظروا نظراً قاصراً، ورأوا هذا، بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن، فقاسوا قدرة الخالق بقدرتهم. تعالى الله عن ذلك. فأنكروا قدرته على

إحياء الموتى وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أنشأهم من العدم، فإعادته لهم بعد البلى، أهون عليه وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إننا، لم نزل موجودين، حتى يسلم لهم إنكارهم البعث، وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟، وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثمَّ دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾، فقال في جوابهم: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ ﴾، أي: في البلى، وعندنا كتاب حفيظ، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس، وما نحن بمبعوثين (السعدي، ٢٠٠٢).

واخبر الله تعالى هنا بحقيقة مفادها: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥ ﴾ (النجم: ٢٥) بمعنى ام للإنسان ما تمنى، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعاً لأمانيهم، ولا موافقاً لأهوائهم، فلله الآخرة والأولى (السعدي، ٢٠٠٢).

ووصف الله تعالى القوم الضالون بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ ﴾(النحل: ١٠٧)، تصف الأيات الذين ارتدوا على ادبارهم طمعاً في شيء من حطام الدنيا، رغبة فيه، وزهداً في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الأيمان منعهم الله من الهداية، فلم يهدهم، لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم، فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم، ويصل إلى قلوبهم، فشملتهم الغفلة، واحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها اتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها (السعدي، ٢٠٠٢).

وحسن الجزاء مقترن بأن تكون حساباتك في الدنيا اخروية، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإسراء: ١٩)، فيخبر الله تعالى بأن من كان يريد الدنيا العاجلة المنقضية الزائلة، فعمل لها وسعي، ونسي المبتدأ والمنتهى، ان الله يعجل له من حطامها، ما يشاؤه ويريده، مما كتب الله له في اللوح المحفوظ، ولكنه متاع غير نافع، ولا دائم له، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم يصلاها اي يباشر عذابها في حالة من الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله، فيجمع له بين العذاب والفضيحة (السعدي، ٢٠٠٢).

وسر التعاطي مع الحياة الدنيا في ضوء متطلبات الآخرة، هي الكنز النوراني، الذي ضيعه الكثير من الامم والغابرين والأحياء والأموات، ومن لا يزال في حراكه الدنيوي يلهث لهث الكلاب، خلف متاع الدنيا القائم على الفناء والمنغصات والصراعات والتحاسد والتباغض، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧) ويشير النص انه قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق، ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ولا تنس نصيبك في الدنيا بمعنى لا نأمرك ان تتصدق بجميع اموالك، وتبقى ضائعاً، بل انفق لأخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لايثلم دينك، ولا يضر اخرتك، واحسن إلى عباد الله كما احسن الله عليك بهذه الأموال، ولا تبغ الفساد في الأرض بالتكبر والعمل بمعاصي الله والأستغال بالنعم عن المنعم، ان الله لا يحب المفسدين، بل عاقبهم عن ذلك اشد العقوبة (السعدي، ٢٠٠٢).

وبشارة المؤمن بأن يتولاه الله تعالى، ويظله برحمته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ

فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (فصلت: ٣١)، فهنا تبشر الملائكة الذين اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً، بأن لا يخافوا على ما يستقبل من امرهم، ولا تحزنوا عل ما مضى، ، ويبشرونهم بالجنة، التي وجبت وثبتت لهم، وكان وعد الله مفعولا، ويقولون لهم ايضاً مثبتين لهم نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة واهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ ويقولون لهم لكم في الجنة ما تشتهي انفسكم قد اعد وهيئ ولكم فيها ما تدعون أي ما تطلبونه من انواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزل وضيافة من غفور رحيم حيث وفقكم لفعل الحسنات ثم قبلها منكم، فبمغفرته ازال عنكم المحذور، وبرحمته انالكم المطلوب (السعدي، ٢٠٠٢).

وطلب الآخرة ليس بالتمني، وانما يصدقه الجوارح، والحراك المقترن بأهداف اخروية، في التعبد وحسن الخلق، فشرف المؤمن قيام الليل وعزه بالأستغناء عن الناس، قال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر: ٩) فهذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تبيانها، وعلم عملاً يقيناً تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة الله، المتبع لهواه، كمن هو قانت، أي مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات

وهو اوقات الليل، فوصفه بالخوف والرجاء، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصف بالعمل الظاهر والباطن (السعدي، ٢٠٠٢).

وكما قال العلماء من كان مع الله فمن عليه، ومعية الله تعالى نوعان، عامة وخاصة، فمعية الله تعالى للمؤمن هي من النوع الخاص، حيث تفسر بالتأييد والتوفيق والكفاية والهدي والرشاد والسلامة، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (ابراهيم: ٢٧)، فيخبر الله تعالى انه يثبت عباده المؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من ايمان القلب التام، الذي يستلزم اعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت "من ربك؟ وما دينك؟ هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: " الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيٌّ، ويضل لاله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم، وفي هذه الأية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعميه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

والله تعالى، كلمة تثير خبراتنا مع الله تعالى، ومعرفة عظمتها تتطلب استشعار عظمة الكون، وايات الله المسطورة في القرآن الكريم، وعظيم افعاله تعالى في الكون، في العطاء والمنع، فالحمد لله، وهو منزه عن كل نقص، الأول والآخر والظاهر والباطن، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والسعي للآخرة، يتطلب ادراك عظمة الله تعالى وتسبيحه، وشكره تعالى في السراء والضراء وحسن التعبد له، وتوجيه الأعمال له، ورفع ذكره في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾(سبأ: ١)، بمعنى له الحمد في الآخرة، الحمد الذاتي

والحمد المرتفع من عباده، حتى ممن كانوا يجحدونه في الدنيا، او يشركون معه غيره عن ضلاله، تنكشف في الآخرة فيتمحض له الحمد والثناء، وهو الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بحكمة، ويصرف الدنيا والآخرة بحكمة، ويدبر امر الوجود كله بحكمة، الخبير الذي يعلم بكل شيء، وبكل امر، وبكل تدبير علماً كاملاً شاملاً عميقاً يحيط بالأمور (قطب، ١٩٨٦).

ويسلي الله تعالى نبيه محمد ﷺ واجيال الدعاة في كل زمان ومكان، فالخلق امام عابد للدنيا او حر عابد لله تعالى، فمن اوتي التوفيق الألهي، الهم العقل الحكيم، والفطرة السليمة، التي توجه نحو الله تعالى بلطائف الإحسان لا بقيود الابتلاءات والقصم الألهي، فالضال لا تتحسر عليه، فهو اختار ان يكون بمقام الأعمى والأصم والأبكم، الذي تعشعش افكاره في الظلمات وطقوس الجاهلية الثانية، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٦). فقد كان النبي ﷺ حريصاً على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، فلا يحزنك الذين يسارعون في الكفر فالله ناصر دينه ومؤيد رسله ومنفذ امره من دونهم الكفرة انما هم يسعون في ضرر انفسهم، بفوات الأيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وارادته ان لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة من ثوابه، خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له اولياءه ومن اراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم (السعدي،٢٠٠٢).

وهكذا ركنت نفوس الضال المتمرد، إلى منظومة لعبه الذي لا ينتهي، وملاهيه التي تشغل ليله بنهاره، فغدت الدنيا معبوده الأول في اموالها ونساءها وملذاتها المحرمة وخبثها المخبث، قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنعام:٢٢)، وهؤلاء الضالون اعتبروا الدنيا هي البداية والنهاية، الأمل والطموح، حيث يتوهموا بأنه خالد سرمداً، حيث عفلوا عن لحظة الموت،

الـتي توايـتهم فجأة، ونسوا انهم لا يأخذون معهم الا رماد اعمالهم السوداء، وانهم بضلالهم يفجـرون انفـسهم مـن الـداخل انحرافاً وعناداً واستكباراً وصداً عن سبيله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المؤمنون: ٣٧).

وورد أن أكثـر دعـوة يدعـو بها النبي ﷺ "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقـنا عـذاب الـنار" فعن انس ﷺ كان أكثر دعوة يدعو بها ربنا بإحسانك آتنا في الدنيا حالة حـسنة لنتوصل إلى الآخرة بها على ما يرضيك، وقيل إن حسنة الدنيا هي الكفاف من مطعم ومـشرب وملـبس ومـأوى وزوجـة لا سـرف فـيها، وفي الآخـرة حسنة أي من رحمتك التي تدخلـنا بهـا جنـتك وقـنا عـذاب النار بعفوك وغفرانك، وقال الطيبي إنما كان يكثر من هذا الـدعاء لأنـه من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية (السيوطي، د.ت، ١/ ٢١٤).

ومعـيار العمـل هـو الرصـد الأخـروي، وهـو مشروط بالتزام المنهج الرباني، الذي سطره الإسلام العظيم، في شرعه الحكيم، فعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله لا يظلـم المـؤمن حـسنة يـثاب علـيها في الدنـيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيعطى بحـسناته في الدنـيا حتـى إذا افـضى إلى الآخـرة لم يكـن لـه حسنة يعطى بها خيراً" (البيهقي، ١٩٩٠، ١/ ٢٦٠).

وبيـنت الـسنة النـبوية، ان معـيار خيرية العمل، هو ما تجاوز الدنيا إلى الأخر، وكان معـك بعـد المـوت، اما ما كان خيره في الدنيا، يذهب بذهابها، فهو خير مؤقت، لذا وجهت الـسنة النـبوية، إلى شروط العمل الخالد، عند الالتزام بشريعة الإسلام الحقة، حيث يصحبك عملـك الصالح في القبر، ويوم لقائه تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله لا يظلـم مؤمـنا حـسنة يعطـى بهـا في الدنـيا ويجـزى بهـا في الآخـرة وأما الكافر فيطعم بحـسنات مـا عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها، وفي رواية اخرى عن أنس بن مالك أنه حدث عن رسول الله ﷺ "إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بهـا طعمـة مـن الدنـيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).

وورد عـن علمـاء الأمـة الأوائل انه كما أن أمور الدنيا لا تحصل إلا بقدر عزائمهم فأمـر الآخـرة لا يحـصل إلا بأشـد (المـناوي، ١٩٣٤، ٢/ ٦١)، كما أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بأدنى سعى (ابو العلا، د.ت، ٧/ ١٢٤).

وورد في الأثـر مثل هذه الأمة مثل أربعة رهط؛ بر تقي موسع عليه في الدنيا وموسع علـيه في الآخـرة، وبر تقي محظور عليه في الدنيا وموسع عليه في الآخرة، وفاجر شقي موسع علـيه في الدنـيا ومحظـور عليه في الآخرة، وفاجر شقي محظور عليه في الدنيا ومحظور عليه في الآخرة (الكوفي، ١٩٨٧، ١/ ٣٢٩).

وورد ايـضا ان "القلـب بمنـزلة المـرآة إذا جلـيت"، وورد ايضاً "إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وإن الجوع عنده في خزائن مدخر لا يعطيه إلا من أحب خاصة، والقرآن العظـيم سـر عـصمة المـؤمن في الحياة الدنيا، وهو غذاء الروح الذي يزوده بالطاقة في حسن العمـل للآخـرة، وعدم الركون للدينا واعتبارها وطنا، فالدنيا جسر للآخرة، فعن ابن عباس ﷺ انـه قال "من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلـك بـأن الله تـبارك وتعـالى يقـول فمـن اتـبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس فـضمن الله لمـن اتـبع القـرآن ألا يـضل في الدنـيا ولا يـشقى في الآخـرة (القرطبي، ١٩٩٨، ١/ ٩).

ومـن هـنا حذرتـنا الـسنة النـبوية، مـن ان نـيبع اخـرتنا بعـرض فانـي من الآخرة، ويتجـرون بالـدين، فعـن أبـي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزل الله في بعض الكتب أو أوحـى إلى بعـض الأنبـياء قـل للـذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنـيا بعمـل الآخـرة، يلبـسون للـناس مـسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلـى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون؛ وبي يستهزئون؛ لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران (القرطبي، ١٩٥٩، ١/ ١٩).

وسمـة الامـة المسلمة، هي شرفها وعزها بالعمل الأخروي، محل المستقبل الحقيقي، وسمـة الأمـم، التـنعم المـترف بالدنـيا، والأنـشغال بهذا التنعم المترف عن اصل مهمتهم في الحياة، في عمارة الكون الإيمانية والكونية، فقد دخل عمر بن الخطاب ﷺ على النبي ﷺ، وإنه

لعلي حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف وإن ثم رجليه قرظا مضبورا وعند رأسه أهبا معلقة فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ فبكيت، فقال: ما يبكيك، فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة" (مسلم، د.ت، ٢/ ١١٠٩)، وعن حذيفة ﷺ قال: نهانا النبي ﷺ عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال هن لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢١٣٢).

وعلم النبي ﷺ امته ان الحياة الحقيقة، محل التشريف في الآخرة، وان الدنيا دار عمل وتكليف ومجاهدة، وعما قريب يغادرها المرء للآخرة، والإنسان فيها بضع وقت لا بد ان ينتهي، عن سهل بن سعد ﷺ قال "جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار، وفي رواية أخرى "إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة" (مسلم، د.ت، ٣/ ١٤٣١).

ووجهتنا السنة النبوية إلى الدعاء الذي يكفل لنا خير الدنيا والآخرة، دون اعتداد فيه، فعن أنس ﷺ "أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه قال: نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة ، فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله له فشفاه (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٦٨)، وقد سأل قتادة أنسا ﷺ أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر قال كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٧٠).

وافرد الأمام مسلم باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، فعن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي ﷺ قال وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال ثم لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة ﷺ قال

قلت نافق حنظلة ﷺ قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون ثم رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من ثم رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٠٦).

ولا عبرة بنعيم الدنيا، مهما كان زخرفة امام نعيم الآخرة المقيم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيرا قط، هل مر بك نعيم قط، فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط، هل مر بك شدة قط، فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).

وبينت السنة النبوية، ان معيار خيرية العمل، هو ما تجاوز الدنيا إلى الأخر، وكان معك بعد الموت، اما ما كان خيره في الدنيا، يذهب بذهابها، فهو خير مؤقت، لذا وجهت السنة النبوية، إلى شروط العمل الخالد، عند الالتزام بشريعة الإسلام الحقة، حيث يصحبك عملك الصالح في القبر، ويوم لقائه تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها، وفي رواية اخرى عن أنس بن مالك أنه حدث عن رسول الله ﷺ "إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).

والدنيا بضع وقت ويذهب، لا تبقى لغني ولا لفقير، ولا لحاكم ومحكوم، فهي في مقياس الآخرة، ليلة او ضحاها، او مثل ما يضع احكم اصبعه في اليم، ودلالة ذلك ما يرويه يحيى بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل حدثنا قيس قال سمعت مستوردا أخا بني فهر ﷺ يقول: قال: رسول الله ﷺ: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه؛ وأشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٩٣)، ومن هنا فإن الخير هو خير الآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة (الجارود، ١٩٨٨، ١/ ١٢٦)، وعن انس ﷺ يقول ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة ،فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدا، على الجهاد ما بقينا أبداً (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ٢١٠٦).

ووجهت السنة النبوية إلى التراحم في الدنيا، ونبذ الخصال الشيطانية، ومنها ايذاء الأخرين والتجبر، لأن تلك الأعمال وبال عليهم، في الحسابات الأخروية، لو كان امثال هؤلاء يعون ان لهم نهاية محتومة لا محالة، ووراءها حساب عسير، فلذة الأنا السادية تذهب، وتبقي العقوبات الاخروية، مع ما تحمل من اسى وحسرة انذاك، فقد روي عن النبي ﷺ انه قال: "إن الذي يعذب الناس في الدنيا يعذبه الله في الآخرة" (الجارود، ١٩٨٨، ٢٧٩).

والعمل الصالح في الدنيا يرافق المؤمن بعد موته، ويكون له نوراً ، وسنداً في تجاوز المواقف العصيبة، عند السؤال في القبر وشدته، ومنها التوحيد الحقيقي، الذي يتجاوز اللفظ، إلى السلوك الحقيقي، فيكون لسان المؤمن، موحداً، حيث ينسب كل فعل إلى ربه في العطاء والمنع، فلا ينشغل بحمد العباد وذمهم، إذا ما اعطوه او منعوه، بل يثني على ربه، ويحمده على الدوام، فيؤمن ان يد الله تفعل في كل شيء، واقداره هي الحاكمة، فكل فعل اراده الله وقع، وكل فعل وقع اراده الله، وكل ما اراده الله هو حكمة مطلقة، وكل ما هو حكمة مطلقة من الله تعالى، هو خير مطلق، فالله هو مدبر الكون وخالقه ومبدعه، فالرزق والعطاء والرحمة والتوفيق له تعالى، عزّ شأنه وجلاله، فينعكس التوحيد من القلب إلى الجوارح، إلى

اعماق النفس، فتكون من اهل الطمأنينة والتفويض لله تعالى، وهذا معنى لا اله الا الله، فعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ١٧٣٥)، وفيما يروى ايضاً عن النبي ﷺ أنه قال: "لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار" (البخاري،١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

والأعمال درجات، في الأجر والمثوبة، والعاقل من لزم محاب الأعمال في القرآن والسنة، فعن سهل قال سمعت النبي ﷺ يقول ثم موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٨).

وافرد الأمام البخاري باباً عنوانه "قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وجاء فيه عن عبد الله بن عمر ﷺقال" أخذ رسول الله ﷺبمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان بن عمر يقول إذا أمسيت فلا وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغزور وقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقال علي بن أبي طالب: "ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا نجاسة وغدا نجاسة ولا عمل بمزحزحه بماعده (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٨).

والدنيا دار غرور، وبنيت على ذلك، والكيس الفطن، من حاسب نفسه حساباً عسيراً، وعمل لما بعد الموت، وتهيأ للعرض على الله تعالى، فالدنيا بضع وقت وجيز، فلا عبرة بمن يؤمل فيها، لأنها ستخذلة، ويفارقها، فالموت بين عينيه، وهو لا يدري، في لهوه وغفلته، فكم من غافل ضاحك لاه، وكفنه يسنج في الغيب، وهو لا يدري، فعن ربيع بن خثيم عن عبد الله ﷺ قال: "خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط

خططا صغار إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا" (البخاري ،١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٩)، وفي رواية اخرى عن أنس ﷺ قال: "خط النبي ﷺ خطوطا فقال هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٩).

وفي صدد تخليص القلب من التعلق المذموم بالدنيا ودفع الامل الذي يؤدي إلى التهلكة، وترك العمل للآخرة، ما رواه ابو هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " يكبر بن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر" (البخاري،١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

وافرد الأمام البخاري باباً عنوانه من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعني الشيب، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة" (البخاري،١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠)، وفي العنونة هنا لفتة معبرة، لأنها تفيد ان من بلغ الستين، ولم يسلك جاداً في طريق الآخرة، فقد وقع في التهلكة، والحجة قائمة عليه لا محالة.

والنص هنا يؤكد على عظم العلم بالآخرة، وانه لا عبرة بعلم الدنيا في المادة والمال والخلق والمعاش، ان كان فارغاً من الآخرة، لأن هذا العلم لن يضبط الغرائز، ويحرر الكسب من الحرام، وهو محض توجه نحو المادة او تأليه العلم والمختبر او الألة والمصنع، فيخرج عن إنسانيته، وسمته الأخلاقية، وهذا ما نلحظة في المجتمعات الغربية، حيث ان تقنياتها التكنولوجية، ومساهماتها العلمية، لم تقودها الا إلى الألحاد، واللصوصية على المجتمعات المستضعفة في نهب خيراتها ومقدراتها، واستخدام تقنياتها النووية والتسلحية، في تدمير البلاد وقتل العباد، والأدعاء بحقوق الإنسان والقيم، في عقر دارهم، وانتهاكها الصارخ في بلاد الشعوب المستضعفة والفقيرة، فماذا قدم للغرب علمهم الدنيوي، وقد فقد كل معاني الإنسانية، وفي هذا الصدد عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله يبغض كل

جعظـري جـواظ سـخاب بالأسـواق جـيفة بالليل حمـار بالـنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١/ ٢٧٣)، وفي رواية اخرى للنص وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عـالم بأمـر الدنـيا جاهـل بأمـر الآخـرة" (ابو الحسن، د.ت، ١/ ٤٨٥)، فالعلم في الدنيا يتألق عـندما يكـون العـالم ملتـزماً بالمنهج الالهي، قواماً بالليل، ساعياً في النهار ابتغاء مرضاة ربه، يستهدف في علمه خدمة امته المسلمة في كل مكان وزمان.

والـسنة النـبوية تـضمنت البشارة للأمة المسلمة، إذا ما انتصرت على نفسها، بالتزام المنهج الرباني، وانتصرت على معاصيها، واقامت امره تعالى فيها، دون مواربة، بجد ومثابرة، فهـنا لا تتكالب عليها الأمم، ولن يكون للأمـم الطاغية سلطاناً عليها، وسيكون التمكين لها، وان كانت على قلة في العدد والعتاد، والطغاة على كثرة ومال وعتاد، فالعبرة هنا بأيمانها بالله والتزامها بأمره فهو يرجح كفتها ولو كانت على غير كفؤ مع الطغاة في العدد والعتاد والعلم والمعـرفة، وان انـساقت للدنيا ومتاعها الزائل، وعكفت على شهواتها، ومالت للشبهات يمنة وشمـالا، وهـان امـر الله علـيها، عـندئذ تهـون علـى الله، ولا يبال الله بها، على أي وادي هلكت، فإن عملت الأمة للآخرة، ربحت الدنيا والآخرة، وان ركنت لدنياها وعكفت عليها، سـلط الطغـاة علـيها، وخـسرت الدنيا والآخرة معاً، عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: "بشر هذه الأمة بالنصر والسناء والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن لـه في الآخرة نصيب" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ١٣٢)، وفي رواية اخرى عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين، ومـن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة (المقدسي،١٩٩٠، ٣/ ٣٥٨)، وعن أبـي بكـرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم" (ابن حبان، ١٩٩٣،٢/ ٢٠٠).

والأصل في حياة المؤمن، ان تكون الآخرة حاضرة في قلبه، مركز عمله، ونور حياته، يستشرف من خلال معاييرها، نمط عمله في الدنيا، ويعمل بمقتضى ذلك، فتكون همه وغايته، وتكـون حاضـرة بـين عينـيه، كأنـه يطالـع جـنانها، فيرجو رحمته، وبين عينيه جهنم وعذابها

الألـيم، فيخـشى ان يكون من اهلها، هذا معنى ان تكون الآخرة موضع همة وغايته، فتهون الدنـيا بـين عينيه، فعند تلك الروح الإيمانية الراقية، تواتيه كل إغراءات الدنيا، فلا يبالي بها، لأنـه عـرف الحقـيقة، امـا مـن كانـت الدنـيا غايـته، فحالـه يختل بين الصراعات والاحزان والفجائـع والقلـق والأزمـات النفـسية والخـوف الـذي يهده، فتجده غنياً ويملك كل معايير الـسعادة الدنـيوية ولكـنه اتعس الناس، مشتتا مشرذماً بين الجهات الأرضية، وربما تجد فقيراً يفـتقد كـل معـايير الـسعادة الدنيوية، ولكنه سعيداً غنياً بالقناعة في قلبه، والسكينة في حاله، والـتعلق بالآخـرة لأنهـا دار التـشريف والفـصل بين العباد، وعدم الركون للدنيا لأنها منزل تـرح لا فـرح ومعبر لا مستقر، فعن زيد بن ثابت ﷺ، ان رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرأ سمـع مـنا حديـثا فـبلغه غـيره، فـرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقـيه، ثـلاث لا يغـل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجمـاع، فـإن دعـوتهم تحـيط مـن ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه أمره، وجعل فقـره بـين عينـيه، ولم يأتـه مـن الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٤٥٥).

فالـتعلق بالدنـيا، يـشتت المـسعى، وتـناله الـشدة والخوف، فالخوف من الفقر، فقر، والخـوف مـن المرض مرض، وان ركض في الدنيا ركض الوحوش لم يأته منها الا ما كتبه الله تعـالى لـه، فعـن زيـد بـن ثابـت ﷺ، سمعـت رسـول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرءا سمع منا حديـثا فـبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغـل عليهن قلب مسلم؛ إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته؛ فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتـه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة" (ابو الحسن، د.ت، ١/ ٤٧).

وافـرد ابـن حـبان بابـاً عنوانه "الإمعان في الدنيا، يضر في العقبي، كما أن الإمعان في طلـب الآخرة، يضر في فضول الدنيا، واورد فيه هذا الحديث عن عن أبي موسى أن رسول الله صـلى الله علـيه وسلم قال ثم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه

فآثـروا ما يبقى على ما يفنى(ابن حبان ،١٩٩٣،٢/ ٤٨٦)، وافرد ابن حبان باباً عنوانه "الخبر الـدال علـى أن علـى المـرء أن لا يعـتاض الآخرة بشيء من حطام هذه الدنيا الفانية الزائلة، فعـن أبـي موسـى قـال "أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه فقال له ائتنا فأتاه فقال له: رسول الله ﷺ سـل حاجـتك قال ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ أعجزتم أن تكونوا مثل عجـوز بـني إسرائيل قالوا: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل قال: إن موسى عليه السلام لما سـار بـبني إسـرائيل مـن مصر ضلوا الطريق فقال ما هذا فقال علماؤهم إن يوسف عليه الـسلام لما حـضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل قال فمن يعلـم موضـع قبره قال عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال: دليني على قبر يوسف قالـت حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحـى الله إليه أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقالت: أنضبوا هـذا المـاء فأنـضبوه، فقالـت: احتفـروا فاحتفـروا فاستخرجوا عظام يوسف فلما أقلوها إلى الأرض وإذا الطريق مثل ضوء النهار" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٥٠١).

وحـثت الـسنة علـى كـل مـا من شأنه، تعليق العبد بالآخرة، وتذكيره بها، حتى لا تأخـذه الدنـيا في غفلـتها، فينـسى مآله في غمرة معاشه، ويفقد انوار تذكرها، في ظلمة هموم الدنـيا ومعضلاتها، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "عودوا المرضى واتبعوا الجنائـز تذكـركم الآخـرة" (ابـن حـبان،١٩٩٣، ١/ ٢٢١)، وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسـول الله ﷺ "إنـي كـنت نهيـتكم عـن زيـارة القبور فمن شاء أن يزور قبرا فليزره فإنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الآخرة" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٥٣٢).

ووضـعت الـسنة النبوية معايير، لطالب الآخرة والساعي اليها على وجه الحقيقة لا الأدعـاء، بأنه المشمر لها، الذي لم يهوي امام اغراءتها، عرف هدفه، فوجه جهده وطاقته اليه، ولم يـشتت جهده، فيما يصرفه عن هدفه الأخروي الأول والأخير في الحاية، فعن أبي هريرة ﷺ عـن النبي ﷺ قال "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، قال أبو حاتم قوله ﷺ الإيمـان لـيأرز إلى المديـنة يـريد بـه أهـل الإيمان وذلك أن المدينة خشنة قفرة ذات بسابس ودكـادك، منع الله جل وعلا عنها طيبات اللذات في الأعين والأنفس، وقدر فيها أقواتها لمن

طلـب الله والـدار الآخرة فلا يركن إليها إلا كل مشمر عن هذه الفانية الزائلة ولا قطنها إلا كل منقلع بكليته إلى الآخرة الدائمة (ابن حبان، ١٩٩٣، ٩/ ٤٦).

وتحـدد السنة معايير الصلاح والخلق الحسن وذوي الكلمة الطيبة، بأنهم من طلاب الآخـرة والعاملين لها، فبشرهم النبي ﷺ بالمقام العلي، والقرب منه ﷺ، فعن أبى ثعلبة الخشني ﷺ عـن الـنبي ﷺ قال أن أحبكم إلي وأقربكم منى في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً وان أبغضكم إلـي وأبعـدكم منـى في الآخـرة أسوؤكم أخلاقاً المتشدقون المتفيهقون الثرثارون (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٢/ ٣٦٨).

وأنمـاط الـناس في الدنـيا، متنوعة، بين طالب للآخرة، وهالك نفسه في طلب الدنيا، فقـد روي عـن الـنبي ﷺ انـه قال: "الناس أربعة، والأعمال ستة؛ موجبتان ومثل بمثل وحسنة بعـشر أمـثالها وحسنة بسبع مائة ضعف، والناس موسع عليه في الدنيا والآخرة وموسع عليه في الدنـيا مقـتور عليه في الآخرة، ومقتور غليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة، ومقتور عليه في الدنيا والآخـرة، وشـقي في الدنـيا وشقي في الآخرة، والموجبتان من قال لا إله إلا الله أو قـال مؤمـنا بـالله دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله دخل النار، ومن هم بحسنة فعملها كتبت لـه عـشرة أمـثالها، ومـن هـم بحـسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة مضعفة، ومن أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مائة ضعف" (ابن حبان،١٩٩٣، ١٤/ ٤٥).

وافـرد ابـن حبان بأبا عنوانه "أن الدنيا يملكها من لا حظ له في الآخرة، فعن أنس بن مالـك ﷺ قـال قـال رسول الله ﷺ "لا تنقضي الدنيا حتى تكون ثم لكع بن لكع" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٥/ ١١٦).

والآخـرة دار التـشريف للمؤمن، حيث مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، في نعـيم خالـد لا يفنـى، فعـن ابـي هريـرة ﷺ يقول: قلنا: "يا رسول الله إنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك اعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، فقال: لو تكونـون علـى كل حال على الحال الذي أنتم عليه عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفكم، ولو انكـم في بـيوتكم ولـو لم تذنبوا، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم، قال: قلنا: يا رسول الله

حدثنا عن الجنة ما بناؤها؛ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ أو الياقوت، وترابها الزعفران؛ من يدخلها ينعم فلا يبؤس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم؛ الامام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٦/ ٣٩٦).

وحضت السنة على التسابق على الأعمال التي ترفع رصيدك الأخروي، في همة وسعي، لأنك بذلك تسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض، مهيأة للمتقين، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الأعمش ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال "التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة"، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ١٣٢).

والعاملون في الآخرة، هم نخبة الصفاء في المجتمع، وجوههم مشرقة بالنور، يسارعون إلى محاب الأعمال في القول والعمل، خيرهم عميم، وحيثما حلوا نفعوا، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "المعروف إلى الناس يقي صاحبها مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٢١٣).

والسنة توجهنا، ان الدنيا دار بلاء، وان المؤمن يتعاطي مع الابتلاءات بروح عالية لأنه على يقين بأن الصبر والأحتساب، يرفع رصيده الأخروي، وان في كل الم وشوكة وهم وحزن تكفير من الذنوب والخطايا، وانه في الخير العميم في السراء والضراء، ففي كل امره خير، ان اصابته نعمة شكر، وان اصابته ضائقة صبر واحتسب الأجر عند الله يوم لقائه تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ قال "عاد رسول الله ﷺ مريضا من وعك كان به ومعه أبو هريرة، فقال النبي ﷺ: "أبشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٤٩٦)، وفي نص اخر؛ بينما أبو بكر الصديق ﷺ يتغدى مع رسول الله ﷺ إذ نزلت هذه الآية ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ فامسك أبو بكر وقال يا رسول الله أكل ما

عملنا مـن سـوء رأينـاه، فقـال مـا ترون مما تكرهون فذلك ما تجزون؛ يؤخر الخير لأهله في الآخرة، صحيح الإسناد ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٥٨٠).

ويعد القبر اول منازل الآخرة والعبرة فيه على نوعان، ان ما ينفع المرء ما يأخذه معه في القـبر مـن العمـل الـصالح، وعدا ذلك لا عبرة فيه من البيوت الانيقة والمركبات الفارهة واصدة البنوك والمشاريع الضخمة، هذا من جهة، والعبرة الثانية، في النجاة من ما يواجه المرء في القـبر مـن السؤال والشدة، فعن هانئ مولى عثمان بن عفان قال: "كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقـف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فيقال له: قد تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هـذا، فـيقول: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر مـنه، وإن لم يـنج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/٥٢٦).

وعمـل الـصحابة، كـان نبراسـاً مـن نـور، لأنـه كـان على منهج النبوة، فمعاييرهم اخـروية بإمتـياز، فهـم لا يعـتدون بالدنـيا ومـا حفلـت مـن مقايـسها في التفاخـر والتباهي والأعـتداد بالـذات، فقـد كـان عمـر بـن الخطاب ﷺ يقول: "لا تغلوا صدق النساء، فإنها لو كانـت مكـرمة في الدنـيا أو تقوى في الآخرة، كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أنكح شيئا من بناته ولا نـسائه فوق اثنتي عشرة أوقية وأخرى تقولونها في مغازيكم قتل فلان كلاهما مات فلان كلاهمـا ولعلـه أن يكـون قـد أوقـر عجـز دابته أو دف راحلته ذهبا وفضة يبتغي" (المقدسي، ١٩٩٠، ١/ ٤١٠).

وتعلمنا السنة، ان قيمة العمل الأخروي، في الدرجات العلى، يتركز في حسن الخلق مـع الـناس، ورفع الأذية عنهم، وخدمتهم واعانتهم، فعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ: قال: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل جهنم وهو عابد (المقدسي، ١٩٩٠، ٥/ ١٩١).

وقيل لأحد العلماء: صليت صلاة فوجدت لها لذة فقال: أي شيء لذتك منها، قال قلـت: لم يرنـي أحـد، قـال: أنت ضعيف حين خطر الناس على قلبك في الخلاء، قال رجاء: لأبـي سـليمان إني أريد من الدنيا أكثر مما أعطى قال: لكني أعطيت منها أكثر مما أريد، وورد

ايضاً طوبى لمن حذر سكرات الهوى، وسورة الغضب، والفرح بشيء من الدنيا؛ فصبر على مرارة التقوى؛ وطوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع الكلب، طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد، وأعتقد الخير للمعاد وجعل الدنيا مزرعة، وتنوق في البذر؛ ليفرح غدا بالحصاد، طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها، ومن برزت له حظوات الدنيا وأهلها منه على بال، اضطربت عليه الأحوال؛ من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد ومقامع من حديد وشراب الصديد، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ونعيم الأبد في ظل ممدود وماء مسكوب وانهار تجري بغير أخدود، وكيف يكون حكيما من هو لها يهوى ركون، وكيف يكون راهبا من يذكر ما أسلفت يداه، وإن ذاب الفكر في الدنيا فهو حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولاية، والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحي القلب، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه جبها، ومن تمت معرفته اجتمع همه في أمر الله وكان أمر الله شغله (الأصبهاني، ١٩٨٤، ٩/ ٢٧٨).

وقد شكل ميلاد الإسلام على البشرية، ميلاد منهج تغييري، عميق الأثر في الأفراد والمجتمعات، وأبجدياته الأولى في التغيير، تتحقق في المنظور الأخروي للحياة الدنيا، حيث تغدو الدنيا جسراً للآخرة، ومساحاتها الزمانية والمكانية، ليست بشئ إمام معايير الآخرة، بل يغدو التنعم في الدنيا، ومسيرة الآلام والابتلاءات، ليست بشئ أمام مقادير الآخرة، لأنها عالم آخر، له معاييره العادلة.

والإسلام ثورة تغييرية في الذات والمجتمعات، في المنظور الأخروي، للسلوكات الفردية، والاجتماعية، وما ينبثق عنها من ردود أفعال، وهنا تبرز أهمية اسلمة الذات والمجتمعات، بالسير على نهج تلك الرؤية الأخروية، حيث تغدو الآلام والأوجاع، مذاقاً آخر من ضبط النفس والاحتساب، في ضوء المنظور الأخروي، وتغدو مساحات الحيرة والتيه، مساحات يقين وأمل، في ظل هذا المنهج الراقي في تهذيب الأفراد والمجتمعات.

وفي ضـوء المنهج الأخروي، في اسلمة الذات والمجتمعات، تغدو مسألة ضبط الذات واللـسان والبـصر، مسألة التزام مرغوب بها، في ظل الرؤية الأخروية، التي تجعل المؤمن يرى الحـياة قـصيرة، ولكـن يجـب أن يملأهـا بالأعمـال المعطاءة حيوية وحراكاً مع الكون، ويقينا ومسارعة في جنان القربات مع الله تعالى.

والإسـلام في مـنظوره الأخـروي، دعـوة للـتحاب، ونـشر الفضيلة والخير، واهداء الكلمـة الطيـبة، وانـسام التفاؤل في الحياة، وفي افياء ذلكم المنهج الراقي، تغدو الكرامة ذات معنـى في الـنظم الاجتماعـية والـسياسية، وتغدو الاستقلالية والعزة، في نكهة خاصة، حيث لاتغدو الأمة المسلمة ورقة سهلة، في يد الأعداء، وورقة موطأة لهم سهلة غير ممتنعة.

والـرؤية الأخـروية، جـد ومثابـرة لدفـع الظلـم، ورسـالة منطقـية في التدافع، تترع بالايجابية، ومقاومة الحرمان والألم، ليثمر ذلك الكفاح حرية وإباء في حياة الشعوب، وإبداعاً وتميزاً في حياة الأفراد، وربما رمزية كربلاء لدى أخوتنا الشيعة الأعزاء، تعد نموذجاً حقيقياً في الدعـوة الجـادة لرفع المظلومية عن المستضعفين في الأرض، وميداناً للبطولة، وتحرير الأرض والأعـراض مـن خـبث الأعـداء، وهـي رمـزية مفتوحة لكل المسلمين، ومصدر روعة تلك الرمزية وتساميها، تتشكل في انبعاثها فينا في تفاعلنا مع الحاضر، واستشرافنا المستقبل، ويعود ذلـك للـرحم الأخـروي الذي انبعثت منه، فالمدخلات والمخرجات فيها أخروية بحته، لا اثر للدنيا ومتاعها الزائل فيها، لذلك كانت رمزية خالصة طاهرة.

وفي العـوالم الأخروية المنعكسة جمالاً على متتاليات أيامنا في الدنيا، يحلو تدبر القرآن والاسـتماع لله عـبر سـنن القـرآن وقوانيـنه، التي تشكل نبراساً ودليلاً للحياة في الحياة، وبين يـدي الله في مـناجاة المـؤمن المخـبت لله تعـالى، تغـدو المـصائب برداً وسلاماً على الأرواح، ويغـدو للحـياة نكهـة إيمانية، تجعلنا نقرأ الحياة والمال والمتاع والشهوات ومنظومة الأحداث، بشكل ايجابـي معطـاء، منـضبط محتـسب، يحمل اليقين والأمل معا، والجد والمثابرة، في الآن ذاته، يبذر ويجتهد في حرثه، ويثق بالله تعالى في العطاء وحسن الجزاء.

ونـتائج التدبر في القرآن الكريم والسنة الشريفة، بشأن الحياة الدنيا والآخرة، مفادها ان تكـون حـسابات الفـرد مـنا والمجـتمعات، حـسابات الآخـرة لا حسابات الدنيا، وفي ظل

قوانين الآخرة ومعادلاتها في الحياة، لا في ظل رتابة الدنيا وأعرافها في تفسير الأحداث، والواقع النفسي للذوات، فيغدو ضبط الذات وكظم الغيظ، والتجاوز عن الجاهلين، ميزان في الأمل بالآخرة، بالعطاء، لا مقياساً دنيويا في الخضوع والاستلاب، وبالأخص في معارك العولمة الثقافية التي أخذت تخترقنا، وتعيث فسادها في خلخلة القيم، وتدميرها، واستبدالها بقيم وضعية وضيعة، تعتمد عبودية المال والدنيا والمصلحة، وسياسات الابتزاز العاطفي والإداري والإحتماعي والسياسي، وللأسف هذا هو اغلب السائد في مجتمعاتنا، وما ذلك إلا الحالة انسحابنا الهستيري، عن منهج الله تعالى، وهو دليل الصانع لنا، لتستقيم جوارحنا وسلوكاتنا ومجتمعاتنا عليه، لتكون وفق دليل الصانع، لا مكونا مهجناً غرائبياً لايمت للفطرة والواقع والمنطق بشيء.

والالتزام الصادق بالمنهج الرباني يتطلب مصالحة مع الله تعالى، وتبني المنهج الأخروي، اولاً في استراتيجياتنا التغييرية، حتى تمضي مركبتنا الفردية والأحتماعية في الحياة، في حراك متسق مع الكون، ونتفق مع قوانين الكون، ونمتلك القوة النفسية اللامحدودة، في انضباطنا وفق منهج الله تعالى، ودليل الصانع لنا، عبر القرآن الكريم وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ العطرة.

الأخلاق الإسلامية

تعد الأخلاق من الأسس المهمة بمكان لبقاء المجتمعات؛ لما لها من تأثير كبير في سلوك الفرد والمجتمع، ولذلك اهتمت بها الديانات السماوية، وجاءت مؤكدة عليها، داعية إلى وجوب التزامها منهجاً وسلوكاً حتى يستقيم أمر الناس والمجتمعات.

والخُلق في اللغة الطبع والسجية، وفي الأصطلاح هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال والأقوال بسهولة ويسر من غير حاجة على فكر وروية وبدون تكلف، فهي مجموعة من الصفات والمعاني المستقرة في النفس الإنسانية فهي طبع وسجية، وفي ميزانها تحسن الأفعال او تقبح، ويتصرف الإنسان بعد ذلك تجاه الأفعال إقداماً او إحجاماً، وعلى ذلك فالتصرف العارض من الإنسان لا يسمى خُلقاً، فالذي يميل إلى التصدق مرة، ويميل إلى الأدخار في ظرف اخر لا يكون كريماً، ومن ضبط نفسه وكظم غيظه لوجود مانع قوي لايسمى حليماً، لأن هذه الصفات ليست ثابتة في النفس البشرية ولا مستقرة فيها فلا تسمى أخلاقاً.

والأخلاق نوعان حسنة وسيئة، وهي في الإسلام جملة الأوامر والنواهي التي أمر بها وهي على نوعين:

- محمودة: وهي التي امر الإسلام بها كالصبر، والصدق، والحلم، والعفة، والأمانة.
- غير محمودة: وهي التي نهى عنها الإسلام وحذر من الاتصاف بها كالكذب، والخيانة، والغش، ونقض العهود، وغيرها.

ونظر الإسلام للأخلاق المحمودة على انها ثمرة الإيمان بالله، والالتزام بدينه الحنيف، وهي ثابتة لا تتحول ولا تتبدل، لأنها جزء من العقيدة الإسلامية، ولأن امر تقديرها لم يترك لأهواء الناس وامزجتهم ومصالحهم الضيقة بل حددته الشريعة الإسلامية.

والأخلاق الحميدة هي أخلاق الرسل عليهم السلام، والتربية الخلقية هي ركن عظيم لا قيام للدين بدونه، قد روي عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: "سألت رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس" (مسلم، د.ت، ٤/ ١٩٨٠)، وأمر الرسول الكريم المسلم في أي وقت وفي أي مكان ان يخالق الناس بخلق حسن فقال ﷺ فيما يرويه ابو ذر الغفاري "اتق الله حيثما كنت واتبع الحسنة السيئة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" (القضاعي، ١٩٨٠، ١/ ٣٧٩)، وقد جاءت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات متوجة الصرح الأخلاقي بأكرم الأخلاق واكملها، فقد قال ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٤٢)، وقد امرت الشريعة الإسلامية بممارسة الأخلاق الحسنة في كل زمان ومكان، وفي كل الأعمال في عبادته لله تعالى، وفي تعامله مع نفسه، وفي معاملته مع الناس جميعاً، دون النظر إلى المردود المادي المترتب على الالتزام بها، خلافاً لما عليه الافكار الأخرى، إذ يتعاملون بالأخلاق بالقدر الذي يعود عليهم بالمنفعة، وعلى المستوى الفردي فقط، ولذلك كانت الأخلاق غير اصيلة في تلك الأفكار، لأنها ليست مستمدة من دافع عقدي، اما في الإسلام فالأخلاق جزء من العقيدة، لذلك كانت اصيلة في النفس المؤمنة لا تفارقها في كل الظروف والأحوال، ولا يتخلى المؤمن عنها ولو ادى ذلك إلى حرمانه من بعض المنافع المادية.

وحذرت الشريعة من ترك الأخلاق والتهاون فيها او مخالفتها، وجعلت العقوبة على ذلك دينوية ان كانت المخالفة الأخلاقية في الأعمال الظاهرة، واخروية ان لم تكن المخالفة الأخلاقية من الأعمال الظاهرة، التي يعاقب عليها في الدنيا، قال ﷺ "ان من احبكم الي، واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احاسنكم أخلاقاً، وأن ابغضكم الي وابعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٢٣١).

واهتمت الديانات الألهية جميعاً بالأخلاق لأثرها الطيب في الفرد والجماعة، وقد سجل القرآن الكريم جانبا من هذه الأخلاق، فقد تحدث القرآن الكريم عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٦- ١٧) ان هذه الوصية اشتملت على جوانب عدة من تعاليم الإسلام منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في مواجهة

المتاعب الـتي تواجه المؤمن من شدائد الدنيا، والصبر على اقامة الصلاة، والصبر على الأمر بالمعـروف والتقـيد بمكـارم الأخـلاق، وتـرك الأخـلاق المذمومة كالتكبر والخيلاء والتفاخر، ورفع الأصوات دون سبب يوجب ذلك، وتحدث القرآن الكريم عن أخلاق مذمومة اتصف بهـا بعـضهم زاعمـين ان هذا من تعاليم دينهم، وليس هو كذلك، ومن هذه الأخلاق نقض العهود، والكذب، والتلاعب بالدين، والمتاجرة به، والخيانة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ (آل عمـران: ٧٧) وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ ﴾ (التوبة: ٧٧).

وللأخـلاق اهمـية بالغـة في سعادة أي مجتمع وشقاوته، فكلما كان المجتمع متماسكاً بـالأخلاق الفاضـلة كـان استقراره وامنه متحققاً، وكلما ابتعد المجتمع عن الأخلاق الفاضلة تحـول الى الأخـلاق السيئة وزاد شقاء المجتمع واضطرابه وعدم استقراره، ولهذا فإن للأخلاق الفاضلة اهمية كبير تتجلى في:

- ☒ تنمية الوازع الداخلي عند الإنسان فالأخلاق ضرورية للأفراد والمجتمعات، ولا تغني عنها القوانين والأنظمة، لأن لم تردعه نفسه لا تردعه القوانين.
- ☒ تدفـع الإنـسان إلى القيام بالأعمـال علـى الوجه الذي يرضي الله تعالى، فيصدق في اعماله، ويحافظ على وعوده، وغير ذلك من كريم الأخلاق.
- ☒ تجعـل المجـتمع نقـياً مـن أسـباب المفاسد والشرور، ذلك ان كل فرد من افراد المجتمع يقوم بما هو مطلوب منه على الوجه المطلوب، فلا يكون هناك مجال للنزاع والشجار.

وتـرتبط الأخـلاق الإسـلامية بالعقـيدة الـتي تدفـع المؤمـنين إلى التحلـي بالأخلاق الحـسنة، والتخلـي عـن الـرذائل والالتـزام في حـياتهم بكـل سـلوك حسن تدعو اليه مكارم الأخـلاق، وقـد وعـد الله تعـالى علـى ذلـك الالتـزام الفوز برضوان الله تعالى ونوال الأجر

العظيم منه، ويظهر ذلك جلياً من خلال الربط بين الدين وحسن الخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكثير من الآيات القرآنية تبين ان الأخلاق مستمدة من العقيدة، وان الأيمان قوة عاصمة من المنكرات، ودافعة إلى المكرمات، ونجد ان الأمر بالخلق الحسن سبقه التذكير بالأيمان، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة: ١١٩)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ٦). وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ (الحجرات: ١٢)، وقد وضح الرسول ﷺ ان الإيمان القوي يوجد الخلق القوي، وان انهيار الخلق مرده إلى ضعف الأيمان او فقدانه، يقول ﷺ: "الحياء من الإيمان" (البخاري، ١٩٨٧، ١/ ١٧)، ويقول ﷺ "لا ايمان لم لا امانة له، ولا دين لمن لا عهد له" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١/ ٤٢٢) كما وصف الرسول ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة فقال: ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا او ليصمت" (مسلم، د.ت، ١/ ٦٨)، "وقال ﷺ "اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم أخلاقاً" (حنبل، د.ت، ٦/ ٤٧)، ومن هنا فإن الأخلاق تربي في النفس بتقوية الشعور الديني وترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الأيمان، تقوي بقوته وتضعف بضعفه.

ويعد من اهم أهداف الأخلاق في الإسلام الوصول بالنفس الإنسانية إلى المرتبة التي تنال بها رضى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الأخلاق تعمل على اعداد الإنسان في هذه الحياة الدنيا للحياة الآخرة، فبذلك يكون رضوان الله تعالى وتنظيم الصلة معه اهم غايات التربية الخلقية في الإسلام، وبما ان الهدف الأساسي من الأخلاق نيل رضى الله تعالى، فهذا يجعل الإنسان حريصاً على الالتزام بالأخلاق، ويعتبرها منهجاً سلوكيا له، مهما اختلفت الظروف والأحوال فهو صادق امين، وفي وحليم، شجاع كريم، لا تتغير أخلاقه بهوى معين او مصلحة ذاتية، لأن الإنسان المسلم الذي تربى التربية الإسلامية ارتبطت أخلاقه بعقيدته،

وليس بمصالحه واهوائه، فلا تتغير كلما تغيرات المصالح او تبدلت الأهواء، وكذلك لا تتغير الأخلاق بتغير المشاعر من كره او حب، او غضب او رضى، فلا يكون المسلم صادقاً وأميناً مع كل الناس، سواء اكان يحبهم ام يكرههم حتى مع الأعداء الا في الحالات التي اباحها الإسلام وشرعها، كما جاء في الحديث الشريف "الحرب خدعة" (مسلم، د.ت، ٢/ ٧٤٦).

ولقد جاءت تعاليم الإسلام لتظهر ان الأخلاق الإسلامية تنتقل بالبشر إلى حياة مليئة بالفضائل والآداب، وقد عد الإسلام الوسائل المؤدية إلى هذا الهدف الجليل من صميم رسالته، كما عد الأخلال بهذه الوسائل خروجاً على الإسلام وابتعاداً عنه، وبناء على ذلك، فإن الأخلاق ليست من قبيل الترف الأجتماعي التي يمكن الأستغناء عنها، بل هي اصل من اصول الحياة الثابتة التي يرتضيها الدين ويحترم المتمسكين بها.

وبذلك فإن الإسلام يعتبر الأخلاق توجيهاً الهياً ، يطالب المسلم بالالتزام بها في حياته، بحيث لا يمكنه التخلي عنها ابداً، فأحكام الأخلاق جزءاً من الشريعة الإسلامية، فهي اوامر ونواهٍ، ولا فرق بينها وبين الأوامر والنواهي المتعلقة بالعبادات والمعاملات، فلا فرق في نظر الإسلام بين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) وقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ ﴾ (الإسراء: ٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (المزمل: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، واهم ما يترتب على هذه الخاصية ان الأخلاق الزامية؛ حيث يكون الاتصاف بها واجباً كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ (التوبة: ١١٩) وكما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ (لقمان: ١٨).

خصائص الأخلاق:

وتتسم الأخلاق بخصائص معينة، يمكن تحديدها في الآتي:

❖ موافقة الأخلاق للفطرة

عـند النظـر إلى طبيعة الإنـسان، نجد انه يتكون من جسم وعقل وروح، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ (ص: ٧١- ٧٢)، ولكـل مـن هـذه المكـونات حاجـتها ومطالـبها، ولكـل مـنها ضوابط وقيود تجعلها متوازنة ومـتعادلة لا تطغـى علـى الأخـرى، فهـذه الـضوابط والقيود هي مجموعة الأوامر والنواهي العملية التي تميز الشخصية الإسلامية عن غيرها من الشخصيات.

وهـذه الأوامـر والنواهـي هـي مـا يمكن ان يطلق عليه الأخلاق الإسلامية، فكانت الأخلاق التي امر الإسلام بها، ودعا اليها وحرص على تربية الأفراد عليها، ضابطة لمكونات الإنـسان، ومـوافقة لفطـرته الـتي خلقه الله عليها، ومن تعريف الأخلاق يتضح لنا انها هيئة راسـخة في الـنفس، تـصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، وهذا يدل على انها مستقرة في النفس بحيث لا تحس ازاءها بتردد، فلا يوصف الإنسان بالكرم، الا اذا كـان كـرمه دائمـاً مـستمراً راسـخاً في الـنفس، ومن جانب اخر فإن الأخلاق الإسلامية مـوافقة للفطـرة، لأنهـا واقعـية ممكـنة التطبيق في حياة الناس، وبمقدور كل إنسان ان يتحلى ويلتـزم بهـا، وبـذلك فهـي غـير مثالية او نظرية، لأنها واقعية ممكنة التطبيق في حياة الناس، وبمقـدور لـك إنـسان ان يتحلى ويلتزم بها، وبذلك فهي غير مثالية او نظرية، بل هي منهاج عملي نظم حياة المجتمع الإسلامي وميزه عن غيره من المجتمعات.

وبالمقابل لم تفترض في الإنسان الملائكية والتنزه عن العيب والنقص، بل عدت الخطأ والـذنب والتقـصير صـفات ملازمـة للطبـيعة البـشرية، وان تمـثل فـيها الأيمـان، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (آل عمـران: ١٣٥)، وهـذا من ابرز مظاهر مراعاة البناء الفطري في التربية الأخلاقية.

❖ شمول الأخلاق

ان الشريعة الإسلامية لم تترك صغيرة ولا كبيرة من الأخلاق الحسنة الا واحتوتها ووضعتها في المكان المناسب من حياة البشر، حيث تشمل افعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره من فرد او جماعة او دولة، فما من شعبة من شعب الحياة، الا وللأخلاق اثر بالغ واهمية يعتد بها، كبيئة الفرد، وبيئة المدرسة، ومجالات السياسة والاقتصاد والأجتماع، والقانون والأدب، وميادين الجيش والشرطة، والمعسكرات، وساحات الحرب والسلم، والمؤتمرات والأسواق.

ومن ذلك يظهر ان النظام الأخلاقي في الإسلام يحتضن في رحابه كل الفضائل الإنسانية، والأعمال الخيرة، ويدخل في نطاقه كل سلوك ارادي صادر عن إنسان راشد، كما يتناول الأفعال الظاهرة والباطنة من مقاصد ونيات، ومن نماذج شمول الأخلاق وتكاملها:

- ☒ أخلاق النفس: مثل التقوى والهدوء والسكينة والقناعة، قال ﷺ "ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى النفس" (البخاري،١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٨).
- ☒ أخلاق الفكر: مثل الأستقامة والصراحة والوضوح والاستقلالية قال ﷺ "لا تكونوا امعة، تقولون: إن احسن الناس احسنا، وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا، وان اساءوا فلا تظلموا "(الترمذي، د.ت، ٤/ ٣٦٤).
- ☒ أخلاق المعاملة: مثل احترام العقود، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١) واداء الأمانات، قال ﷺ "أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك" (الترمذي، د.ت، ٣/ ٥٦٤) ، والسماحة والتيسير على المعسر، قال ﷺ "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى" (البخاري ،١٩٨٧، ٢/ ٧٣٠.
- ☒ أخلاق الحكم: مثل العدل، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ (النساء: ٥٨)، والمساواة في الحكم، مثل العدل " قال ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو ان فاطمة بين محمد سرقت لقطعت يدها) (مسلم، د.ت، ٣/ ١٣١٥).

☒ أخلاق الأسرة: مثل معاملة الزوجة بالحسنى، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ (النساء: ١٩)، وقال ﷺ "لا يخطب احدكم على خطبة اخيه" (مسلم، د.ت، ١٠٢٩/٢).

❖ ثبات الأخلاق الإسلامية

يقصد بثبات الأخلاق في الإسلام، ان فضائل المجتمع من صدق ووفاء وامانة وعفة وايثار كلها ترتكز في اساسها على الدين والعقيدة، قال ﷺ "أكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً" (الطبراني، ١٩٩٤، ٣٥٦/٤)، لذا فإن الأخلاق ثابتة في نفوس الناس كثبات ايمانهم واعتقادهم، يلتزم بها الأفراد والجماعات في جميع احوالهم وظروفهم، لا تتغير بتغير الزمان واختلاف الأمم والشعوب، ولا تكون تبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية، ومن ناحية اخرى، فإن ثبات الأخلاق لا يعنى تحجرها وجمودها، فهي مع ثباتها مرنة، وهذا يعني انها بحقيقتها ومفهومها ثابتة لا تتغير ولا تتطور، وانما مرونتها في ان صور تطبيقها وحالاتها هي التي تتغير وتتطور بتغير الأزمنة واختلاف الشعوب والأمم.

وفي يقابل الحديث عن ثبات الأخلاق الإسلامية يبرز مفهوم النسبية في الأخلاق عند الأمم الأخرى، إذ يزعم بعض الناس ان الأخلاق نسبية اعتبارية، وليس لها حقيقة مطلقة ثابته، وهي قابلة للتغير والتبديل من زمان إلى زمان ومن امة إلى امة ومن مكان إلى مكان، فبعض الأمور كانت في زمان مضى امرواً منافية لمكارم الأخلاق، ثم صارت بعد ذلك امورأ غير منافية لها، وهذا يدل على ان الأخلاق في زعمهم اعتبارية تتفق عليها الشعوب، ليس لها ثبات في حقيقتها او مقايسها.

وهذا المفهوم باطل لأنه ينظر إلى الأخلاق كالعادات والتقاليد، التي تتغير وتتبدل بتغير الزمان والشعوب، وكذلك لأنه يعتمد في الحكم على الأخلاق بمقاييس واحكام

شخصية، والأخلاق ليست كذلك، بل هي في الإسلام مرتبطة بالعقيدة الإسلامية، يعدها الإسلام احكاماً شرعية، امر بها الشرع وطالب الناس الالتزام بها.

❖ الأخلاق معيار للسلوك

تؤثر الأخلاق في السلوك تأثيراً بليغاً، إذ انها ليست نظريات او اعراف وتقاليد راسخة، بل انها هيئات وصفات ثابتة في النفس البشرية، تؤثر تأثيراً عملياً ويظهر اثرها في سلوك الإنسان، فتعمل على تشكيل حياته والتأثير في علاقته وتصرفاته، والأخلاق كذلك تفتح عيون الناس على الأعمال، لتريهم خيرها من شرها، ويسطيع الإنسان الحكم على الأشياء والأعمال بالخير والشر، وتقويمها تقويماً مستقلاً يعتمد على فهم إسلامي حقيقي لمفاهيم الأخلاق، غير خاضع في احكامه لما الفه الناس او تعودوا عليه، وهذه المقدرة على معرفة الأشياء والحكم عليها، خيراً او شراً تزداد بممارسة الأخلاق ممارسة عملية مستمدة من الحقائق الإسلامية، وبما ان الأخلاق في نظر الشريعة الإسلامية التي امر الله بها عباده، يلتزم بها المكلفون من غير افراط ولا تفريط، ويجتهد الناس على الالتزام بها في حياتهم، كل بقدر استطاعته، حتى تصبح رقيباً داخلياً في نفس كل إنسان مسلم، ليضبط سلوكه ضبطاً ذاتياً، ويتقوى الشعور الداخلي عنده بمراقبة الله تعالى له في حياته، مما يجعل بالتالي جميع ممارساته وسلوكه وتصرفاته لا تخرج عن حكم الله تعالى وشرعه.

ومن المهم بمكان العمل على غرس الأخلاق الإسلامية في نفوس النشء، لتقويم سلوكهم وتهذيب نفوسهم وحمايتهم من الأنحراف، وابعادهم عن الرذائل وزرع الخوف من الله في نفوسهم، مرتكزة في ذلك على العقيدة الإسلامية والتوجيهات الألهية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأن الدين اصل الأخلاق ومصدرها. وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية ان غرس هذه الأخلاق في نفوس الناس يتم بوسائل متعددة؛ كالقدوة الصالحة، والتعليم المباشر، والمراقبة الذاتية، والعبادة، والنصح والتوجيه، والترغيب والترهيب، ويختلف تأثير هذه الوسائل في النفوس باختلاف الأفراد والظروف والأحوال، وعلى المربي عندما يقوم بغرس الخلق الحسن وتعديل السلوك لدى الأفراد؛ ان تكون اساليبه

التربوية موافقة لشرع الله تعالى، وان يراعي كذلك مقدرة الناس وطاقاتهم، واحوالهم الاجتماعية والنفسية، وان يرفق بهم حتى لا يثقل عليهم فيملوا، وتكون النتيجة عكسية، وان تكون التربية الخلقية للناس ضمن المنهج التربوي الإسلامي المتكامل المؤثر.

وعند الحديث عن قيمة الأخلاق في المنهج الإسلامي لا بد من بيان مكانة القدوة الحسنة في التربية الإسلامية، إذ كان السلف الصالح لشدة حبهم لرسول الله ﷺ يحرصون على الأقتداء به في كل احواله وافعاله، فقد كان الصحابة يقتدون بأخلاقه ﷺ التي وصفه بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (القلم: ٤)، ومن هنا فإن القدوة تعطي الفرصة للأفراد ان يحققوا كل ما يستطيعونه وكل ما يقدرون على تحمله في الأقتداء، فيؤدي ذلك إلى ثبات ما اكتسبه الأفراد بالقدوة في نفوسهم، وبناء شخصياتهم المتكاملة التي تسهم في بناء مجتمعهم وتماسكه، فقد اوصى الأمام الشافعي مؤدب ابناء الخليفة هارون الرشيد بقوله "ليكن اول ما تبدأ به من اصلاح اولاد امير المؤمنين اصلاح نفسك، فإن اعيُنَهم معقودة بيدك، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح ما تركته" (الشافعي، ١٩٧٢)، ومن الملاحظ ان الناس يحتاجون دائماً القدوة الصالحة في حياتهم، لذلك جعل الله عز وجل محمد ﷺ قدوة للمسلمين في كل زمان ومكان، وجعل حياته ترجمة عملية حية لحقائق الإسلام وتعاليمه وادابه وتشريعاته، فكان ﷺ في شخصيته الأنموذج الخلقي الكامل الصالح للاقتداء في كل امر من امور الحياة.

لقد حدد رسول الإسلام الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته بقوله "انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فكان الرسالة التي خطت مجراها تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهداً كبيراً في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لاتنشد أكثر من فضائلهم، وانارة آفاق الكمال امام اعينهم، حتى يسعوا اليها على بصيرة.

والعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان به ليست طقوساً مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء اعمال غامضة وحركات لا معنى لها، كلا فالفرائض التي الزم الإسلام بها كل منتسب اليه، هي تمارين متكررة لتعويد

المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، وان يظل متمسكاً بهذه الأخلاق، مهما تغيرت امامه الظروف (الغزالي، د.ت، ٦).

والقرآن الكريم والسنة المطهرة، يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق، فالصلاة الواجبة عندما امر الله بها أبان الحكمة من اقامتها، فقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٥) فالبعد عن الرذائل، والتطهر من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة (العزالي، د.ت، ٧)، ودلالة ذلك ما يرويه يروية النبي ﷺ عن ربه "انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب (الأصبهاني، ١٩٨٤، ٤/ ١٨).

والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هي – اولا- غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى من الطبقات، وقد نص القرآن على الغاية من اخراج الزكاة بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٣)، فتنظيف النفس من ادران النفس، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى امثل هو الحكمة الأولى، ومن اجل ذلك وسع النبي ﷺ في دلالة الصدقة التي ينبغي ان يبذلها المسلم (الغزالي، د.ت، ٧)، فقال ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك صدقة" وامرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وارشادك الرجل في ارض الضلال لك صدقة، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وافراغك في دلو اخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٣٣٩).

وكذلك شرع الإسلام الصوم، فلم ينظر اليه على انه حرمان مؤقت بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة، ونزواتها المتكررة،

واقرار لهذا المعنى قال الرسول ﷺ "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه" (البخاري، ١٩٨٧، ٢/ ٦٧٣)، وعن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ "إن الصيام ليس من الأكل والشرب فقط إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٨/ ٢٥٥)، والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وقد يحسب الإنسان ان السفر إلى البقاع المقدسة الذي كلف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على بعض اتباعه، يحسب الإنسان هذا السفر رحلة مجردة من المعاني الخلقية، ومثلاً لما قد تحتويه الأديان احياناً من تعبدات غيبية، وهذا خطأ، إذ يقول الله تعالى: في الحديث عن هذه الشعير ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٧) فهذا العرض لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام ،وعرفت على انها اركانه الأصيلة، تستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق، انها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول ﷺ في قوله: "انما بعثت لأتمم مكارم أخلاق" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٤٢)، فالصلاة والصيام والزكاة والحج، وما اشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام، هي مدارج الكمال المنشود وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها، ولهذه السجايا الكريمة التي ترتبط بها او تنشأ عنها، اعطيت منزلة كبيرة في دين الله، فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه، ويهذبه في التواصل مع الأخرين فقد هوى (الغزالي، د.ت، ٧).

فالايمان قوة عاصمة عن الدنيا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير او ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الأيمان المستقر في قلوبهم، وقد وضح

صـاحب الرسالة ان الأيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً، وأن انهيار الأخلاق مرده ضعف الأيمان او فقدانه، بحسب تفاقم الشر او تفاهته (الغزالي، د.ت، ٨).

وروي عـن الـنبي ﷺ: "ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، ويفسد العمـل كمـا يفـسد الخـل العـسل" (الطبرانـي، ١٩٩٤، ١/ ٢٥٩)، و الإسـلام جـاء لينـتقل بالبـشرخطوات فـسيحات إلى حـياة مشرقة بالفضائل والأداب، وقد اعتبر المراحل المؤدية إلى هـذا الهـدف النبـيل مـن صـميم رسـالته، كمـا انـه عد الأخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابـتعاداً عـنه، فليـست الأخـلاق من مواد الترف، التي يمكن الأستغناء عنها، بل هي اصول الحـياة الـتي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها، وقد حث الإسلام على التحلي بالفضائل، وحث اتـباعه علـى التمـسك بهـا، ولـو جمعـنا اقوال صاحب الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية لخـرجنا بـسفر لا يعـرف مـثله، لعظـيم مـن ائمة الأصلاح ،فقد دعا ﷺ إلى محامد الأخلاق ومحاسـن الـشيم، ففـيما يـرويه ابـن عـباس ﷺ كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان وقال أبو ذر ﷺ لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الـوادي فاسمع من قوله فرجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وعن أنس قال: "كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قـبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول لم تـراعوا لم تـراعوا وهـو علـى فـرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال لقد وجدتـه بحـرا أو إنه لبحر، وعن ابن المنكدر قال: سمعت جابرا ﷺيقول ثم ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٢٤٤).

وفـيما يـروى عـن عـبد الله بـن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والظلم فإن الظلـم ظلمـات يـوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ،وإياكم والـشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا أرحامهم وأمرهم بالفجور ففجـروا وأمـرهم بالـبخل فـبخلوا فقـال رجل يا رسول الله ونصف الإسلام أفضل قال أن يـسلم المـسلمون من لسانك ويدك قال يا رسول الله فأي الهجرة أفضل قال أن تهجر ما كره

ربك (ابن حبان، ١٩٩٣، ١١/ ٥٧٩)، وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ "أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله" (الطبراني، ١٩٩٤، ٤/ ٣٥٦).

وتنوعت النصوص التي حثت على الخلق الحسن في السنة النبوية، ومنها على سبيل الأستشهاد لا الحصر:

قوله ﷺ أكمل المؤمنين ايماناً احسنهم أخلاقاً (حنبل، د.ت، ٦/ ٤٧).

وعن أم الدرداء ﷺ عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ: قال: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء، (الترمذي، د.ت ،٤/ ٣٦٢).

وعن أم الدرداء ﷺ عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة" (الترمذي، د.ت،٤/ ٣٦٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال:"سئل رسول الله ﷺعن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٣٦٣).

وعن عبد الله بن المبارك "أنه وصف حسن الخلق، فقال: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٣٦٣).

وفيما يروية أسامة بن شريك ﷺ "شهدت النبي ﷺ والاعراب يسألونه يا رسول الله: هل علينا جناح في كذا مرتين، فقال: عباد الله وضع الله الحرج إلا امرؤ اقترض من عرض أخيه شيئا فذلك الذي حرج، قالوا: يا رسول الله فهل علينا جناح أن نتداوي فقال: تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء الا وضع له دواء، قالوا: يا رسول لله فما خير ما أعطي العبد قال: خلق حسن (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٣/ ٤٢٦).

وعن عبد الله بن الحارص قا ل: ما رأيت احد أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٠٣).

وعن انس ﷺ قا ل: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: اف قط، ولا قال لشئ لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا (مسلم، د.ت، ٤/ ١٨٠٤).

وعن عائشة ﷺ قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل (مسلم، د. ت، ٤/ ١٨١٣).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٠٣).

وكان رسول الله ﷺ أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ، وأحسن الناس خلقاً فكان رسول الله يلاطف الطفل الصغير ويقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير، وقد كان ﷺ سمحا لا يبخل بشئ ابداً، شجاع لا ينكص عن حق ابدا، عدلاً لا يجورفي حكم ابداً صادقاً اميناً في اطوارحياته كلها، وكان احسن الناس، واجود الناس، واشجع الناس، وقالت له خديجة: انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، وكان يؤلف بين أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منه، من غير ان يطوي عن احد بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابة، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه ان احد اكرم عليه منه (الغزالي، د.ت، ٨).

ومن الجدير بالذكر ان لناس اصناف ثلاثة، إنسان صاحب أخلاق إسلامية، وإنسان صاحب أخلاق اساسية، وإنسان صاحب أخلاق جاهلية، اما صاحب الأخلاق الإسلامية فهو الذي يؤدي العبادات ويغشى المساجد وهو اقرب الناس للدعوة، وهو لا يحتاج إلى كبير عناء، في الدعوة إلى الله، اما صاحب الأخلاق الأساسية فهو شخص غير ملتزم ولكنه لا يجاهر بمعصية، وهو إنسان اجتماعي فيه رجوله وعنده شجاعة ومروءة، ويأتي في المرحلة الثانية من الاهتمام، وصاحب الأخلاق الجاهلية وهو شخص لا يرعى في احد الاً ولا ذمة، يتحاشاه الناس لسوء أخلاقه ومعاملاته، قال رسول الله ﷺ: "إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٠٢)، ومثله كمثل الذي قال فيه

الرسول ﷺ "بئس اخو العشيرة" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٠٢)، ويأتي في المرحلة الأخيرة من الاهتمام السيسي، د.ت، ٢٥).

إن كثير من العلماء اكدوا في استقراءهم للواقع، بأن مرد كل الفساد في مختلف نواحي الحياة، ورأس البلاء، وأصل الشقاء، هو عدم الإخلاص وسوء الأخلاق، وأن اكبر واجب ومهمة في هذا العصر هو احياء الإخلاص والأخلاق وتجديهما، واكبر وسيلة للحصول عليها هو ان يمتلئ قلب المسلم بمحبة الله تعالى ، والطريق إلى الحب: ذكره تعالى والصحبة، وعشرة عباد الله الصالحين، والعلماء الربانيين، إن هذا الإخلاص والحب يحيي موات الأعمال، وينفخ الروح في الجهود الإصلاحية، ويملاه قوة وأملاً ونشاطاً وعزاً، فترجع الروحانية إلى العبادات، ويرجع النور إلى العلم، وترجع القوة والبركة إلى التعليم والتدريس، ويرجع التأثير على الخطابة والوعظ، ويرجع القبول والقوة إلى الدعوة والإصلاح، ويرجع الأثر المسلوب والجمال المحجوب إلى الكتابة والتأليف، ويعود التوفيق والنجاح وحسن العاقبة إلى الجهود السياسية والتنظيمية، ويعود الوئام والأنسجام إلى الأواصر والعلاقات، وتعود الوحدة الضائعة، والأئتلاف المفقود إلى الأحزاب والجماعات، ويعود الحب والأيثار على الأفراد والمجتمعات، وبالجملة فقد تجري المياه في مجاريها، وتعطي القوس باريها، ويزول كل لون من الضعف، وكل نوع من الفوضى، وذلك معنى الحديث الشريف إلا ان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب، وهكذا الأخلاق فلا يتصور حياة متزنة ناجحة بغيرها، لا تفلح محاولة اجتماعية بدونها، فهكذا الصحبة الصالحة، ومجالس العلم والذكر، والرياضات الروحية والمجاهدات، تسهم في تقويم الأخلاق، وازالة الرذائل، وبعبارة اصح تزكية النفس (الندوي، ١٩٨٤، ٤٠).

وترتبط الأخلاق بترسيخ المحبة بين الناس، من خلال اتقادها من نبراس الحب في الله، إذ لم يزل العارفون المحققون والعلماء الراسخون في كل دور من ادوار التاريخ الإسلامي يتتصرون للحب والعاطفة ويثيرونها، ويذمون غلو العقل والمنطق والخضوع الزائد للمقدمات والمصطلحات، وجفاف القلب والروح، ويعيدون الحياة والنشاط، والحماس والتفاني، واللذة والنشوة على هذه الأمة، التي تصبح في فترات من التاريخ فريسة المادية

الرعناء، والتطرف العقلي، والجمود العاطفي، إذ يقول جلال الدين الرومي "إن الحب ليحول المر حلواً، والتراب تبراً، والكدر صفاء، والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة ويسود العبد" ويقول في موضع آخر "أن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادى الثقيل في الأجواء، ويصل من السمك على السماك، ومن الثرى إلى الثريا، فإنه اذا سرى في الجبال الراسيات، ترنحت ورقصت، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، والحب غني ابي، لا يحتفل بالملك والسلطان، من ذاقه مرة لم يسغ شراباً، فالحب غني عن العالمين، ان كان الشغف بالمحبوب ونفي ما سواه جنوناً، فهو سيد المجانين، انه ملك الملوك تخضع له اسرة الملوك وتيجانهم، ويخدمه الملوك كالعبيد، فالحب كامن كالنار، ولكن الحيرة بادية، متواضع ولكن نفوس الملوك الذين يملكون النفوس له خاشعة، وكان يقول "بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم في ملكهم واموالهم، لا ننازعهم في شيء، اما نحن، فأسارى دولة الحب التي لا تزول ولا تحول" وقال: "أن جميع المرضى يتمنون البر من سقمهم، الا ان مرضى الحب ليستزيدون المرض ويحبون ان يضاعف في المهم، وحنينهم، لم ار شراباً احلى من هذا السم، ولم ار صحة افضل من هذه العلة، إن الدم الذي يسيل في سبيله لا يشك في طهارته، فلا يحتاج إلى الغسل" "ان دماء الشهداء افضل من الماء الطهور" "والحب تراث ابينا ادم، اما الدهاء فهو بضاعة الشيطان، فالداهية الحكيم يعتمد على نفسه وعقله، اما الحب فتفويض وتسليم، إن العقل سباحة قد يصل بها الإنسان إلى الشاطئ وقد يغرق، وإن الحب سفينة نوح لا خوف على ركابها من الغرق، لقد رأينا كثيراً ممن يحسنون السباحة قد غرقوا في هذا البحر اللجي، ولكن ما رأينا سفينة الأيمان والحب تغرق" فإن فاتك ايها القارئ العزيز ان تكون محبوباً، فلا يفتك يا عزيزي ان تكون محباً، إن لم يكن حظك ان تكون يوسف، فمن يمنعك من ان تكون يعقوب، وما الذي يحول بينك وبين ان تكون صادق الحب دائم الحنين، ان الحب الخالد لا يجدر الا لخالد، إنه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول، انه

حق الحي الذي لا يموت الذي يفيض الحياة على كل موجود، ان هذا الحب يجري من صاحبه مجرى الدم، إن وضع في محله، وصادف اهله، فإنه شمس لا يتتابها الأفول، وزهرة ناضرة، لايعتريها الذبول، عليك بهذا الحب السرمدي الذي يبقى، ويفنى كل شيء، الذي يدور عليك بكؤوسه التي تروي ظمأك، عليك بهذا الحب الذي ساد به الأنبياء وحكموا (الندوي، ١٩٨٤، ٦٠).

ومن هنا فإن للحب في الله اثراً عجيباً في تحريك الهمم، والارتقاء بالقيم، وربط القلوب بهذا الرباط الفريد؛ الذي جمع بين درجات مختلفة يصعب بينها اللقاء، والإنسان ليس هو تلك الصورة التي نراها بأعيننا، فتلك صورة وليست الحقيقة، انما الحقيقة هي أعماق الإنسان وأخلاقه وأشواقه واذواقه؛ وبقدر ما يملك من تلك المواهب الربانية والخصائص الروحية بقدر ما يقترب او يتبعد عن معنى الإنسان او الإنسانية، ومنا من يملك بعضها او يفقدها كلها فلا يعتبر في عداد الأحياء، وان كان يمشي ويتحرك ويتكلم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٩) والذين يملكون او يستشعرون مقام الروح والقلب والعاطفة والحب؛ هؤلاء الذين اكتشفوا أنفسهم وعرفوا غايتهم، وأدركوا سر الله في خلقهم، وعرفوا ان لهم غاية ورسالة أسمى، وأعظم وأجلّ وأكرم من تلك التي يعيشها أصحاب المتعة والمتاع والمال والسلطان لا غاية لهم ولا هدف الا الإشباع والضياع، فالناس صنفان موتى في حياتهم، واخرون ببطن الأرض احياء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٤)، ان الحب في الله يرقى بالإنسان في سماء لا تطاولها سماء، الحياة كلها لا تتسع لإشراقات نفسه وتطلعات روحه

وانبعاث أشواقه، لما لهذا الحب من أشواق وآثار عميقة الأثر في انفساح القلب، وانشراح الصدر، وايقاظ الهمة، وانسياب المعاني في جداول رقراقة تغذي وتنعش" (السيسي ١٩٨٥، ٥١).

ومن ثمرة الأخلاق، الحراك الهادف المعطاء، الذي يتسم بالأيجابية، فقد كانت سنة الرسول ﷺ حرباً على السلبية والجمود والتقوقع والرهبانية من اول يوم، فدعوة الإسلام دعوة حية متصلة بالحياة بكل ما تعنيه كلمة الحياة من معنى، فهناك فريق من المسلمين فهموا الإسلام فهماً ضيقاً دفعهم على تعطيل طاقة الفرد وحيويته وانتاجه بحجة العزوف عن الدنيا، والمبالغة في الزهد، والإقبال على الله، فمنهم من اعتزل المجتمع، ومنهم من تخلى عن الوظيفة، وهذا النهج فضلا عن كونه يصطدم اصطداماً مباشراً بطبيعة الإسلام الحركية، فإنه يسهل على أعداء الإسلام احتلال مراكز القوى، والحيلولة دون عودة هذه البلاد إلى قيادة منهج الإسلام في الحياة (يكن، ١٩٨٥، ٧٨)، وقال ﷺ "المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط لناس ولا يصبر على أذاهم" (الترمذي، د.ت، ٤/ ٦٦٢).

ومن القيم الأخلاقية الرائعة في الإسلام، بث الكلمة الطيبة بين الناس، حيث انها إن انتشرت التف الناس حولها، وأعلوا قدرها، وسادت كرأي عام فيه، فلا يرفع راية الخير الا الكلمة الطيبة، قال احدهم "لا يخدعنكم الفساد الظاهر والشر المستشري، ولا يهولنكم ذكر فلان وفلان من المفسدين، ففي الأمة اخيار أكثر مما تعدون من الأشرار، ولكنها راية رفعت للشر فأوى اليها أشرارها، وهرع لحوها انصارها، ونفر منها الأخيار فلم ينحازوا اليها، ولم تسمع اصواتهم حولها، ولو رفعت للخير راية لأنحاز اليها الأخيار وحفوا بها وسكنت امة الأشرار وقل جمعهم وخفت ذكرهم (الراشد، ١٩٨٩، ١٨٨).

ومن الصفات التي تفتح للداعية قلوب الناس وتجعله محل قبول عنده والفة منهم طيب كلامه، فكلام الداعية هو وسيلة الأتصال بالناس ووسيلة التعبير عن المعاني والأفكار، فإن كان الداعية متمكنا من لسانه ومتحكماً بكلامه، قادراً على انتقاء الكلم الطيب والتعبير الحسن، كان بالتالي قادراً على كسب قلوب الناس والولوج إلى نفوسهم وذواتهم، وإن كان

غير ذلك لا يلقى بالاً إلى ما يخرج من بين شدقيه، فقد اقام بينه وبين الناس حاجزاً لا يخترق وسداً لا يمكن النفاذ منه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣١)، وقال تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (البقرة :٢٦٣) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأحزاب: ٧٠)، وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (الحج: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥) وقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٤) وعن موسى الأشعري ﷺ قال: وقال النبي ﷺ "على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد، قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل، قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل، قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف، قال: فإن لم يفعل، قال: فليمسك عن الشر فإنه له صدقة، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي: ﷺالكلمة الطيبة صدقة، وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: "ذكر النبي ﷺ النار، فتعوذ منها، وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار، فتعوذ منها وأشاح بوجهه، قال شعبة ﷺ: أما مرتين فلا أشك، ثم قال" اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٢١٤).

ومن هنا فلا تستهن ولا تحقرن من المعروف كلمة طيبة، فإن الكلمة الطيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء، الكلمة الصادقة الهادفة، خطيرة انها تتحرك وتقيم جسراً، وتبث المحبة بين الناس، وتضيق دائرة المنكر وافات اللسان.

ومـن المهم بمكان، ان تعلى قيم الأخلاق الإسلامية، وينشر رأي عام في المجتمع يحفز علـى الالتـزام بأحكامهـا، كوجوب الصدق، والوفاء، والأمانة، والالتزام بالكلمة، والتعاون علـى الـبر، وحـرمة الكذب، والغدر، والخيانة، والتعاون على الشر، والتحلل من المسؤولية، واسـتغلال الـنفوذ والظلـم، ولحـو ذلـك، فهـذه الأحكـام الأخلاقـية بالوجـوب والتحريم، ضرورية لكل إنسان، ولكل مجتمع إنساني، يريد الصلاح والسداد.

ومـن هنا فلا يغني عن الأخلاق أي تقدم في مجال الثقافة والعلوم، إن الأزمة التي يمر بهـا العـالم الـيوم والأضـطراب في المجـتمعات وسوء العلاقات بين الأفراد مردها إلى زعزعة القيم الأخلاقية في النفوس وتجاوزها، فهي أزمة أخلاقية في جوهرها واساسها، والشريعة في تأكـيدها على الأخلاق لم تكن مسرفة في هذا التأكيد ولا مبالغة فيه، لأنها اكدت على ما هو ضـروري لأقامـة قـواعد الأصـلاح على اساس متين؛ ابتداء من النفس، والأخلاق بعد هذا معـان ثابـتة يحـتاجها الإنـسان الـسوي، ولا يتـصوران يجيء يوم يقال فيه ان الصدق والعدل والـوفاء بالعهـد وتـرك الظلـم معـان فاسدة عتيقة لم تعد صالحة لزماننا او عصرنا الله الا اذا ارتد الإنسان إلى جاهلية جهلاء لم تصل اليها الجاهلية الأولى.

وفي هذه الظروف المظلمة من الجاهلية، لا بد ان يشعر المسلم بالغربة، فكما جاء في الحـديث الـشريف "طوبـى للغـرباء" فهـي غـربة بالنسبة للواقع، أي لندرتهم وقلتهم بين غثاء ضـال، امـا في عـالم الـضمير والشعور فإن للمؤمن الفرد من ايمانه انيساً ورفيقاً وخليلاً يبعد الغربة (الراشد، ١٩٨٩، ٢٦٣).

التسامح وحرية التدين

أكـد الإسلام على قيمة التسامح في المجتمع المسلم، ودعا إلى التزامها واقعاً عملياً في الحـياة، والتـزم الإسـلام بمـبدأ حرية التدين وعدم اكراه الناس على الإسلام، لأنه مبني على القـناعة والأختـيار، وبلـغ الإسـلام مـن التسامح ما لم تبلغه اية فكرة ارضية في التاريخ، ولم تقوى على تقديمه مثل نهجة أي فكرة من افكار التقدمية والمدنية الغربية.

وحفظ لنا التاريخ نصوصاً موثقة مشرفة في هذا الصدد منها العهدة العمرية، وكيفية تعامـل صـلاح الـدين مـع المـسيحيين في القدس، وما سجلة التاريخ من تعامل المسلمين مع سكان الأندلس المسيحيين واليهود.

فمـن هـنا يعـد من مزايا عالمية المنهج الإسلامي، تجسد الصبغة الإنسانية فيه، صبغة الانفـتاح والقـدرة علـى تحمـل مـسؤولية هـذا الانفـتاح، وتلـك الـصبغة تجعله يتجاوز كل الأعتـبارات الأقليمـية والعنـصرية والقومية والجنسية والعرقية، الصبغة التي تستمد انفتاحها وشمولها وإنسانيتها من صبغته الربانية (يكن، ١٩٨٨، ٧٣).

وممـا يعزز خلق التسامح، وتربية افراد المجتمع المسلم عليه، اعتبار إن التقوى تدعونا إلى أن نتحكم بألسنتنا، ثم ندعو الله ان ينسينا ويمحو من ذاكرتنا حوادث الأساءة لنا كي تبرد قلوبـنا ولا يستمر غليانها، فالأصل ان لا نتكلم إلا بما يسدد ويقارب، وما يرضي الرب، أما مـا يفـرق وينـبت الـضغائن فـلا، ولا تتحرك السنتنا الا بخير، وتلزمنا تقوى مضاعفة عندما تفور قلوبنا (الراشد، ١٩٩٤، ٢٧).

وهـنا فإن التسامح بين افراد المجتمع المسلم، والتقاءه على ثوابت محددة تحفظه، مهما اختلفت ديانات واعراق المجتمع الواحد، فإن ذلك يوحد المجتمع المسلم، ويحفظه من ان ينخر مـن الـداخل، لأن النخـر مـن الـداخل هو البلية العظمى، وسرطان يقضه ويسرع في تفتيته، ومـن هـنا فإن المحن مقادير من الله يليق لها الصبر لتتحول إلى صالحنا بإذن الله، وهي تجارب مربية، وسينهار كل ظلم يوم تتحد قلوبنا، اما الأسباب الداخلية فتؤذينا، والأبنية الجماعية لا تنهار بأسباب من خارجها، لكن النخر الباطن (الراشد، ١٩٩٤، ٢٧).

أساسيات الأيمان تقوم على العمل بأمره تعالى وطاعته، والتزام المنهج الرباني، وتعميق اساسيات الأيمان، وترسيخ العلاقات الأخوية وتعمير القلوب وصون اللسان (الراشد، ١٩٩٤، ٧).

ومما يعزز قيمة التسامح في حياة المسلم، اعتبار ان الجنة هدف، وطريقها الأيمان، والوسيلة إلى الحب، والحارس النظام، فمما يحفظ النظام، احترام الأخر في المجتمع، وبذل التسامح، ونبذ التعصب والتزمت، وكافة اشكال التفرقة، مما يعزز قوة المجتمع، ويبث روح المحبة بين افراده، ويخفف من وطأة المادة وسعارها عليه.

ومما يؤسف له، عند تحليل واقع المسلمين، في ايامنا هذه، ما يسوده فيه من ظواهر التكفير العبثية، التي لا تستند إلى دليل، حيث يكفر المسلم اخية، وتلك مصيبة عظيمة، فضلا عن تكفير اخية من المذهب الأخر، وعدم احترام اختلاف الرأي في الفرعيات، فالأصل ان يتفق المسلمون على المشترك العام، ويتفهموا ظاهرة الأختلاف في الرأي الطبيعية في الفرعيات، هذا على مستوى الصف المسلم بأختلاف مذاهبه، فما بالك في الأخر الذي يدين بدين مختلف في المجتمع المسلم، فإن ساد التكفير في الصف المسلم الواحد، فكيف سيقوى امثال على هؤلاء على استيعاب الأخر من ملة اخرى، واحترام رأيه، ومنحه حرية التدين، في ظل ثوابت المجتمع المسلم، بالتأكيد ان تلك مصيبة عظيمة، لأن من لم يقوى على استيعاب اخيه، بالتأكيد هو لن يستوعب حقيقة استيعاب واحترام الأخر من ملة أخرى.

ولذلك لا بد من دراسة متأملة للتاريخ الإسلامي، وشواهده في التسامح الديني، ومن ذلك ما بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، من التسامح الديني، واستمر في الأجيال المتعاقبة، حيث دخل البعض في الإسلام، وبقي آخرون على ملتهم، وحفظت حقوقهم، ويستخلص بحق ان هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وارادة حرة، وان العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح (قطب،١٩٨٣، ٣٤).

ومما يمكن الجزم به بأن حروب الإسلام لم تكن لأكراه الناس على الدين، ولا للإستعمار والاستغلال والإذلال، انما كانت لإعلاء كلمة الله في الأرض، وجعل السلطة

العلـيا فـيها للذين يفردون لله سبحانه بالألوهية، وايصال الخير الذي جاء به الإسلام للناس كافـة عن طريق الرضا والأقناع وبتحقيق العدالة والأمن والسلام، في ظل سلطان الله المتفرد سـبحانه بالـسلطان، وفي ظـل هـذا السلطان الذي يقرر للناس منهج حياة للناس فيه احرار، يختار كل فرد عقيدته بلا ضغط ولا اكراه (قطب،١٩٨٣، ٣٤).

وهـناك ارتـباط بـين التـسامح الديني، وفقه مفردة السلام في الإسلام، فمن هنا فإن مفردة السلام يقصد بها تحقيق كلمة الله في الأرض من الحرية والعدل والأمن لجميع الناس، لا مجـرد الكـف عن الحرب بأي ثمن، مهما يقع في الأرض من ظلم ومن فسادا ومهما يكن في الأرض مـن طاغـوت واعـتداء على سلطان الله والوهية الله، وحين يحاول الإسلام اقرار الـسلام الـشامل وفق مبادئه العليا في تحقيق كلمة الله، لا يبدأ في مجال السلام الدولي، فتلك نهايـة المـرحلة لا بدايـتها، ومـا الـسلام الدولـي الا الحلقـة الأخيرة التي تسبقها حلقات، ان الإسـلام يـبدأ محاولـة السلام اولا في ضمير الفرد، ثم في محيط الأسرة ثم في وسط الجماعة، واخـيراً يحـاول في الميدان الدولية بين الأمم والشعوب، انه ينشد السلام في علاقة الفرد بربه، وفي علاقـة الفـرد بنفـسه، وفي علاقـة الفـرد بالجماعة ثم ينشده في علاقة الطائفة بالطوائف، وعلاقة الأفراد بالحكومات، ثم ينشدة في علاقة الدولة بالدول بعد تلك الخطوات، إنه ليسير في تحقـيق هـذه الغايـة الأخيرة في طريق طويل، يعبر فيه من سلام الضمير، إلى سلام البيت، إلى سلام المجتمع، إلى سلام العالم في نهاية المطاف(قطب، ١٩٨٣، ٣٧).

تلـك هـي نظـرة الإسـلام، فإذا شاء ان يقيم السلام العالمي على اساس ركين، فهو يبدؤه هنالك في قرارة الضمير، وللفرد في النظام الإسلامي قيمة اساسية، فهو اللبنة الأولى في بـناء الجماعـة، وفي ضميره تنبت البذرة الأولى للعقيدة، وفي سلوكه تستحيل العقيدة المكنونة حقـيقة ظاهرة، بل يستحيل هو ذاته ترجمة حية لهذه العقيدة، وفي ضمير الفرد يغرس الإسلام بـذرة السلام، السلام الأيجابي الذي يرفع الحياة ويرقيها، لا السلام السلبي الذي يرضى بكل شـيء، ويـدع المـبادئ العلـيا تـداس في سـبيل العافـية والـسلامة، الـسلام النابع من التناسق والـتوافق، المؤلـف مـن الطلاقة، والنظام الناشئ من اطلاق القوى والطاقات الصالحة البانية ومـن تهـذيب الـنزوات والـنزعات، لا مـن الكـبت والتنويم والخمود، السلام الذي يعترف

للفـرد بوجـوده وبـنوازعه وبأشـواقه، ويعترف في الوقت ذاته بالجماعة ومصالحها وأهدافها، وبالإنسانية وحاجاتها وأشواقها، و يؤمن بالدين والخلق والمثل كلها في نسق واحد.

ويـرتبط التسامح الـديني، بتحقـيق قـيمة العدالة الاجتماعية في الإسلام، فهي مبدأ بارزفي المجتمع المسلم، و يظهر هذا البروز في الأمر بها والحكم بين الناس، بموجبها، والالتزام بمقتـضاها بالنـسبة للقريب والبعيد، والعدو والصديق وفي المحكمة وفي السوق، وادارة شؤون الدولـة وفي البيت، وحتى فيما يعطيه الأب لأولاده، ان روح العدل وجوهره اعطاء كل ذي حـق حقـه واستعمال كـل شـئ في موضعه وهذا المعنى الواسع للعدل يحكم جميع تصرفات الإنـسان وعلاقاتـه بغيره وواجباته نحو غيره من بني الإنسان، ومن النصوص القرآنية الواردة في موضـوع العـدل قـوله تعـالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النـساء: ٥٨)، وقـوله تعـالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء: ١٣٥) ولا شـك ان هـذا المـبدأ يـضمن مصالح الـناس، ويتـسع لكـل تنظـيم صحيح يحقق معنى العدالة والمقصود منها، فإذا رؤي ان تحقيق العدالـة في القـضاء يستلزم جعل الحاكم على درجتين ابتدائية واستئنافية، وأن المحكمة تؤلف مـن أكثـر مـن حـاكم واحد، او تعيين هيئة تدقيقية لأحكام المحاكم "محكمة التمييز" فهذا ونحوه سائغ جائز ما دام فيه تحقيق العدالة في القضاء على وجه سليم (زيدان، ١٩٨٨، ٦٣).

لقـد جعـل الله سـبحانه وتعـالى الرسالة الإسلامية للناس جميعاً بلا استثناء، صالحة لكـل زمـان ومكان إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا

﴿ وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة سبأ: ٢٨)، ولقد اوضح لنا ربنا تبارك وتعالى المنهج السليم القويم في الدعوة اليه فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥)، ومما يؤكد عظمة الإسلام؛ وأنه بلغ في التسامح مبلغاً عظيماً قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون: ١ - ٦)، فمن دخل فيه كان منا، واما من لم يقبل بالإسلام فربما يكون بحاجة إلى توضيح وتبيين، وربما إلى حوار هادف، ولهذا قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) فنهى الله تعالى عن المجادلة بغير علم، وامر ان تكون المجالدة بالتي هي احسن في الخلق، وحسن الحوار، وفي الرد بأدب رفيع يقصد به اظهار الحق وهداية الخلق، على أساس من الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بالكتب السماوية المنزلة عليهم، والأنبياء الذين بعثوا اليهم فإن ذلك ادعى لقبولهم الإسلام واستجابتهم لدعوته.

والمتأمل في حقائق الإسلام السمحة يدرك جيدا ان التسامح يظهر في معاملة من لا يقبل الدخول في الإسلام؛ فإنه لا يجبر على ذلك لقوله تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ (البقـرة: ٢٥٦)، أي لا يكـره احـدا على الدخول في دين الإسلام، فالإسلام يأمر بالتسامح مع ما يختار الإنسان لنفسه من المعتقد ولا يجـبر علـى تغيير معتقده، وكان رسول الله ﷺ شديد الحرص على دخول الناس في الإسلام، وانمـا كان يعرضه عليهم فيقبله من يشاء، ويرده من يشاء وذلك في جميع الأحوال والظروف، وقـد اكـد رسولنا الكريم ﷺ بمواقفه العظيمة اسمى درجات التسامح، ومن ذلك مواقفه مع اهـل مكة عندما دخلها فاتحاً، فلم يجبر احداً منهم على الدخول في الإسلام مع انه كان عنده مـن القـوة مـا يمكـنه مـن قهر الناس واجبارهم، وهذا من أعظم صور التسامح (المزروعي، ٢٠٠٧).

وتؤكد آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية كرامة الإنسان الذي خلقه رب العزة واسـجد لـه الملائكـة سـجود تكـريم، ونظـرة التكـريم وعـدم التمييز لا تقتصر على المسلم فحـسب، بـل تشمل جميع البشر منذ ادم عليه السلام إلى قيام الساعة مهما اختلفت اشكالهم واوطـانهم، وبهـذا التـصور الإسـلامي في النظرة إلى البشرية يتعامل المسلم مع غير المسلمين حيث تتجلى معاني التسامح فيما أمر به ربنا جل وعلا في أكثر من آية في القرآن الكريم، وما كـان عليه رسولنا ﷺ فالله تعالى امر بالإحسان الى الوالدين وان كانا على غير الإسلام، ومن صـور التسامح ان المسلمين بلغوا مبلغاً عظيماً في التسامح عندما كانوا يطعمون الأسرى من غـير المـسلمين في زمـن لم يكـن هناك قانون دولي ولا منظومة حقوق الأسير، وفي سيرته ﷺ مواقـف عديـدة تعكـس مـا كـان علـيه من معاملة إنسانية اضحت قدوة في التعامل مع غير المسلمين (المزروعي، ٢٠٠٧).

فالتـسامح الإسـلامي في هـذا العـصر لـه ضـروراته المهمـة، ولـن يستـشعر هـذه الـضرورات الا مـن اتـاه سـبحانه وتعـالى عمقاً في فهم مقاصد الإسلام، واناط به مسؤولية التوجـيه والتثقـيف الأجتماعـي، وفـتح بصيرته على آفاق التعاون بين بني الإنسان، ليتكامل الأنـتاج المعرفي والحضاري بين الأمم والشعوب؛ في عصر تتسارع فيه خطى الزمان وتتقارب بـشكل ملمـوس، ففـي هـذه الأيام يختلط الناس في مجتمعاتنا الإسلامية بجنسيات متنوعة من

شتى القدرات، والألوان، والأعراف، والديانات، وعلينا ابراز الوجه المشرق للإسلام؛ من خلال التعامل معهم بتسامح، واشعارهم بالأمان والطمأنينة والارتياح.

إنهم يفاجأون حينما يشاهدون كيف تتعانق المآذن والصوامع وتتجاوز المساجد والكنائس، مما يبرهن للعالم ان هذا التراث الحضاري في المنطقة بكل كنوزه ورموزه، ما كان له ان يستمر ويتطور لولا ان المسلمين سلفاً وخلفاً، هم حقاً أصحاب رسالة إسلامية، تتسم بأنها إنسانية منفتحة غير منغلقة، وحضارية غير عنصرية، وأخلاقية سمحة غير جامدة ولا متسلطة (المزروعي، ٢٠٠٧).

وتباعاً لما سبق تبرز اهمية قيمة التسامح في المجتمع المسلم، والمساحات الراقية التي شكلتها من الصور التاريخية المشرفة، التي تؤكد عدم احادية الرسالة الإسلامية، ومرونتها، واحترامها للاخر، واستيعابها له في المجتمع المسلم، واسقاطها لقيم الطبقية والعنصرية والأقليمية والطائفية، وكافة الدعوات المفتتة للمجتمعات، التي تدمر الفكر والإنسان والمجتمع، وتذكي روح الصراعات الداخلية، وتجعل المجتمع ينخر من الداخل، في حين شكل المجتمع المسلم في المدنية المنورة، التي اقامه محمد ﷺ في المدينة المنورة، صورة رائعة وراقية للتسامح الديني، وتنظيم علاقة المسلم بغير المسلم، من جهة، وتشكيل حصانة داخلية للمجتمع من الداخل من خلال بث قيم الإسلام الحضارية ومنها عدم الأكراة على الدين، وتعليه قيمة التسامح الديني.

الفصل الثالث

منظومة مختارة من قيم المجتمع المدني

الفصل الثالث

منظومة مختارة من قيم المجتمع المدني

الديمقراطية

تدور تساؤلات متعددة حول الديمقراطية، وقيمها والإشكاليات التي تطرحها، وصورتها الواقعية بين الازدواجية والهشاشة والمهزلة احياناً كما نشهدها في الدعاية السياسية الأمريكية للحرب على العراق؛ تحت عنوان تحويل العراق إلى بلد ديمقراطي يحتذى به في الشرق الأوسط، وهو يئن تحت نير الحرب الأمريكية الظالمة وما تمارسه من دمار وتخريب ونهب وقتل يومي على مرأى العالم اجمع، فحديث سياسة بوش عن الديمقراطية في العراق اصبح عالمياً نكتة تثير الضحك، وتعطي مؤشراً بارزاً على منظومة حماقات وكذب سياسات امريكا تحت ادارة بوش الأحادية في تعلية شعار صراع الحضارات، تلك المعطيات الواقعية للديمقراطية الغربية اعطت صورة سودواية رمادية للمتاجرة بقيم الديمقراطية في سياسات النهب واستلاب الشعوب، وهذا هو واقع السياسات الأمريكية والغربية في العالم العربي والإسلامي والدول النامية، فالشعوب اصبحت تعي معنى زخرفة الكلمات الرنانة، تحت عناوين الديمقرطية وحقوق الإنسان والعولمة والسوق الحرة، وهي في الواقع ادوات لابتزاز الشعوب وامتصاص خيراتها، وتعلية للطبقية، وحصر ثروات العالم بأيدي حفنة صغيرة، وجعل باقي ابناء العالم وبالأخص في الدول النامية تئن فقراً وجوعاً وظلماً واستلابا، وهنا يمكن القول بالفم الملأن بأن امريكا سقطت حضارياً، وان قيم المجتمع المدني الغربي، اصبحت ادوات ازدواجية تطبق على شعوبهم، وتحرم منها الشعوب الآخرى، فلم يعد مسلماً بها، وغدت موضع نظر ومحاكمة.

وفي الدراسة البحثية للديمقراطية واستناداً إلى بعض التعاريف فإن الديمقراطية هي النظام السياسي الاجتماعي الذي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، أما اشتقاق الكلمة أو المصطلح فيعود إلى لفظ يوناني يعني حرفياً حكم الشعب تمييزاً للحكم القائم على قاعدة حكم الأكثرية عن أنظمة الحكم الأخرى مثل الحكم الفردي الاحتكاري وأنظمة حكم الأقلية (سين وجونغ، ١٩٩٩).

وقد تطور مفهوم الديمقراطية عبر المراحل التاريخية والأدوار المختلفة ليصبح نظاماً سياسياً واجتماعياً يرصد له المفكرون السياسيون خصائص أساسية، منها:

١ ـ وجود سلطة مرجعية عليا للدولة المتمثلة في الدستور والقانون الأساسي.

٢ ـ حرية الرأي والتعبير.

٣ ـ التعددية السياسية.

٤ ـ مبدأ تداول السلطة.

ورغم تحقق هذه الخصائص في العديد من أنظمة الحكم الغربية ،إلا ن النظام الاقتصادي الرأسمالي لم يستطع إلغاء المعضلات الديمقراطية التي تنشب عن امتلاك القلة الغنية لوسائل الإعلام والتأثير على الرأي العام وعلى المقترعين وبالتالي كافة المؤثرات على صنع القرارات بمختلف الوجوه والوسائل.

وهناك كثيرون ممن يعتقدون أن الديمقراطية هي بنية غربية صممت على أساس الظروف التاريخية الخاصة التي شكلتها، وهناك آخرون يجادلون بأنه في حين أن الحرية والديمقراطية يلائمان مناطق معينة في العالم؛ فإنهما ليستا أبداً سلعتين لاستهلاك سائر بني البشر، ويقولون بأنه يتعين على الشعوب الأخرى ألا تتبنى سبل الحرية والديمقراطية دون الأخذ بالاعتبار تراثها السياسي والثقافي والاجتماعي (يو، ١٩٩٤).

وهناك رأي اخر ينادي بتعميم ممارسة الديمقرطية، إذ صحيح أن المبادئ المؤسّسة للديمقراطية الدستورية، كما نعرفها اليوم، تعود في أساسها للفلسفة السياسية لجون لوك،

والـتي دخلـت، من خلال كتابات فولتير إلى فرنسا ثم أثرت بعمق على أولئك الذين صاغوا الدسـتور الأمريكي، ولكن حقيقة أن مبادئ الحرية السياسية والديمقراطية هذه قد تم وضعها أساسـاً في الغـرب لا تـستثني تطبـيقها عالمـياً كمـا لا يمكـن الجـزم بأنه لم يتم التعبير عنها في سياقات أخـرى، وبـشأن رؤيـته لوجه التعارض بين الإسلام والديمقراطية عند البعض فإنه يـشير إلى ان الحـرية هـي الهدف الجوهري للقانون المقدس. والإسلام عبّر دائماً عن الأهمية القـصوى للعـدل وهـو مفهوم تقريبي لمعنى الحرية في التعريف الغربي. الحرية تقتضي الحكم وفقـاً لمـا يملـيه القانون الإسلامي الذي يؤكد على التشاور ويشجب الحكم المطلق والطغيان (سين، ٢٠٠٦).

ويـبين القاضـي الكـبير الـشاطبي (المتوفي عام ٧٩٠م) بأن المقاصد الشرعية تكرس أهمية كبرى للمحافظة على الدين والحياة والفكر والعائلة والثروة، وهذه كلها أهداف تحمل سمـات مـشتركة بـشكل يـبعث علـى الدهـشة مع أفكار لوك التي تم طرحها بعد ذلك بعدة قرون (سين، ٢٠٠٦).

وقـد أوضـح مفكـرون عديـدون بأنـه يجـب إعادة تنقيح القوانين التي تتعارض مع (المقاصـد) أو تعديلـها لتـتطابق مع الأهداف العليا، وللتأكد من أنها تسهم في سلامة وتطور الفـرد والمجتمع، ورغم الحالة الاستبدادية الراهنة في العالم الإسلامي، فليس هناك شك في أن عناصـر أساسـية عديدة في الديمقراطية الدستورية والمجتمع المدني هي أيضاً مكونات أخلاقية أساسـية في الإسـلام - حـرية الـضمير، حـرية التعـبير، وقدسـية الحياة والملكية- كما تظهر بوضـوح تـام في القـرآن إضـافة للأحاديـث النبوية، وربما بشكل خاص بصورة أكثر إحكاماً وبلاغة في خطبة الوداع (يو، ١٩٩٤).

ويعـد من العناصر الأساسية للديمقراطية أن تكون سلطة الحكومة مستمدة من قبول الـشعب،من خـلال الـتأكد من أن إجراء انتخابات يحقق هذا الشرط أم هناك قضايا جوهرية أخـرى يجب أخذها في الاعتبار؟، إذ ينبغي أن تكون الانتخابات نفسها حرة ونزيهة وشفافة، ويجب أن يكون هناك "ساحة مستوية ومفتوحة" للجميع، هذا يتطلب فرصة متساوية للوصول إلى وسـائل الإعـلام، ونقاشـاً مفـتوحاً، وإدارة انتخابات تستطيع الصمود أمام مراقبة دولية،

كما يجب أن تتمتع أحزاب المعارضة ومرشحو المعارضة بحرية الكلام والاجتماعات والحركة التي تتيح لهم التعبير عن انتقادهم للحكومة بصراحة ولعرض سياسات بديلة ومرشحين بديلين على جمهور الناخبين.

إذا كانت الديمقراطية تعني المشاركة السياسية بمعنى الكلمة فإن وجود معارضة حيوية يصبح مسألة أساسية كحماية ضد طغيان السلطة المطلقة. وبالمثل، فإذا كانت التعددية هي الاختبار النهائي للديمقراطية، كما ينبغي أن تكون في الواقع، فإننا سنجد أن كثيراً من البلدان اليوم هي حالات فاشلة تعيسة—ليس فقط في العالم العربي بل في ديمقراطيات دستورية نالت استقلالها قبل نصف قرن من الزمن.

من هنا فإن الديمقراطية، تتعلق أيضاً بالعدالة، إن فكرة العدالة مركزية جداً لمعنى أن يكون المرء إنساناً بحيث لا يخلو أي مجتمع من هذا المفهوم، إضافة لذلك، ومع نضوج المجتمعات، فإن توقعات الناس في مسألة العدالة تصبح أكبر، لقد تم تحريك مجتمعات بكاملها للعمل سعياً من أجل العدالة والحكم الرشيد وإسقاط السلطات الاستعمارية والاضطهاد الأجنبي، ومع ذلك، فإن هذه المجتمعات تجد نفسها اليوم، وبعد زمن طويل من الاستقلال، مجبرة على القتال ضد الاضطهاد الداخلي، لأنه لا يمكن أن تكون هناك عدالة في ظل الاستبداد- النظام السياسي الذي يتميز بحكم الرجال وليس حكم القانون.

فحكم القانون يتطلب أن تكون الأنظمة والإجراءات التي تطبقها الدولة عامة وواضحة وليست سرية أو تعسفية أو خاضعة للتلاعب السياسي، بحيث لا تقتحم البيوت وتفتش من قبل الشرطة دون أمر قضائي، والأمر القضائي يجب أن يصدر بموجب أسس شرعية وليس كمسألة شكلية على يد قضاة ومدعين عامين خانعين، حيث لايتم اعتقال أحد دون تهمة واضحة، ولا يتم انتزاع الاعترافات عن طريق التعذيب والإيذاء الجسدي أو النفسي أو أي نوع من الترهيب أو الترغيب، بعبارة أخرى، ينبغي ألا تكون هناك إجراءات خارج سلطة القضاء أو اعتقالات تعسفية أو استخدام أجهزة الدولة لقمع المعارضة السياسية والسخط السياسي.

ويقصد بسيادة القانون حماية الحقوق الأساسية أيضاً، وكما يقول رونالد دوركين يجب "أخذ هذه الحقوق بصورة جدية"، هذه الحقوق يجب حمايتها من قبل سلطة قضائية مستقلة تعمل كهيئة مراقبة وتوازن فعالة ضد سلطات الفرعين التنفيذي والتشريعي للدولة، السلطة القضائية هي الضمان الأساسي للحريات الأساسية، ويجب ان يكون القضاة مستقلين في قرارتهم عن الفروع الآخرى المتنفذة في البلد، بحيث لا يكون لها سيطرة عليهم، وتكون الشؤون المتعلقة بمناصبهم محمية من قبل الدستور، ولضمان نزاهتهم وقدرتهم على إصدار الأحكام دون ترهيب أو ترغيب، فإنه من الواجب بمكان ان لا يعزلوا إلا لسبب واضح، وبموجب إجراءات رسمية نزيهة، وهنا يجب التأكيد على منع عزلهم أو حتى التهديد بالعزل لمجرد أن لديهم الجرأة الكافية ليقولوا "للأعور أعور".

وربما يكون هناك اشكالية في استغلال استقلالية القضاء، فيصبح شبح قضاء منفلت من عقاله يتطاول على حقوق الحكومات والتقاليد الدينية والمعنوية للناس، لكن يجيب على ذلك المنظرين في الديمقراطية بأن استقلال القضاء ضروري لحماية المواطنين ضد حكومات تعسفية واستبداد سياسي، وفي الواقع أن الصورة الساخرة التي تتسم بها قضايا سياسية في معظم البلدان، هي تذكير صارخ بأن فصل السلطات يبقى غالباً سراباً على الساحة الدستورية، فإستقلال القضاء ضمانة للنزاهة والأمانة، وموضوعية القرار بعيداً عن مؤثرات السلطات الفرعية الآخرى (هوبسيارم، ٢٠٠٣) .

والنقاش حول الديمقراطية، بالنسبة للكثيرين من منظري الديمقراطية"، ينطلق من التمسك الفطري بالكرامة والشرف والغريزة الإنسانية الطبيعية في الحياة والتنمية، إذ كل يوم يمر دون تغيير، يعني ليلة كئيبة أخرى لسجناء سياسيين يقبعون في العزلة، أو حالة وفاة أخرى ناجمة عن الجوع والمرض بسبب الإهمال والحرمان، أو فرصة جديدة لفاسد للفرار بملايين نهبها من خزينة الدولة (سين وجونغ، ١٩٩٩).

هذا النقاش يدور حول اندماج الناس بدولتهم، وحول الحكم الرشيد والمساءلة، فهنا يرفض التغيير بكل قوة طرسة السلطة ومكائد أجهزة الأمنية وتعليق الحريات المدنية سواءً كان ذلك في ديمقراطيات ناضجة أو ناشئة.

وفي الـوقت ذاتـه نجـد دولاً عظمـى تدعـي الديمقراطية، وهي في الوقت ذاته تعتمد المعـايير المـزدوجة في تطبيق نظام الديمقراطية، فعندما يتم ادانة الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربـي والإسـلامي، يجب ان لايغـض النظـر عـن الفظائـع اللاإنسانية في انتهاكات حقوق الإنـسان الـتي تجـري في فلـسطين المحتلة يومـياً ومأسـى الأبادة الجماعية في العراق، من قبل الأحـتلال الأمريكـي الغاشـم في العـراق، الذي يشكل إرهاب دولة، ويجب ادانة كافة صور المعاملـة اللاإنسانية اللاأخلاقية للسجناء في أبو غريب وغواتنامو، كذلك يجب الا يتم تجاهل المعاملة المحزنة للسجناء السياسيين في سائر أنحاء العالم.

وربمـا الـصورة المأسـاوية لإرهـاب امريكا في العراق، يضعها امام محاكمة قاسية، في مـدى ممارسـتها لقـيم الديمقـراطية الحقيقـية، وهـنا الفجوة الكبرى بين ما تدعيه عبر خطابها الـسياسي، وبـين الواقـع اللاإنـساني والأحـادي والديكـتاتوري والأسـتعماري الذي تمارسه امـريكا مـع كـل مـن يـناهض مشروعها الأستكباري في العالم العربي والإسلامي إذ تجهر له الـتهم الفـورية بأنـه إرهابـي، وهـذه مغالطـات كبرى تنم عن نفسية امريكية قائمة تتبنى نهج صراع الحضارات لا حوار الحضارات والسلام العالمي العادل.

مـن هـنا فإن الديمقراطية تعلي روح تبادل الاراء، وتقبل الأختلاف، وهذه القيم لها تـاريخ مترسخ في الثقافة الحضارية الإسلامية، في التسامح الديني وتقبل الآخر، وعبرت عنها الحكايـات الـروائية الواردة في كتاب "سُلوان" (دليل الحاكم العادل) لظافر الصقلي الصادر في القـرن الثانـي عـشر، إذا كانت الديمقراطية تتعلق برعاية "روح الاختلاف" فإنها قد كانت حقاً جـزءاً أساسـياً من التاريخ الثقافي الإسلامي وقد قامت على أساس أحاديث تنسب للرسول محمـد ﷺ مفادهـا أن اخـتلاف آراء المفكرين رحمة، لقد كان أئمة المذاهب الإسلامية الرئيسية يحـتجون بإصـرار ضـد تـبني الدولـة الحاكمـة في أيـامهم لمذهب الواحد منهم دون المذاهب الأخرى، وقد سجن العديد منهم بسبب ذلك (كيشيشان، ٢٠٠٣).

وكمـا يقـول تـي. إس. إلـيوت، فـإن قيم الديمقراطية الحقيقية تتبنى روح المشاركة، ورفـض تهمـيش الـناس لمجـرد اخـتلاف قـناعاتهم الـسياسية، مـن هـنا يجـب التأكد من أن المؤسـسات الدسـتورية راسـخة في مكانهـا لإيواء طيف عريض من الرؤى السياسية الحديثة

منها أو القديمة، والإسلامية منها أو الليبرالية، يجب على الغرب ألا ينظر إلى المفكرين التقليديين كأعداء للحرية أو الديمقراطية؛ فالكثير منهم قاتلوا من أجل الحرية والعدالة وكثيرين منهم دفعوا ثمناً غالياً في سبيل ذلك، ومن الخطأ السعي لمشاركة الليبراليين فقط وتجاهل القادة الذين يحوزون على دعم الأغلبية، إن التحدي الذي تواجهه الديمقراطية هو المشاركة مع أعرض طيف ممكن دون التضحية بالتزامات بالحرية والديمقراطية (سين ، ٢٠٠٦).

وربما غاب هذا عن السياسات الأمريكية والأوربية، التي اعلت من شعارات صراع الحضارات، وتبنته ادارة بوش، في سياساتها العنصرية الأحادية تحت عنوان شرق اوسط جديد، فنجدها ترفض ما تفرزه الديمقراطية في فلسطين المحتلة، تحت قيادة حماس الحائزة على الأغلبية الشعبية، وترفض اتاحة الفرصة للبنان الجريح في ان يمارس الديمقراطية من خلال التوافق بين المعارضة وفريق الموالاة في لنبان ، وكذلك دورها في خلخة الأمن في باكستان والسودان وافغانستان، وسعيها الهستيري للإنقضاض على النظام السوري الحاكم، وحرمان ايران من حقوقها العلمية في الطاقة النووية.

ومن هنا فإن النتيجة التي يجب استخلاصها من هذه الموروثات هي أن رغبة الإنسان في أن يكون حراً والعيش بكرامة هي حالة عامة لكل الناس، وينطبق ذلك على مقت الناس للاستبداد والقمع، هذه مشاعر لا تحفز المسلمين فقط، بل الناس من جميع الحضارات،

إن نظريات الديمقراطية تتبنى التعددية في الرأي، إذ يمكن أن تتكون الأمة من خليط من الأفراد والعائلات والعشائر والمجتمعات الدينية والمدن والمناطق والمجموعات العرقية، ليست الأمة كالفرد الواحد الذي يكون له رأي واحد ونهائي إزاء قضية واحدة، بل على العكس فأن الأمة تحوي عدة آراء مختلفة إزاء العديد من القضايا، ولن يتفق الجميع مع بعضهم البعض، إذا حاول اي بلد ديمقراطي أن يصر على مبدأ تماثل الآراء في الكثير من الأمور، ستجد الأمة أنها منقسمة على نفسها، وستكون هنالك صراعات ربما تؤدي الى اندلاع أعمال عنف.

www.misbahalhurriyya.org/policies/show/50.html

من هنا لا بد من الاتفاق على ثوابت الأمة، والمشترك العام، واحترام الآخر وتعزيز قيم المشاركة واحترام روح الأختلاف، والوصول بها إلى منصة التحصين الداخلي من عدم التشرذم، وتحقيق مصالح الأمة العليا بكل كفاءة واقتدار، ومن المهم أن تكون الأمور التي تقررها العمليات الديمقراطية محددة، إذا كنا نريد أن تكون ديمقراطيتنا منسجمة ومستقرة، ففي الديمقراطية الدستورية المستقرة، يوجد الكثير من القضايا لا تبت بها الانتخابات الديمقراطية، ولكنها رهن بالاختيار الحر للمجموعات والأفراد، والذين يتولى الدستور حماية حقوقهم.

إن الحريات المحمية دستورياً ذات أهمية خاصة في الدول ذات "الأقليات الدائمية" مثل الجماعات الدينية والعرقية، فإذا ما اقتنع هؤلاء انهم غير قادرين على أن يصبحوا أغلبية ليفوزوا في الانتخابات في يوم ما، وأن اغلب حقوقهم الأساسية ستسلب اذا ما بقوا أقلية، فإنهم سيشعرون بعزلة تامة، وربما يلجؤون إلى العنف، إن كل من حرية الدين، وحرية ارتداء الحجاب، وحرية اللغة، وحرية التجمع مع الآخرين من دون التخوف من الاعتقال أو التحرش، هي حريات محمية بالدستور في البلدان الديمقراطية ولا تتأثر بتغير قرارات الأغلبية

www.misbahalhurriyya.org/policies/show/50.html

لا توجد هنالك "إرادة واحدة للأمة"، بل هنالك إرادات ووجهات نظر واهتمامات وآراء مختلفة، يجب الاحتراس من الساسة الذين يدعون بأن هنالك ارادة واحدة للأمة وأنهم يمثلون صوتها الشرعي الوحيد، وإذا كان من الممكن التكلم عن "ارادة الأمة" بشكل هادف، يمكن حينها الإشارة الى الدستور فقط، وليس الأشارة إلى قائد أو قرار سياسي أو قضية ما، لأن الدستور في حد ذاته بحمايته للحقوق هو المعيار الوحيد لوحدة الأمة.

وهنالك خطرمن تحول الديمقراطية الى اداة للظلم وخصوصاً في المجتمعات ذات التنوعات العرقية أوالدينية أوالعائلية أوالعشائرية أواللغوية القوية، عندما تحصل مشاكل ما، عندما يقوم الكثير من الساسة بإلقاء اللائمة على المجموعات الآخرى، وعلى الأغلب

الأقليات، ومن ثم يطالبون الدولة بمعاقبتهم ومصادرة ممتلكاتهم. يمكن أن يطالب الساسة الانتهازيون وغير العادلين الدولة بإعادة توزيع أملاكهم الى مناصريهم، ويمكن أن ينزل مستوى الحكومة حينئذ إلى مستوى النهب والسلب، فلن تكون حياة وأموال وحريات الناس في مثل هذه البلدان في مأمن من الخطر، يمكن للجماعة التي فازت اليوم وسلبت أموال الغير، أن تخسر غداً وتخسر كل ما حصلت عليه بل أكثر من ذلك، ويخسر الجميع في نهاية المطاف، ومن هنا فإن تقييد نشاطات الحكومة بالقانون، وعدم اعتبار سياسة الدولة وسيلة لتكريم مناصري الحكومة ولمعاقبة مناوئيها، يجعل الدولة الديمقراطية الدستورية قادرة على ان تجلب الازدهار للجميع.

www.misbahalhurriyya.org/policies/show/50.html

ومما ينتهك قيم الديمقراطية، سرقة السلطة المتنفذة لأموال الدولة، وجزل العطاء للآخرين من بطانتها بدون احقية، فتكون لدينا صور واقعية حية للذين يستحوذون على السلطة المطلقة، والذين لا ينفكون عن امتلاك القصور الفخمة والسيارات الفارهة، هؤلاء هم الذين يدمرون قيم الديمقراطية، ويأدوها.

تباعاً لما سبق يجب أن يكون هَمّ الدولة الوحيد هو الدفاع عن العدالة ضد العدوان، ومن هنا فعندما الدولة أداة للعدوان والعنف، فلا اختلاف هنا بأن الديمقراطية تكون الديمقراطية في خطر.

حرية التعبير

يستند المجتمع المدني في مبادئه على اعتماد حرية التعبير، وقبول الآخر والحوار معه، في ضوء المشترك العام، وقبول المعارضة ومنحها حقوقها السياسية، في كافة سبل التعبير، في ضوء احترام الآخر، واعتماد الوسائل المشروعة للمعارضة بعيداً عن العنف والأستبداد في التعبير.

ومن هنا فإن نظام المجتمع المدني، يعزز حرية في التعاطي مع الآخر اعلاميا، بدون سيطرة السلطة الحاكمة عليه، وتجييره لها، وفي نظام الأنتخابات يتاح لكافة الأطراف ان تدلي ببرامجها الأنتخابية، دون ان يكون حكراً على النظام الحاكم، وفي كافة المجالات الثقافية هناك مساحة لتباين الأراء والأدلاء بها، في منظومة الحوار المتمدن الذي يقبل الآخر ولا يلغيه.

وتعد قيمة حرية التعبير، مهمة جداً في تقبل الآخر، والغاء مفهوم السجناء السياسين، او من اجل الحريات او لتهمة الأدلاء برأي مخالف للسلطة.

وتنتقل حرية التعبير في ضوء مفهوم المجتمع المدني، لتصل مساحات تقبل الملتقيات الحوارية في تواصل الثقافات والحريات، والدفاع عن كافة صور انتهاكات حقوق الإنسان، وتبلغ دولياً في مناصرة الدول المستضعفة، ومنحها منبراً حراً لتعبر عن مساحات الأستبداد والظلم العالمي الذي ترزخ تحت نيره.

وربما تشكلت حرية التعبير في ضوء الوجدان الثقافي، في المساحات السياسية والأعلامية على وجه التحديد والخصوصية، لما لهذين المجالين من اهمية كبرى في تعزيز حرية التعبير، وتدعيمها في المجتمعات المدنية.

وتطرح تساؤلات مهمة في مجال حرية التعبير، مفادها، كيف يمكن تحقيقها بصورة متكاملة سوية، بعيداً عن السلبيات وتدمير المجتمع من خلالها، بحيث تعمه الفوضى، وتلغى الثوابت والقيم في ضوئها، وهنا تبرز اهمية البعد الاسري والتربوي، في التربية الإيجابية على حرية التعبير في محضن الأسرة، من خلال الأبوين، بحيث يتاح للابناء التعبير عن ارائهم، وتتاح الفرص المتكافئة للتعبير عن الرأي من قبل الذكور والأناث دونما تفرقة، وتكمل

المؤسسة التربوية ذلك في ضوء تربية المتعلم على مبادئ الحوار الهادف، واحترام ما يعرف بالمختلف، وتبني المشترك العام، في ضوء ترسيخ تلك الثقافة الحوارية، ورفض الاصطدام مع الآخر، واحترام خصوصياته، والالتقاء مع لامشترك العام في ضوء اهداف نبيلة سامية.

ويتفاوت المشترك العام والمختلف في مساحاته بحسب المجتمعات والخصوصيات بحكم الوطن والأمة والمفهوم الإنساني، وفي ضوء ذلك يتم الالتقاء على نقطة المركز في الحوار والتواصل، بعيداً عن التزمت والانغلاق ورفض الآخر، واتاحة الفرصة لكل طرف ليعبر عن ارائه في ضوء احترام الآخر، ويربى الآخر على مهارة الإصغاء الإيجابي دون تجريح الآخر، ليلتقيا في بوتقة التبادل الثقافي الواحد، دون تصادم.

والمتتبع للجذور التاريخية للحياة، يجد ان البشرية امتدت من ادم وحواء، فتناسلت وكانت الأمم والثقافات واللغات، وما يعرف بأن الأرض كلها جغرافيا واحدة، فالمتأمل بعمق، يجد ان الحقيقة للحياة واحدة، والإنسانية واحدة، وهذا موجب لاحترام كل طرف للآخر، وتبني مهارة الأستماع اليه، من خلال اتاحة مساحات حرية التعبير لديه، التي تؤطر في ظلال الأدبيات وعدم التجريح وانتقاص الآخر، وتخوينه، واهانته إلى غير ذلك من أدبيات أخلاقية في الحوار، والمتتبع للجغرافيا، فإن الكون واحد والأرض واحدة مهما تنوعت تسميات الجغرافيا في ضوء بلدان واقاليم، فالأنسنة تفترض تعميم قيمة المحبة والسلام والتأخي، ونبذ كافة سبل العنف وانتهاك حقوق الإنسان والغاء الآخر.

هذه منظومة القيم المتولدة من قيمة حرية التعبير بمساحاتها الواسعة المنضبطة في أدبيات أخلاقية في التعبير والحوار، واستشهد هناك بكلمة لماريو فارجاس لوسا إذ يقول 'إن التقدم الذي تم إحرازه في العقود الأخيرة، في موضوع الحرية، في المجتمعات المدنية، ليس أمراً لا يمكن الرجوع عنه. وما لم نتعلم كيف ندافع عنه، فإن ثقافة الحرية يمكن أن تصبح آسنةً، وسوف يفقد العالم الحر الأرضية لصالح قوى الاستبداد الشمولية والقبلية، مرتدين قناعاً من القومية أو التطرف الديني'

www.misbahalhurriyya.org/policies/show/135.html

تقييم واقع حرية التعبير عالمياً

هناك تساؤلات متنوعة مطروحة في ضوء التنظير لقيمة حرية التعبير ومساحاتها في السياسة والأعلام والثقافة والتربية والاقتصاد والتنمية، حول واقع تلك القيمة في التطبيق العملي لها من قبل المجتمعات المدنية، إذ يلحظ الباحث المتتبع لتلك الحيثية، مساحات من الازدواجية والتناقض في التعاطي مع تلك القيمة السامية، في ضوء ابعاد متنوعة يمكن ايجازها في المحاور الآتية:

- اعتماد امريكا واوربا تلك القيمة في ظل مجتمعاتهم، وفي اطارها، واستبعادها في التعاطي مع العالم المستضعف، حيث ترفض السياسات الأمريكية صوت المعارضة لمشاريعها التوسعية الأستعمارية في العالم العربي والإسلامي، فتبذل كافة سبل الخداع والتضليل السياسي والأعلامي، لألغاء صوت الشعوب، ومطالبتها بالحرية ورفض الوجود الأمريكي، والأحتلال الصهيوني الغاشم على فلسطين المحتلة، او اية محاولة نقد لحليفتها الأستراتيجية اسرائيل، في ضوء انتهاكاتها اليومية الصارخة لحقوق الشعب الفلسطيني الذي يسلخ كل يوم على مرأى الشاشات العالمية، والعالم صامت لا يتفوه بكلمة، حيث تغلق كافة منابر التعبير التحررية للواقع الفلسطيني الرازخ تحت نير وظلم واستعباد وديكتاتورية ووحشية النظام الصهيوني اللاإنساني، وفي السياق ذاته نجد دول الأتحاد الأوربي تحوم حول تلك الدائرة في الازدواجية السياسية وان كانت على درجة اقل من السياسة الأمريكية، فهنا يبرز التناقض في الدعوات التنظيرية الشكلية عالميا لتعميم قيمة حرية التعبير واحترام حقوق الإنسان، في الواقع الذي تمارس فيه تلك المجتمعات المدنية تلك القيمة في مجتمعاتها الخاصة، وترفض تطبيقها على المجتمعات الآخرى، تحت مظلة المصالح السياسية، او ما يعرف بالأنانية السياسية، وهناك مقولة تقول " إذا اردت ان تهدم مبدأ، فقم بالدعوة اليه، ثم مارس عكسه، وهذا ما يمكن وصفة بدقة على السياسة الأمريكية ودول الأتحاد الأوروبي، فهؤلاء يمارسون الحريات في بلادهم، ويرفضونها في العالم العربي والإسلامي عندما تختلف مع سياستهم ومصالحهم التوسعية، وهم اشبة بلصوص يسرقون الشعوب

الآخرى، ويمارسون القيم في تربية اولادهم، ويوفرون لهم عيشاً حضارياً كريماً، من خلال الأنفاق عليهم من اموال الشعوب المظلومة المستضعفة المسروقة، وربما الواقع العراقي الدامي خير مثال على ذلك، حيث يدمر الشعب العراقي وتنتهك حقوقه يومياً في صورة دموية مأساوية، ويسلب نفطه يومياً، حيث تقوم عليه مدنية امريكا ومستقبلها العالمي، وينادي بالقيم المدنية ومبادئ المجتمع المدني في امريكا، وتصدر الأحادية والدمار والكبت والديكتاتوريات المشكلة باليد الأمريكية، لضمان مصالحها ومصالح حليفتها الأستراتيجية اسرائيل في منطقة الشرق الأوسط .

- رفض السياسة الأمريكية ودول الأتحاد الأوروبي، لمساحات حرية التعبير، وما افرزت في فلسطين، من خلال اعتلاء حركة حماس لصناديق الأقتراع، ومحاربة امريكا ودول الأتحاد الأوروبي بالتعاون مع منظومة الأعتدال العربي، ارضاءً لأسرائيل، حيث مورست كافة الوسائل اللاأخلاقية في هذا الصدد، ادت إلى تقسيم الواقع الفلسطيني وتفجير الوضع الداخلي فيه، ومحاصرة غزة وممارسة كافة السبل اللأخلاقية في محاصرة غزة ومنع الماء والكهرباء والوقود، فأين هي القيم المدنية التي تتبجح فيها امريكا ودول الأتحاد الأوروبي في هذا البعد على وجه التحديد، وكما اشار احد المفكرين البارزين في فرنسا في اوائل عام ٢٠٠٦ حيث قال بالفم الملأن سقطت امريكا، حضاريا ومدنيا وقيميا واجتماعياً، واردفه اخر قائلاً سقطت امريكا في العراق، سقوطا صارخا، وسقطت معها كافة الشعارات الباهتة التي تنم عن نفاق وازدواجية في احترام الإنسان وحريات التعبير والسلوك المتحضر في الحياة .
- كيف يمكن تقييم حرية التعبير، في ضوء ممارسات امريكا وبدعم غربي، للصراعات المذهبية والطائفية في العراق ولبنان، وتدعيم كافة صور الأقتتال الداخلي في فلسطين المحتلة بين حماس وفتح، واغلاق وسائل الحوار في السودان بين الدولة والجنوب .
- يعد وصمة عار وإهانة للمجتمعات المدنية ما تمارسه امريكا من رفض وقمع لحقوق الشعوب في السيادة والعلم ، واتهامها بالإرهاب عندما تعبر عن ارائها في سيادتها وكرامتها وحقوقها العلمية من خلال حق امتلاك الطاقة النووية في ايران، وحقوق

سوريا في الدفاع عن سيادتها، في الوقت الذي تسافر فيه جيوش امريكا إلى اقصى العالم (العراق) تحت ادعاءات باطلة في انها تدافع عن السيادة الأمريكية وما يهددها.

- ☒ اعلان السياسة الأمريكية والأوربية تهمة الإرهاب لكل من يخالفها الرأي، ويناقض مصالحها التوسعية التخريبية في العالم العربي والإسلامي، من خلال منظومة الحروب وقتل الشعوب، ودعم كل وسيلة إلى ذلك كما يحصل في المجازر اليومية التي تمارسها اسرائيل في غزة والضفة الغربية، والحرب الظالمة على لبنان في تموز ٢٠٠٦، حيث يتهم من يدافع عن ارضه وسيادة وطنه بأنه إرهابي، وفق اللغة الأمريكية والتابعة لها منظومة الأتحاد الأوروبي.
- ☒ كيف يمكن فهم حرية التعبير، في ضوء الأهانات المستمرة للديانات من قبل المجتمعات المدنية، وعدم احترام مقدساتها وخصوصياتها الدينية، حيث تحترم في جانب الديانة المسيحية والديانة اليهودية، وتنتهك في جانب الديانة الإسلامية يوميا، كيف يفهم ذلك في ضوء رفض وتعامل عنصري مكشوف للمسلمين في الغرب، وبالأخص بعد هجمات ١١ ايلول، حيث كشفت التقارير السرية، عن علم ادارة بوش بذلك قبل الحادث، فضلا عن تقارير تؤكد تخطيط امريكا لذلك، من اجل تبرير حروبها الهمجية اللاأخلاقية على افغانستان والعراق، على الرغم من الهزيمة الشنعاء التي تعرضت لها امريكا وحلف الأطلسي في افغانستان، والقتل اليومي للجنود الأمريكان، الذي تتكتم وسائل الأعلام العالمية والعربية عن بثة واعلانه، لأن الأعلام مخترق، وحرية التعبير فيه، مهزلة واكذوبة عالمية.
- ☒ كيف يمكن فهم حرية التعبير، في ضوء اتاحتها في مساحات إهانة الآخر وتجريحة، وتدمير القيم والثوابت والمقدسات، تحت مسميات حرية الشاذين جنيسيا، وشتم الأديان، والخروج عن القيم والأخلاق تحت مسميات حرية التعبير.
- ☒ هناك تناقض واضح لبعض الدول العربية التي تعلن انها تتبنى حرية التعبير، وتروج لها اعلاميا، وعبر الدعاية السياسية، وفي الواقع انها تمارس الكذب على شعوبها،

وتمارس الأستبداد ورفض الآخر، وتغلق كافة سبل التعبير امامه، وتضطهد المعارضة، وتمارس التزوير والتزييف في الأنتخابات، فضلاً عما تسجل من ارقام للسجناء السياسيين، وتمارس الأحادية في الرأي اعلاميا وسياسيا وتربويا، وهي تعلن انها تمارس الديمقراطية وحرية التعبير في خطابها السياسي والعالمي، والأدهى والأمر انه يثنى عليها ان كانت في فلك الدول التابعة للفلك الأمريكي والصهيوني في سياستهم في العالم العربي الإسلامي تحت عناوين تمييع القضية الفلسطنية، والغاء حقوق الشعب الفلسطيني، وحرمانه من حق العودة، والسماح لاسرائيل بالقتل والتدمير تحت دواعي محاربة الإرهاب، وهي تحارب الطفل والمرأة والمسن وتدمر الشجر والحجر تحت مسميات محاربة الإرهاب، وكل ذلك يؤطر بالسلام والدعوة للسلام العادل الشامل، في ظل تكريم العدون الصهيوني على الفلسطنيين، وحرق الفلسطنيين يوميا تحت النيران الصهيونية، وينادي بدعاية السلام والتطبيع.

- كيف يمكن فهم حرية التعبير، وقبول الآخر في ظل الممارسات اللاأخلاقية في المتعقلات الصهيونية، في فلسطين المحتلة والشيخ الكبير، حيث يعتقل الأحداث والنساء والرضع والأبرياء، وكذلك الممارسات الأمريكية الشاذة في سجن ابو غريب ومعتقلات غواتناما، والمعتقلات الأمريكية المجهولة لكل معارض لسياسات في اصقاع العالم، حيث يعتقل الطالب والصحفي والمصور بدون وجه حق، وبمخالفة وقحه للدساتير القانونية العالمية.

في نهاية المطاف، يمكن القول ان المجتمعات المدنية، تنظر لحرية التعبير، وتمارسها بأنانية مطلقة فقط بين شعوبها، وتحرم الآخرين منها، بل على العكس تمارس سلوكاً وحشيا ترفضه الحضارات والقيم والأخلاق مع الشعوب الآخرى، لتحقيق مصالحها الاستعمارية التوسعية في المنطقة، حيث توجه دفة حرية التعبير في تلك المناطق المستلبة في ظل مصالحها الذاتية، حيث تنادي بكل ما يدمر القيم والأخلاق، حتى يسهل عليها الاستيلاء على الشعوب، وتنادي بحرية التعبير في مساحات الاصطدام والإهانة بالآخر، حتى تنشغل

الشعوب بصراعاتها الذاتية، وتلتهي عن مقاومة المحتل، وتتيح الجو فارغا لتمارس بحرية لصوصيتها الدولية العالمية، تحت مسميات انها اتية من اقصى العالم لتبني الديمقراطيات الحرة، وهو في الواقع تبني المقابر الجماعية وتمارس إرهاب الدولة بكل صوره الوقحة الفجة الظالمة.

حرية التعبير في ظل تطبيق السياسة الأمريكية والاوربية لها، في دول العالم الثالث، هي مهزلة بكل ما تعنيه الكلمة، لما يبرز من الازدواجية المطلقة، حيث يتاح للصهيوني ان يعبر عن رأيه في مدينة القدس، ويحرم الفلسطيني من التعبير عن حقه المقدس في المسجد الأقصى، وحقه الطبيعي في الصلاة فيه، ويعد ذلك محرماً عليه حتى محرد التكلم فيه عربيا ودولياً، او مجرد بذل اية محاولة للفت الرأي العالمي من خلال المظاهرات والأعتصامات، في حين يعيث الصهيوني فساداً في الأرض المحتلة، وفي الوقت ذاته يكافئ بمؤتمرات التطبيع والسلام، ويروج له اعلامياً بأنه داعية للسلام، كما تروج امريكا واوروبا بأنهما راعيان لحقوق الإنسان وحرية التعبير، وهما اول من ينتهكما، إذا ما خرجا من ديارهما، ليمارسا لصوصيتهم المفضلة، وهوايتهم الفذة، في ديار الشعوب المستضعفة المظلومة، حيث تحلو السرقة والشذوذ والتدمير والحروب والقتل اليومي وانهاك تلك الشعوب بالديون والتدخلات والظلم العالمي بأقصى صورة.

المساءلة

إن تعزيز قيم النزاهة ونظم الشفافية والمساءلة في المجتمعات المدنية يرتبط بشكل وثيق بوجود بنية مؤسساتية سليمة وأجهزة رقابة قوية وفاعلة تتمتع باستقلالية ومهنية، بمعنى أخر، إن محاربة الفساد في القطاع العام يرتبط بوضع آليات وأدوات رقابة ومحاسبة مهمتها الإشراف والفحص والمراجعة.

وتعني كلمة رقابة "الإشراف والفحص والتفتيش والمراجعة والتحقق"، كما يمكن تعريفها بـ التحقق مما إذا كان كل شيء يسير وفقاً للخطة المرسومة والتعليمات الصادرة والقاعدة المقررة.

أما موضوعها فهو تبيان نواحي الضعف أو الخطأ من أجل تقويمها ومنع تكرارها وتعني أيضا وظيفة تقوم بها الدولة المختصة بقصد التحقق من أن العمل يسير وفقاً للأهداف المرسومة بكفاية وفي الوقت المحدد لها .

ومن هنا يمكن تعريف الرقابة على أنها، الإشراف والفحص والمراجعة من جانب سلطة لها هذا الحق وفقا القانون، للتعرف على كيفية سير العمل داخل المؤسسة محل الرقابة، للتأكد من حسن استخدام الأموال العامة للأغراض المخصصة لها، ومن أن التصرفات تحصل طبقاً للقوانين واللوائح والتعليمات المعمول بها، والكشف عن المخالفات والانحرافات وبحث الأسباب التي أدت إلى حدوثها، واقتراح وسائل علاجها لتفادي تكرارها مستقبلاً.

وينبع مفهوم المساءلة من فكرة مفادها أن يخضع كل مَنْ حصل على تفويض مِنْ جهة معينة، بصلاحيات وأدوات عمل، الوقوف أمامها للإجابة عن كيفية استعمال الصلاحيات وإدارة الموارد التي وضعت تحت صرفه.

أي أن المساءلة تعني واجب المسؤولين عن الوظائف سواء كانوا منتخبين أو معينين أن يقدموا تقارير دورية عن عملهم وسياستهم ونجاعتهم في تنفيذها.

ويشكل مفهوم المساءلة وواجب الخضوع له علاقة تفاوت وتدرج تقوم على القبول الطوعي لأي مؤسسة أو جهاز أو شخص بكشف وشرح الأعمال والخطوات التي يقوم بها وتبريرها لمن يشاركه العلاقة ويعتبر مسؤولاً أمامه.

وكذلك تعني المساءلة حق المواطنين بالحصول على المعلومات اللازمة والتقارير عن أعمال الإدارات العامة (النواب والوزراء وأصحاب المناصب الرسمية والموظفين) لكي يتأكدوا من أن عمل هؤلاء يتفق مع القيم الديمقراطية ومع تعريف وظائفهم ومهامهم بموجب القانون، وذلك للاستمرار في اكتساب الشرعية من خلال استمرار رضا المواطنين وقبولهم بطريقة أدائهم.

إن مبدأ فصل السلطات، التشريعية والتنفيذية والقضائية، الذي يحافظ على التوازن والتكامل بين عمل السلطات الثلاث، ودور كل منها في متابعة ومراقبة ومساءلة الآخرى، يعد أحد أهم ركائز الحفاظ على النظام الديمقراطي وتعزيزه، ومن هنا تحدد الأنظمة واللوائح الداخلية المنظمة لعمل هذه الهيئات آلية ووسائل وحدود المساءلة داخلها. إذ يحدد النظام الداخلي لأي حزب سياسي أو جمعية أو مؤسسة أو وزارة أو جهاز حكومي في معظم الحالات، طبيعة العلاقة بين مختلف الهيئات والمراتب، ومسؤولية وحقوق وواجبات كل منها تجاه الآخرى، ومسؤولياتها تجاه المواطنين.

ويقصد بالمحاسبة، أن يكون المسؤولون المنتخبين وغير المنتخبين المقصرين مسؤولين قانونيا وإداريا وأخلاقيا عن أعمالهم، وأن جميع المسؤولين الحكوميين غير المنتخبين مسؤولين أمام رؤسائهم (غالباً ما يكون الوزير) الذين يكونون بدورهم مسؤولين سياسياً أمام المشرع صاحب الحق بإقرار القوانين والإشراف والمراقبة على أعمال الحكومة. ويفترض وجود مبدأ المحاسبة بالضرورة شمولية خضوع الأفراد والمؤسسات لمبدأ سيادة القانون وتفعيله، إضافة إلى وجود ثقافة سياسية ذات مضمون ديمقراطي.

بناء على ذلك، فان الخضوع للرقابة والمساءلة والمحاسبة، وتقديم التقارير والإجابات المتعلقة بتأدية الواجب، وتنفيذ المهام بالمستوى المطلوب، والعمل وفق توقعات الآخرين، هي

الثمن الذي يدفعه شخص أو مؤسسة أو جهاز أو سلطة معينة مقابل التمتع بثقة الآخرين ودعمهم.

وتلك القيم يعزز تولدها، وتحقيقها عمليا، ما يعرف بالنظام الديمقراطي، حيث يفترض، انه يقيم مؤسسات تمارس الرقابة والمساءلة والمحاسبة، وتضع حداً للفساد الأداري، وتضمن تحقيق قيم العدالة والمساوة، والحفاظ على الصالح العام، في ضوء اهداف تعلي من قيمة النزاهة والأمانة والحس بالمسؤولية ودفع الأنانية والمحسوبيات الشخصية، وكافة متعلقات القيم الطبقية في المجتمع.

وربما يمكن القول ان واقع المساءلة حقق تقدماً ملحوظا في المجتمعات المدنية الغربية، في مواجهة الفساد المالي والأداري، في حين انها مزاجية انتقائية تتسم بالأحادية والعنصرية احياناً في العالم العربي والإسلامي، وهي تجير لمصالح النظم الحاكمة، حيث تسرق خزائن الشعوب وتحرم منها، في الوقت الذي ترفع فيه الأسعار، وبالكاد يجد المواطن العربي والمسلم لقمة رزقة، حيث شغلته عن حقوقه في الحياة، وهموم امته، وواقع اخوته الذي يقتلون يوميا، بذنب هويتهم الإسلامية، واقع الفساد الأداري والمالي مستشري في العالم العربي والإسلامي، وان كان يقال عن بعض تقدم في اندونيسيا بحسب التقارير الغربية (يو، ١٩٩٤).

التعددية السياسية

ويعد من قيم المجتمع المدني، ما يعرف بالتعددية السياسية، وما يترتب عنها من تداول السلطة، ورفض احادية الرأي في الواقع السياسي، ولا يختلف اثنان على أن التنوع والتعدد والاختلاف من المفاهيم البادية للعيان يلامسها كل امرئ ويعايشها ويشاهدها في كل محور من محاور الكون، وهي من المسلمات في حياة الإنسان بحيث لا تحتاج في البرهنة عليها إلى كثير عناء.

وتجدر الأشارة هنا، إلى ان التعددية تحمل جانبين جانبين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، والسلبي ما خلص إلى التشرذم والتخالف والتقاطع، والإيجابي ما خلص إلى التكامل والرقي.

ويمكن استيحاء فطرية التعدد، من خلال ان الثبات والصمدية وعدم التعدد هي من صفات الله تعالى الذاتية، وما دونه يقع التعدد والتنوع والاختلاف، فالله جل وتعالى ليس محلا للتفاضل والتسامي، وما دونه يقع فيه التفاضل ودرجات التعدد والكمال، وهذا هو جوهر ولب التعدد والاختلاف.

وعند الحديث عن التعددية السياسية، لايمكن اغفال حقيقة الحرية، واعتبارها اكسجين التعددية السياسية، وهنا تبرز المفارقة المفارقة بين الحرية والاستبداد، فالحرية مثل الهواء لا تدوم الحياة بغيابه، والاستبداد استهلاك سيئ لهواء الحرية وتلويث له. وكلما كان وعي الناس اكثر، كلما تعاظمت المسؤولية بحماية حقول الحرية من تصحر الاستبداد وزحفه، ولايمكن ان تقوم تعددية سياسية، دون اتاحة حرية التعبير من جهة في الخطاب السياسي والأعلامي، ونبذ كافة صور الأستبداد والأحادية ورفض الآخر.

وقد اشار بعض المفكرين في التعددية، إلى ان هناك صوراً من التاريخ، تؤكد فطرية تلك القيمة، واعتبارها واقعاً لا يمكن الانسلاخ منه، وادرجها على النحو الآتي:

- صـورة الـتعددية الاعـتقادية الـتي نعيـشها بـين مجـتمعات الكرة الارضية منذ عصور سـحيقة مـوغلة في الـتاريخ وحتـى يومـنا هـذا، حيـث يـتوزع الناس على الديانات الـسماوية الرئيـسية الـثلاث الإسـلامية والمـسيحية والـيهودية، ومـئات بـل آلاف المعـتقدات الدينـية والمذهبـية الآخـرى، مـن أقـصى الإيمان إلى أقصى الإلحاد، وكان الـرأي أن قوله تعالى: «لا إكراه في الدين» هو نوع من الإقرار الإلهي بتعددية الاعتقاد نظرا لفطرة الإنسان على الخير والشر، وعدم إجباره على الإيمان بمعتقد بعينه خلاف إرادتـه لأن ذلك يخالف مفهوم اصل العبادة القائم على الحرية والدائرة مدار الثواب والعقاب.
- صـورة الـتعددية الاجـتهادية، حيـث تعتـبر تجـربة المـسلمين في الـتعددية الاجتهادية كمظهـر مـن مظاهـر التعدد والتنوع في حياة البشر، رغم أن مصادر التشريع واحدة، فـتعدد الاجـتهادات بشكل عام أغنى التشريع الإسلامي وهو إحدى علامات حيوية الـدين الإسـلامي ومواكبـته لـتطورات الحـياة الـتي تحـتاج معها إلى اجتهادات فقهية منتزعة من مصادر الإسلام الحنيف.
- النـصوص الـشرعية الـواقفة علـى جعلـية التنوع والاختلاف في حياة البشر، واقرار الرسـالة الإسـلامية وقـادة الإسـلام وإعلامـه الأوائـل بهـذا التـنوع والاختلاف في مـصاديقه المختلفة، من قبيل قوله تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته) سورة الإسراء: ٨٤.
- فطـرية التعدد والجعل التكويني للتنوع في كل زاوية من زوايا الكون والحياة، فالفطرة تحكم بالتعدد والتنوع، والعقل يقر أن التنوع أمر قائم.
- الواقـع الخارجـي شـاهد علـى هـذا التـنوع، فـلا نجـد شيئين يتطابقان مائة في المائة، فالـتوأمان يتـشابهان مـن حـيث الـشكل الخارجـي ولكـن لكـل هويـته الخاصـة بـه وشخـصيته، فإبهـام كل واحد يختلف عن الآخر، وتفكيره ونظرته للحياة تختلف هي الأخـرى، بـل أن التجمعات البشرية واختلافها من حيث اللغة واللون والمعتقد، هي من ابرز مظاهر التعدد والتنوع في الواقع الخارجي الظاهر للعيان.

- أصـالة الحـرية وذاتيـتها وانـدكاكها في كيـنونة الإنـسان، ودلالة قوله تعالى: (قل كل يعمـل علـى شـاكلته)، الحـرية الذاتية، إذ أن الإقرار بهذه الحقيقة التي يوردها النص الـشريف ومـا يتـضـمنه مــن معان سامية لا يتم دون الإقرار والقول بجعلية الحرية في الإنـسان، لكـون الإنسان، قد هداه الله السبيل وبين له الصالح من الطالح، وترك له الخـيار، ومـبدأ الخـيار يقتضي توفر الحرية، و العقل السليم يدلنا على أصالة الحرية، ولكـن لا الحـرية المطلقـة، إذ ليست هناك حرية مطلقة، لأن إطلاق الحرية مدعاة إلى عـدد مــن المفاسـد التي تأتي على حرية الآخرين وهذه مفسدة اكبر، لا يتم دفعها إلا بوضع ضوابط وكوابح، قال بها معظم المفكرين المسلمين والغربيين قديما وحديثا.
- أن واقـع الحال، يبرز حقيقة وأهمية الحرية عند المقارنة بين مجتمع تحكمه الحرية وأخر يحكمـه الاسـتبداد، فـلا مـناص مـن التمايـز، والقبول بأهمية الحرية، رغم أن بعض المجتمعات مـن وجهـة نظر إسلامية يعيش حرية منقوصة، أو حرية مغالية، ولكن في الحالـتين فـإن الاسـتبداد مفـسدة وضـرر اكـبر، لا يمكن القبول به رغم بعض مضار الحريات المغالية أو المنقوصة.
- أن القـول بجعلـية الـتعدد والتـنوع في الكون والإنسان ومجمل الحياة البشرية يقود إلى القـول بحتمية الحرية فضلا عن أصالتها، فالتعدد أو التنوع يحكم بحرية المرء بفعل أي شـيء لا يخالـف الـشرع أو القانون أو العرف، أي العمل في دائرة حريته الذاتية فردا كان أو جماعة، فالتعددية السياسية وهي من صور التعددية تنفتح على حرية سياسية، إذ لا تعدديـة سياسـية مـن غـير حـرية سياسـية، ولا حـرية سياسـية من غير تعددية سياسـية. وفي ظـل تلـك المفاهيم واليات ضبطها ووعيها في ظل جادة الوعي السليم تـتحقق وحـدة الجماعة وتكون لغة الالتقاء والحفاظ على المبادئ العامة في ظل ميثاق يؤطر الجميع وفي ظل لغة أن الاختلاف لا يفسد للود قضية.

حقوق الإنسان

تبدو خريطة العالم، مشتتة ممزقة، في منظومة الرؤى الحقوقية الإنسانية، فتبدو للناظر في ظل ذلك، غابة متوحشة، وانياب ممتدة، وجراح دامية، وتفتت وتشرذم وتشتت، في امتدادات سرطان العولمة، الذي ينهش الفقراء، ويربي بطون الأغنياء، في ثراءٍ فاحشٍ مستبد، وتبدو رقعة العالم العربي والإسلامي، حمراء قانية، في امتهان الإنسانية، من قبل الأدارة الأمريكية المستبدة المحترفة في سياسات الابتزاز السياسي، وحليفتها اسرائيل، في الأنتهاك الصارخ لحقوق الإنسان، وحراك النظم السياسية، التي تخدم اجندة المشروع الأمريكي الصهيوني، في ظل نظرياته المسعورة، في الأستخفاف بالإنسانية، وعناوين غرائبية، من مثل صدام الحضارات، والفوضى البناءة، وتصدير الديمقراطية الأمركية على متن الدبابات والطائرات الأمريكية بقنابلها الذكية، التي لا تقصف أي شيء، الا المدنيين الأبرياء على وجه التحديد، ولذلك صنعت وصدرت على وجه التحديد والحصر.

فالمدنيين الأبرياء في العالم العربي والإسلامي، هم الهدف المقصود، في هذا المشروع المشبوه، وبالأخص الشعب الفلسطيني، الذي يعتبر في ظل هذا المشروع الوحشي الهمجي، الشعب الزائد على سطح الكرة الأرضية، فيجب الخلاص منه، واستثمار كافة الأجندة السياسية في هذا الإطار، سواء في الحرب على العراق، واستهداف هذا الشعب المشتت، او في الصراعات اللبنانية، او المجازر اليومية في الضفة الغربية على يد الترسانة العسكرية الصهيونية.

شكلت مفردة الحقوق، في تاريخ الإنسانية، مفصلاً لحضارة الشعوب، ونضجها، وإنسانيتها، ويعد تتبع جذورتلك المفردة الإنسانية في التاريخ الإنساني، امراً في غاية الأهمية والصعوبة بمكان، لذا فمن الصعب حين نتعامل مع مثل هذا المفهوم أن نقتفي له أثرًا متغلغلاً في قلب جذور الفكر الإنساني الغربي. فالحضارة اليونانية القديمة -وهي أصل الحضارة الغربية- لم تصك مفهوم الحق، ولم تضع لفظًا لغويًا يقابله كما يشير الباحثين المهتمين في حقوق الإنسان.

والميلاد الحقيقي للمفردة، انبثق في اشراقة شمس الإسلام على الوجود، حيث كانت هناك توأمة بين الإسلام ولغة الحقوق في اطر النظام معاً، فكان في احتضان الإسلام لها، ابهة طلتها، وعنفوان نوارنيتها، في ما يعرف بمنظومة الحقوق والواجبات، التي ابنثقت من الشريعة السمحة، حيث يعد من اللزوم الشرعي، التعاطي معها، في ضوء الواجب الشرعي، المرتبط بعلاقة العبد مع ربه، وربانية سلوكه المنسجم مع الشرع في الحياة، في ضوء منهج الإسلام الذي يقدم تصوراً متكاملاً يتسق مع الفطرة الإنسانية للإنسان والكون والحياة، في رؤية تتسم بالواقعية والأتزان والشمول والعالمية.

وربما يعد من الرؤية الناضجة للنصوص الشرعية في القرآن والسنة، التعاطي معها في ضوء قوانين وسنن للحياة، تنظم مسارات السلوك والحياة، وتقدم حلولاً ناجعاً لمشكلات الإنسانية، وبالأخص في ضوء الجمل الشرطية الجزائية في النصوص الشرعية، فهي تشكل ميزاناً دقيقاً للسلوك الإنساني في حياة الأفراد والمجتمعات، وبالتالي تكون حقوق الأفراد والمجتمعات، في اطر الحماية والصيانة، وفي حفظ من العبثية في انتهاكها والأستخفاف فيها، فضلاً عما تؤطر به من رؤية ربانية، تشكل توازناً في حقوق الأفراد والمجتمعات، دون افراط او تفريط، او اخلال بطرف على حساب طرف آخر.

ولذلك خسرت البشرية كثيراً، عندما انساقت لقوانينها الوضعية، وخلفت الحضارة الإسلامية ومنجزاتها، وراء ظهرها، و بالتالي فقدت ماهية المجتمع المدني في ضوء الرؤية الربانية، وانساقت تباعاً لقوانين تتضارب فيما بينها، ورؤى نسبية متضادة، تستند إلى قانون المصلحة، والأنا في مساحاتها الفردية والمجتمعية والدولية.

ومفهوم الحقوق في الفكر السياسي الغربي لم يتم صكه كمصطلح إلا مع ظهور عدد من الوثائق السياسية المحددة التي حملت هذا الاسم بهذه الدرجة من الوضوح، مثل: إعلان حقوق الإنسان بالولايات المتحدة المعروف باسم إعلان فيرجينيا الصادر عام ١٧٧٦، وإعلان الثورة الفرنسية الصادر في عام ١٧٩٠، وانتهاءً بإعلان الأمم المتحدة الصادر في عام ١٩٤٧، والمسمى بـ"الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".

وهـناك من يعتقد جازماً بأن الانطلاق الفعلي لفكرة حقوق الإنسان جاء مع الثورة الفرنـسية، الـتي هـدف إلى الـتخلص مـن اسـتبدادية اقطاعـية، وطبقـية عارمـة، وايـاً كانت الأنطلاقـة، فإنهـا انـصاف للمظلومية في الأرض، واحترام للحرية، وتعلية لقيم الإنسانية في العالم أجمع.

وتـستند فكرة حقوق الإنسان كقيمة عالمية على ان الحق الإنساني الواحد هو حقك في أن تعـيش الحـياة الـتي تخـتارها طالما انك لا تخالف الحقوق المتساوية للآخرين، و كل حق مـن الحقـوق يحمـل مـسؤولية مترابطـة بـه، فعلـى سبيل المثال إن حقي في التكلم بحرية يدل ضـمنياً على مسؤوليتك في عدم التلصص عليّ، كما أن حقك في المُلكيّة الخاصة يدل بشكل ضـمني علـى مـسؤوليتي بعـدم سـرقتها، أو أن أجـبرك علـى استخدامها بالطريقة التي أريد، باختصار إن حماية حقوقي تتضمن احترامي لحقوق الآخرين.

المجتمع العربي والوعي بحقوق الإنسان:

تواكـبت حقـب متـنوعة، علـى المجـتمعات العـربية والمـسلمة، حظـيت في مساراتها الذهبـية، بإنطلاقـة البعثـية النـبوية، تحولاً عميقاً في الرقي الإنساني والحضاري، الذي حققته التربـية الأيمانـية، والـبرمجة الذاتـية والمجتمعـية في ضـوء التـصور الإسلامي للإنسان والكون والحـياة، واعقـبت تلك الفترات الذهبية، مراحل من الأنحدار الأيماني والسياسي والمجتمعي، في رحلـة الـتاريخ، واشـدها ظلمـة وخـنوعاً واسـتلاباً، مـا شـهدته فـترة الأستعمار والغزو الفكري، الذي خضعت لها الخريطة العربية الإسلامية، في مستهل القرن العشرين، وما زالت تلـك المـساحات مـن الظلمة والتأخر تسيطرعلى العالم العربي الإسلامي، من وجهة نظري، على الرغم من التطور التقني، واكتساح العولمة العالم اجمع.

وبالتالـي اصـبحت الأمـة المـسلمة، امـة مـستهلكة، لمنظومة قيمها ومبادئها من قبل الآخـر، وغـدت في اطـار نظرية ابن خلدون، في اطار تقليد المغلوب للغالب، فلا هي وعت ماهية حضارة الغالب، ولا هي التي رجعت إلى مصباح نورانية حضارتها اللامتناهي، وغدت في سـلوك غرائـزي عـشوائي، يعانـي مـن المدى العميق للرجعية التي هو فيها، وغدت لقمة

سائغة لابتزاز الأمم القوية، ووقوداً بشرياً لحروبها التدميرية في هذا العالم، فهي امة في غيبوبة الحضارة، وامة فاقدة للنضج الحضاري، تحيا في ظلمات الأستبداد وتعكسه على نظمها السياسية، لتمارسه ببراعة على شعوبها، فغدت في نسيج حضاري ممزق مفتت، ليس فيه معاني الأعتداد بثوابت الشريعة السمحه، وما تدعو إليه من منظومة قيم الالتزام السلوكي والمجتمعي، وتفعيل لغة التعايش وحوار الحضارات، وعدم الانغلاق على الآخر، ولكن في ضوء مشاعر قوية من التألق والأعتزاز بالالتزام بقيم الشريعة السمحة، وحماسة حضارية في تقديم المبادرات الشجاعة، لبنودها الفكرية بعلمية دقيقة وقوة نفسية عالية.

وفي ضوء ظلمات الواقع المعاش للشعوب العربية والمسلمة، غابت لغة الحقوق، مع غياب الالتزام الجدي ببنود الحضارة الإسلامية وتفعيلها في الحياة الفردية والمجتمعية، فكان تباعاً حالة سوداوية من الانغلاق المجتمعي تجاه مفردات الحقوق الإنسانية، ونداءات حرة في الأجواء المثقفة، لأعادة بناء الوعي بالحقوق الإنسانية، وفهم الأسباب العميقة لأنتهاكات حقوق الإنسان، من خلال الوعي بأدوات التسلط بكافة اشكاله، التي تتجدد على الدوام، في ظل غياب حرية التعبير والعدالة الاجتماعية ودولة القانون الحقيقة، والمساحات الديمقرطية، في تقبل الرأي الآخر، والرؤية الواعية الحضارية الملتزمة لكافة فئات المجتمع، في ظل الأحترام الإنساني وحفظ الحقوق، لكافة فئات المجتمع من النساء والطفولة وكبار السن والأقليات والهويات المتنوعة في المجتمعات.

وليس هناك تعارض بين منظومة حقوق الإنسان، والشريعة السمحة، في عين الباحث الموضوعي، وانما هي رؤى متنوعة في ظل الطرفين، تلتقي على مشترك عام، وقاعدة واحدة، تدور بوصلتها اينما اتجهت وتنوعت، إلى احترام الإنسانية وحقوقها، في ضوء العدالة الإنسانية، ولكن هناك اختلاف من حيث مفردة المطلق، ففي الشريعة السمحة هناك عدالة إنسانية مطلقة، ليس فيها ضبابية او تشويش او خلل ما، والرؤية الوضعية إيجابية، ولكنها عرضة للغموض والضبابية، بحسب توجهات من ينادي بها على منابر حقوق الإنسان، وجديته، وعدم اتخاذها مطية للابتزاز الأجتماعي والسياسي، وهذا ما نلحظة في واقعنا المعاصر، في البعد السياسي على وجه التحديد، حيث اصبحت مفردة حقوق

الإنسان، صنعة محببة، للمحترفين في الابتزاز السياسي، يتخذونها جسراً للفكر الغرائزي الذي يحكمهم، فهنا مسألة الضبط والمطلق، هي التي تحدد المساحة الفاصلة بين الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان والرؤية الوضعية، ومن يبحث عن المطلق والكل، لايمكن بأي حال ان يفرط في الجزء والخاص، فمن باب اولى ان ينال عنايته، ومن هذا المنطلق، فلا غرابة لكل امرئ معتز بحضارته ودينه، ان يتضامن مع الدعوة لحقوق الإنسان، واحترامها، واحترام بنودها الفكرية في هذا الصدد، ولا يعد هذا خروجاً عن الملة والحضارة الإسلامية، بل على العكس، فإن كنت لا تقوى على ادراك الكل، فلا بأس ان تحاول ادراك ما امكن، في رؤية حالمة لعالم تحترم فيه حقوق افراده، وبالأخص المستضعفين منهم، وبالأخص ضحايا الابتزاز الأمريكي والصهيوني في السياسات الأحادية الأستبدادية التدميرية في العالم العربي الإسلامي.

ومن هنا تنبري المؤسسات الحقوقية في العالم العربي والإسلامي ، من خلال تتبع انشطتها المثابرة، إلى تعميق وعي الأفراد بمسؤولياتهم امام ما يهدد وجودهم وحرياتهم، واحداث حالة من التحول الجرئ في هذا الصدد، بحيث يتم سيكولوجيا الخروج من حالة الخوف، وتحديها، وتنمية الوعي بإيستبدالها بمشاعر ناضجة واعية في المطالبة بالحقوق، والتشهير بإنتهاكها، وتوثيقه وأعلانه على الملأ الاعلى، لأن بذلك كسر من جدران الانغلاق التي سيطرت على العالم العربي والإسلامي، منذ تخليه عن مشروعه الحضاري الإسلامي في السلوك الفردي والمجتمعي، حيث عزز هذا المشروع الحضاري في مسيرته الذهبية، قضايا هامة من المساءلة والعدالة الاجتماعية والرؤية الإنسانية في الحياة.

فالخطاب الحقوقي، في الإنسانية، يعمق الوعي الفردي بحقوق الإنسان، ليتحول إلى وعي جماعي، ينشأ منه نظم ومؤسسات تحترم حقوق الإنسان، وتعلي من منظومة قيمه السامية، ويبني رؤية موضوعية، تعتمد اللغة العملية، من خلال ادوات حقوق الإنسان ،لأستخدامها، بدلاً من التذمر والشكوي والأسقاطات النفسية على الذات والمجتمع، في لغة انهزامية تترع بالإحباط والأكتئاب والجمود والصمت، لا تقوى على التغيير المجتمعي المتسق مع احترام حقوق الإنسان، فهو كما يقول الحقوقيين المخلصين، برنامج ناضج للعمل الجاد

العملـي مـن اجـل الحرية، بل هو رحلة في الإبداع من اجل ميلاد الحرية، وتحمل ارهاصاتها مـن الألم والمعانـاة، الـتي ينبـثق عـنها حراك من اجل ميلاد طاهر لها، في اجواء من الإنسانية والعدالة الاجتماعية.

ومفـردات اللغـة الحقوقـية في الإنـسانية، تـستلزم كـسرالمفردات الهائمـة بـلا هوية، المـشتتة، المـستلبة، الخانعة، المذعورة، المنكمشة، المحترقة الملأ، الخجلة، المترعة بمفردات النقص، والـضحية، الخداع، امام كابوس التسلط والأقصاء ورفض الآخر، والثقافة الغرائزية، واللغة الـسادية، وابجـديات الطائفية والتعصب والإرهاب، وحمية القبيلة والعشيرة، لغاية رؤية حالمة لمجتمع إنساني، يعلي من قيم العدالة والشفافية في السلوك الفردي والمجتمعي.

وربمـا في ضوء سماءات القيم الراقية، التي تعتمدها منظمات حقوق الإنسان، تنبري انـتقادات لهـا، في مساحات معينة، ولكن هذا لايلغيها، والأخطاء تحصر في مواطنها الخاصة، دون التعمـيم، وكمـا يقول احد الناشطين في حقوق الإنسان "لا ننفي وجود تجاوزات ونقص في الـشّفافيّة والتّـسيير الدّيمقراطـيّ في بعض المجموعات التي تنتمي إلى فضاء حقوق الإنسان، ولكنّـنا لا يمكـن أن نقـبل استـخدام هـذه التّجاوزات لضرب مفهوم الدّفاع عن الحرّيّات في جوهره.

ومـن مـزايا تعميم لغـة حقـوق الإنسان، توسيع دائرة المشترك العام بين الشعوب، بحيث ترتكـز علـى الحـرية والمساواة والكرامة والعدالة، ولكن يقتضي ذلك العمل الحقوقي البـناء، الـذي يعـتمد الموضـوعية والمـرونة، وتقديـر خصوصية المساحة التي تعمل في اطارها المؤسـسة الحقوقية، هذا في مجال الأهداف العامة، وبعد ذلك تنبري لاستخدام ادوات حقوق الإنـسان، في ضوء استراتيجيات دقيقة، تستشرف المستقبل، وتعي الواقع وتقدره، وتتقن لغة التواصـل الأجتماعـي، ولغـة الخطاب في النقد البناء، والموضوعية في السلوك التنظيمي، من خـلال الاستقلال عن العمل السّلطويّ والحزبيّ، والتحليل والنقد للأسباب العميقة للتّسلّط والتّمييـز واللاّعدالة، واقتراح سياسات بديلة من منظور حقوق الإنسان لمواجهة كل أصناف الانـتهاكات ،وبلـورة لغـة تقـوم علـى مـساءلة الـسّياسي والاجتماعي والثقافي ومحاورتهم،

واعتمادالدّيمقـراطيّة والـشّفافيّة والمحاسبة، واللغة العالمية في التفاعل مع الحقوق، والدفاع عن صور انتهاكها.

وكـم نحـن بحاجـة لـتلك الأسـتراتجيات الفاعلة، في ظل الأقصاء الظالم الذي تعانيه فـئات اجتماعـية، محـرومة مـن ادنـى قـيم العدالـة الاجتماعـية، والـصور الظالمـة للهمجية الـسياسية، وانـتهاك كـرامة الـشعوب، واعـتماد لغـة القبيلة والعشيرة، والصراعات المذهبية والطائفـية، وتـدمير البنـى التحتية والإنسان والشجر، تحت دعوات الابتزاز السياسي، لمحاربة الإرهـاب، والقـضاء علـى اسـلحة الـدمار الـشامل، ومنظومة التضليل والكذب السياسي، وتلـك الأبعـاد الواقعية التي تئن تحت نيرها خريطة العالم العربي والإسلامي، تتطلب صرخة جـادة في تـبني المـشروع الحضاري الإسلامي، وما يتضمنه من قيم حقوقية سامية، وان تعذر تحقـيق الكل، لخلل فينا، فعلى الأقل، تبني الجزء، عبر حركة حقوقية عالمية، تعلي قيم العدالة والكرامة الإنسانية، وتطرح برنامجاً مرنا عملياً في هذا الصدد، توسع دائرة المشترك الإنساني، المختلف سياسيّا وجنسيّا ولغويّا وثقافيّا والمحاسبة والشّفافيّة.

وانطلاقاً مما سبق فترتأي الباحثة المفهوم الأتي للمفردات الأتية في حقوق الإنسان:

مفهوم حقوق الإنسان:

ويقـصد بـه صـيانة الحريات، واحترام المبادئ الإنسانية، وتعزيزها، بقطع النّظر عن هيمنة منطق المصلحة، والحسابات الضيّقة، والتسلّط بكافة أشكاله.

ويستخلص من التعريق قضايا عدة هي على النحو الآتي:

١. هـناك رؤيـة شمولـية للحقـوق الإنـسانية، إذ تتـضمن قـضايا تـتعلق بالديمقـراطية، والتنمـية، والعدالـة الإنـسانية، واحـترام الحـريات، وسيادة القانون، وحقوق النّساء، وحقوق الطّفل، واللاّجئين والمهاجرين، والأقليّات والمهمّشين والفقراء....إلخ.

٢. هناك ارتباط بين حقوق الإنسان ومفردة الحرية، والحاجة إلى الحرية، وبرنامج عريض في الحـياة للحـرية، والحـرية هـي المفـردة العالمـية، الـتي تـوحد كافـة مفردات حقوق الإنسان في لغتها العالمية، لتحقيق المساواة والتضامن الإنساني.

٣. ترتبط حقوق الإنسان والدعوة لها مع مفهوم العالمية في التعاطي معها، تحت عنوان عالمية حقوق الإنسان وعدم تجزئتها، في النظرة الإنسانية.

٤. استقلالية عمل حقوق الإنسان عن السّلطات سواء كانت سياسيّة أم اقتصادية أم دينيّة أو اجتماعية، والابتعاد عن التّحزب والتّأثيرات الإيديولوجية. وقد بشّر المدافعون بميزات قيميّة مثل اعتماد الديمقراطيّة والمشاركة والشّفافيّة والمحاسبة منهجا في إدارة العمل وصنع القرار.

إعلان المدافعين عن حقوق الإنسان:

وقد اعتمدته الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة سنة ١٩٩٨، يعرف المدافعين عن حقوق الإنسان بأنّهم الذّين يعملون منفردين أو بالاشتراك مع آخرين من أجل حماية حقوق الإنسان أو تعزيزها. ويسعى هؤلاء إلى توثيق المعلومات عن انتهاكات حقوق الإنسان ونشرها محليّا وإقليميّا ودوليّا كما يسعون إلى دعم ضحايا هذه الانتهاكات ومساءلة المسؤولين عن التّجاوزات وتطوير الحكم الرّشيد وتشجيع السّلطات على الوفاء بالتزاماتها التّعاقديّة ودعم التّحوّل الدّيمقراطيّ. ويعمل المدافعون عن حقوق الإنسان على تطوير ثقافة حقوق الإنسان باعتماد لغة نقديّة تفكّك أسس الخطابات الشموليّة ،وتطوّر قدرة الإنسان على فهم واقعه المتعدّد الأبعاد، وبلورة أجوبة على أسئلة وجوده.

وينطلق هذا التّعريف من توسّع مجالات حقوق الإنسان وكونيّتها وعدم تجزئتها ليقترح تصوّرا هامّا مفاده أنّ الدّفاع عن حقوق الإنسان ليس حكرا على مجموعة من "العاملين في مجال حقوق الإنسان" أو "المختصّين" بل هو مسؤوليّة الجميع سواء كانوا أفرادا أم جماعات، وسواء كانوا منتمين إلى مؤسّسات رسميّة أو غير رسميّة. وهؤلاء المدافعون يمكن أن يكونوا مثقّفين أو إعلاميّين أو مبدعين أو أفرادا مجهولين لم يختطفهم بعد بريق الشّهرة وأضواؤها.

انتهاك حقوق الإنسان:

ويقصد به قمع الحريات، في ميدان العمل والأجتماع والتنظم، والحط من الكرامة الإنسانية، وتشويه الصورة الإنسانية، والاعتداء على حرمة الحياة الخاصة، والأعتقالات التعسفية، واستخدام كافة أساليب الإقصاء والتّهميش والرّدع العنيف للمتعدد في الفضاء السياسي، ومحاصرة حركة حقوق الإنسان والتّقليل من دورها، قمع وتهميش المتعدد في الفضاء السياسي تحت مبررات واهية منها؛ السيادة الوطنية، ووحدة الجبهة الداخلية، واولوية النمو الاقتصادي، ومحاربة الإرهاب، أو لثقل الأجهزة وبيروقراطيّتها، أو غياب الإرادة السّياسيّة لاحترام حقوق الإنسان احتراما فعليّا.

وهنا تبرز اهمية عمل المدافعين عن حقوق الإنسان، من خلال توثيق الانتهاكات والتشهير بها، والتّدخّل في السّياسات بواسطة أدوات حقوق الإنسان، كلّما كانت هناك بوادر انفتاح سياسيّ في بلد ما.

واهتمت حقوق الإنسان بقيمة مناهضة كل مظاهر العنف الأسري، سواء ضد المرأة او ضد الطفل، وفيما يلي نبذة تعريفية، بتلك المساحات المهمة في حقوق الإنسان، وجهود منظمات حقوق الإنسان.

العنف ضد المرأة عالمياً

مآسي العنف ضد النساء مازال مستمراً، فالنساء يتعرض للاغتصاب والعنف في شتي إنحاء العالم، بغض النظر عن أنظمتها السياسية والثقافية والاقتصادية والدينية، وأيدلوجياتها الفكرية، هذا ما أكدته المنظمة الدولية للمرأة (يونيغم)، وأدرجت المنظمة أشهر صور العنف الموجه ضد النساء في أماكن مختلفة من العالم، وهي على النحو الآتي:

- عمليات الاغتصاب وتتعرض لها (٧٠٠) ألف امرأة سنويا في الولايات المتحدة الأمريكية.
- نسبة عمليات قتل النساء علي أيدي أزواجهن (٥٠٪) من إجمالي عمليات القتل في بنغلادش.

- في بـريطانيا يتلقـي رجال الشرطة مكالمة كل دقيقة من النساء اللاتي يتعرضن للعنف داخل المنزل يطلبن المساعدة.
- في جـنوب أفـريقيا تتعـرض (١٤١١)، امـرأة يومـيا للاغتـصاب، في أعلي معدلات العنف العالمية.
- العـنف الموجه للمـرأة علـي مـستوي العالم، سوق العمل، حيث تمارس النساء مهنة الخدمـة في المـنازل، إذ أشـارت دراسة أعدتها جامعة كولومبو جاء فيها أن سريلانكا تعـد مـن أكثـر دول العـالم تـصديرا للخادمـات، وان (٢٥٪) مـن الخادمـات الـسريلانكيات، قـد واجهـن زخم من المشكلات، من خلال ممارسة هذه المهنة، ذات علاقـة بالعـنف ضد المرأة، مثل الاعتداء عليهن، بكافة أشكال الاعتداء، أو عدم دفع أجورهن.

كمـا أكـدت وزارة العمـل السريلانكية أن عدد الخادمات العائدات من الخارج بعد تعرضهن للإيذاء يبلغ يوميا (٥٠) خادمة ويرجعن في حالة من المعاناة والانهيار التام.
وتـبين الدراسـات في أمـريكا أن (٩٥ ٪) مـن حـالات العـنف العائلي بين البالغين يرتكبها الرجل ضد المرأة.
(http://www.balagh.com/woan/shaksi/530n59p2.htm)

وفي بـريطانيا، أشـارت الإحـصاءات إلى وفـاة ١٤٠ امـرأة بـريطانية نتـيجة العـنف الأسرى لعام ٢٠٠٤.

وتعانى سيدة من بين كل تسع سيدات بريطانيات من الإساءة بقسوة في بريطانيا كل عـام، وينحـى باللائمـة علـى العنف الأسرى في وفاة (١٤٠) امرأة في البلاد في عام ٢٠٠٤، وفقاً لما ذكرت المؤسسات الحقوقية البريطانية.

مـن جهة أخرى، قالت مؤسسة/ ريفيوج/ خلال بدء حملة الملصقات التي ستنشرها فـى كافـة أرجـاء الـبلاد والتي تتكلف مليون جنيه استرلينى، أن امرأة من بين كل أربع نساء بـريطانيات تتعـرض لمعاملـة سيئة فـى منزلها على مدار حياتها، ويشكل العنف الأسرى ما

يقـرب من ربع جرائم العنف، وأقل من ثلث الحوادث التي تبلغ بها الشرطة، وفقا لما ذكرت المؤسسة، التي حثت كل بريطاني على تحمل مسؤوليته تجاه تلك المشكلة.

وقالـت رئيـسة مؤسـسة ريفـيوج ساندرا هـورلى "من خـلال الاعتراف بأن العنف الأسـرى يمـثل مـشكلة، ومـن خـلال إدراك أنـنا جمـيعا مـسؤولون عن تلك المشكلة، يمكننا إحداث تغييرات فى الوضع الذى نحتاج إليه".

والجديـر بالذكـر أن بـريطانيا تتمـتع بـسمعة سـيئة فى مجال العنف الأسرى، حيث كـشف بحث صدر مؤخرا أن أكثر من ثلث البريطانيات يقولن أنهن شاهدن أصدقائهن وهن يتعرضن لمعاملة سيئة، سواء بدنياً أو لفظياً على يد أزواجهن أمام الناس.
(http://arabic.peopledaily.com.cn/200401/15/ara20040115-74817.html)

السياق الدولي لظاهرة العنف ضد المرأة:

أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٩٩، بواسطة القرار رقم ٥٤/ ١٣٤، يـوم ٢٥ نوفمـبر من كل سنة، اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة، كما دعـت بـنفس القرار الحكومات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية لتنظيم نشاطات معدة خصيصا لزيادة الوعي بالمشكلة في ذلك اليوم.

وبالإضـافة إلى مـا ذكـر أعـلاه، واعتـباراً للدور الهام الذي قامت به الحركة النسائية عـبر العـالم في الكشف عن هذه الظاهرة والتي تعد انتهاكاً لحقوق الإنسان، يمكن الإشارة إلى خطـط العمـل لكـل المؤتمرات التي عقدت في التسعينات ومحطاتها التقيميية في هذا المجال، إذ قـدمت حقائـق خطرة في هذا الملف، ومعالجات قانونية واجتماعية له، وما زالت الورشات، وما يرتبط بها من مناقشات وتوصيات مستمرة في هذا الصدد (شكور، ٢٠٠٧).

وهكـذا فـإن قـضية العـنف الأسـري تعتبر من أكثر الظواهر الاجتماعية التي دعت العديـد مـن الباحـثين لإجراء عدد من البحوث التي تهدف لتعميق الفهم من خلال الدراسة والتحلـيل، في محاولات، تتسم بالجدية والتحدي، لإيجاد حلول واقعية وجذرية في جميع أنحاء

الكـرة الأرضـية، إذ تـبين الدراسـات في أمـريكا أن ٩٥ ٪ مـن حـالات العنف العائلي بين البالغين يرتكبها الرجل ضد المرأة.

وعـرفت الأمم المتحدة العنف بأنه "الفعل القائم على سلوك عنيف ينجم عنه الإيذاء أو المعاناة (الجنسية، النفسية)، أو الحرمان النفسي من الحرية في الحياة العامة أو الخاصة".

والعـنف ضد المرأة يعد ظاهرة عالمية لا تخص الشرق دون الغرب، ولكن نساء العالم يشتركن في الهم سواء، ولكن تختلف الظروف المحيطة بكل مجتمع؛ فهناك العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل مجتمع ولكل دولة.

وتعـد مشكلات (الأمية، البطالة، الفقر) من أهم أسباب العنف، فإذا قلنا: إن الفقر أحـد أسباب العـنف وخاصـة لنساء العـالم العربي، فأيضًا يمكن أن ينتشر العنف مع الغنى الفـاحش، فالمجتمع الاقتـصادي الحـر يتـيح فرص غنى دون تكافل اجتماعي للفقر، كما أن هناك قضية استغلال النساء في التجارة سواء في الجنس التجاري؛ مثل (الدعارة)، الاستغلال الإعلاني، الملاهي... إلخ، فهناك امتهان لجسد المرأة بسبب الحاجة إلى العمل والمال.

وحتـى في الدول الإسكندفانية (النرويج والسويد) فالمؤشرات الإحصائية تدل على أن وضـع المـرأة متميـز ومـساوٍ لوضـع الـرجل، ولكـن الحقيقة والواقع من خلال الاتصال بالهيئات والمـنظمات النـسائية، يـؤكدان وجـود مشكلات حقيقية تعاني منها المرأة، وخاصة تعرضها للعنف.

(http://www.islamonline.net/arabic/adam/2004/05/article01.SHTML)

وهـناك ارتفاعـا كـبيرا وحـادا في العنف المتعلق بالاستغلال الجنسي والاستغلال في العمالـة كما هو الحال في جنوب شرق آسيا والهند. وأيضًا هناك ارتفاع لنسبة العنف الجنسي ضد النساء في مجتمعات، مثل شمال أوربا وأمريكا. لهذا فبالرغم من اختلاف طبيعة وظروف كل دولة إلا أن الفعل واحد والمعاناة واحدة.

ويـشمل العنف بالمرأة المنتشر عالمياً، الضرب والإيذاء (الجسدي والنفسي والتحرش والاغتـصاب والإهابـة... إلخ)، وبالـرغم مـن انتـشار هـذه الظاهـرة فإنـه يصعب رصدها وبالتالي تحليلها.

والعنف المجتمعي الذي يمارس ضد المرأة في المجتمع، هو عنف تتعرض له النساء في أماكن العمل أو المؤسسات أو الشارع لأنواع عديدة من أشكال العنف، مثل (التحرش الجنسي، والاغتصاب والاستغلال والاتجار بالإناث)، ويعتبر من أهم ما تتعرض له المرأة هو الاستغلال والاتجار بها، واستخدامها كسلعة لزيادة الربح، فتجارة الجنس (الإناث) أصبحت مقوما أساسيا لاقتصاديات عدد من الدول النامية (تايلاند، رومانيا، المجر، الاتحاد السوفيتي) فانتشار البطالة والفقر واليأس، دفع هؤلاء النساء إلى هذا العمل.

فهناك (٧٠٠) مليون امرأة فقيرة من بين الفقراء في العالم، كما أكدت الناشطة "فريدة النقاش" رئيسة تحرير مجلة (أدب ونقد) أن ضغط الفقر جعل بعض منظمات وعصابات المافيا تخطف الفتيات وتستولي على جواز سفرهن، وترغمهن على هذا الفعل؛ وهذه التجارة تدر عائدا بالمليارات؛ فإحدى بلاد جنوب شرق آسيا يمثل العائد السنوي لها من وراء هذه التجارة (٢,٦) مليار دولار، وفي الدول العربية زادت هذه الظاهرة بشكل ملحوظ فهناك (٣,٥) مليون امرأة فلبينية يأتين إلى الشرق الأوسط ،للعمل في الخدمة والبغاء.

وقد أصدرت منظمة العفو الدولية تقريرا أشارت فيه إلى بعض الحالات، إلى كيفية حصول الاتجار فيهن، وكان التقرير بعنوان "الاتجار بالنساء ٢٠٠٢م"؛ حيث تم بيعهن في المزاد العلني، حيث وصل سعر الواحدة إلى عشرة آلاف دولار.

ولم تقتصر جرائم العنف ضد المرأة على عصابات المافيا ومنظمات تجارة الجنس، بل تعدت ذلك إلى وسائل الأعلام لما لها من دور في انتهاك حقوق المرأة، فالمرأة ضحية الإعلام كما ذكرت المحامية "أسمى خضر" المرأة ضحية الإعلان والإعلام، فهما لم يقدما الصورة الإنسانية التي تظهر عطاءات المرأة عبر التاريخ، فالإعلام ينظر إلى المرأة فقط من زاوية الجسد، فالصورة الإعلامية صورة سلبية وتشييئية، تجعل المرأة شيئا نستخدمه لإثارة الغرائز، واستفزاز المستهلك لمزيد من الشراء، وهذا استغلال للمرأة.

(http://www.islamonline.net/arabic/adam/2004/05/article01.SHTML)

ويقاس على ذلك مسابقات ملكات جمال العالم، وعرضهن بضاعة للجسد، وفي أكثر من دولة، حدثت مظاهرات، تندد بتلك المسابقات، التي تنظر إلى المرأة على أنها بضاعة جسد للعرض، والإثارة الغرائزية،

وأصبح تفشي ممارسة العنف ضد النساء ظاهرة مزمنة ووبائية، أنهكت شتى أنحاء العالم حتى النخاع، في حين لم تأخذ هذه الجريمة البشعة حقها من التسليط الإعلامي، لكي توجه الأنظار اليها باستمرار، مسلطة الضوء على وقائع الانتهاكات الواضحة لحقوق الإنسان وحقيقة هذه الكارثة الإنسانية الكبرى التي تتجاوز الحدود الثقافية والدينية والإقليمية والاقتصادية والعرقية والانتروبولوجية لتشمل جميع الشعوب على اختلاف ألوانهم وصفاتهم وعاداتهم وحالاتهم وفئاتهم وأعمارهم وطباعهم.

إذ تعد فتكاليف الخسائر البشرية والمعاناة البشرية والأضرار الاجتماعية والإنسانية لهذا العنف المتزايد باهظة ومؤلمة، والإحصائيات والبيانات والدراسات والأبحاث الرسمية بدأت في السنوات الأخيرة تأخذ وضعية معقّدة بعض الشيء ومقلقة للغاة.

وتشير الإحصائيات بأنه تتعرض واحدة من بين كل ثلاث نساء في حياتها لإساءة المعاملة سواء كانت بالضرب أو التهديد أو الاعتداء أو الإيذاء أو التشويه أو الشتم أو التحرش أو الزواج الإجباري وغيره في بقاع العالم.

وما يقارب (٤٠٪-٧٠٪) من النساء في كل من أستراليا وإسرائيل وجنوب إفريقيا وكندا والولايات المتحدة ممن تعرضن للقتل قُتِلن على أيدي أزواجهن أو رفاقهن، عادة في سياق علاقة تقوم على الإساءة.

وبصورة عامة يمكن القول بأن (٤٠٪) من النساء اللاتي يتعرضن للقتل، يلقين حتفهن بأيدي الزوج أو الرفيق، و (٧٠٪) من ضحايا العنف في السويد، كن قد تعرضن لبعض أشكال العنف أو التحرش الجنسي.

وهناك (٢٠٠) ألف امرأة في هولندا يتعرضن سنوياً للعنف على أيدي أزواجهن، وهناك ما بين (٨) من بين كل (١٠) من نساء الهند، هن ضحايا العنف، وفي كل يوم تلقى (١٤) زوجة حتفها على يد أسرة زوجها.

وتـشير الإحصائيات إلى أن (٤٠-٦٨٪) من حالات العنف ضد المرأة في الجمهورية الدومينيكية يكون المعتدون فيها، رفاق الضحايا أو رفاق سابقين لهن.

وفي جورجـيا هـناك (٥٠٪) الأسـر في جورجيا تواجه بعض أشكال العنف المنزلي، وهناك (٦) من بين كل (١٠) من نساء بوتسوانا، هن ضحايا العنف المنزلي.

ومـا يعـادل (٣١٪) من الفتيات والشابات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٦ و ١٩ عاماً في مولدوفا، يخضعون للعنف الجنسي.

وفي كـل عام تتعرض الملايين من النسوة للاغتصاب على أيدي الأزواج أو الأخلاء أو الأقـرباء أو الأصدقاء أو الغرباء أو أرباب العمل أو الزملاء في العمل أو الجنود أو أفراد الجماعات المسلحة.

وهـناك أكثـر مـن (٦٠) ملـيون أنثـى محـرومات مـن الحياة، اليوم بسبب عمليات الإجهاض، ووأد البنات.

وأشـارت الإحـصائيات إلى أن (٤٧٪) مـن النـساء الأمـريكيات يتعرضـن للعـنف الجسدي من قبل أزواجهن.

ومـا يعـادل ٩٥٪ مـن ضحايا العنف في فرنسا من النساء، وان هناك (٨) نساء من معدل (١٠) هن ضحايا العنف في الهند.

(http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=3058)

هـذه الأرقـام تحمـل بين سطورها وجعاً وأنيناً يستشري في أجساد المجتمعات، ويزيد أعـباء المهـتمين والنـساء بصورة مباشرة، بسبب معاناة الضحايا اللامحدود. ومن الملاحظ أن العنف ضد المرأة لا يميز بين عصر وآخر، ولا يفرق بين لون أو فئة أو جهة أو طبقة وأخرى، وإنما يشمل كافة الأزمان والأماكن والبلدان.

ومـن المهم والمؤسف جداً هنا التركيز على جانب مهم ألا وهو حقيقة كون المعنِّف غالـباً مـا يكـون مـن بـين الذكـور المحيطين بالضحايا، فقد يتحول المنزل أو مكان العمل إلى

أخطر الأماكن بالنسبة للمرأة، وهذه الحقيقة تبين مدى انتشار مختلف أشكال العنف في كل مكان، وحجم المأساة العالمية، وفي نفس الوقت تَمَكْن الجناة من الإفلات التام من العقاب.

الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة

تم تحديد اشكال العنف بإسهاب في المادة الثانية من الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة الذي صدر وفق القرار ٤٨/ ١٠٤ في ديسمبر ١٩٩٣ فهناك العنف البدني والجنسي والنفسي الذي قد يحدث في إطار الأسرة أو في إطار المجتمع العام أو العنف الذي ترتكبه الدولة أو تتغاضى عنه، أينما يحدث. وفي المادة الرابعة يتم حث الدول على إدانة العنف ضد المرأة وعدم التذرع بأي عرف أو تقليد أو اعتبارات دينية للتنصل من التزاماتها وينبغي عليها إتباع سياسة للقضاء على العنف ضد المرأة والاستعانة بكل الوسائل المكنة من أجل تحقيق ذلك، و لهذه الغاية يتوجب على الدول منع ممارسة العنف ضد المرأة، والتصديق على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو الانضمام إليها أو سحب تحفظاتها عليه، وأن تفعل كل ما بوسعها لدرء أفعال العنف عن المرأة والتحقيق فيها والمعاقبة عليها، وفقاً للقوانين الوطنية، سواء أكان مرتكب الأفعال أفراد أم الدولة نفسها أم المسؤولين الحكوميين أم الذين يتصرفون بموافقة الدولة.

وأشارت المواد القانونية، انه متاح للنساء اللواتي تعرضن للعنف الحق في المطالبة بتعويضات عن الأضرار الجسدية والنفسية، التي سترافقهن كظلالهن طوال حياتهن وينبغي تشجيع الدول للامتثال لتعهداتها الدولية ودعم فتح فرص الوصول إلى آليات العدالة أمام النساء، بحيث تتاح لهن سبل فعالة لإقامة محاكم عادلة.

ولضمان ذلك يقع على كاهل الدول، بعونٍ من المنظمات غير الحكومية، ولا سيما المنظمات المعنية بمسألة العنف ضد المرأة، تقديم المعلومات المستوفية التي بموجبها؛ تصبح النساء على دراية بحقوقهن في التماس التعويض من خلال الفرص المتاحة.

ومن ناحية أخرى يجب التكفل بمناهج وقائية ،وتدابير قانونية وإدارية وسياسية، تنشر الوعي وتعدل أنماط السلوك الاجتماعي والثقافي للرجل والمرأة، وتعزز حماية المرأة

والدعـوة لتولـي المـرأة للسلطة السياسية، والمشاركة في صنع القرار، ووجوب تمتعها بحقوقها كاملـة، الـتي جـسدتها الـصكوك الدولـية، ومـنها الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولـي الخـاص بالحقـوق المدنـية والـسياسية، والعهـد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعـية والثقافـية، واتفاقـية حقـوق الطفـل، واتفاقـية مناهـضة الـتعذيب، وغيره من ضـروب المعاملـة أو العقـوبة القاسـية أو اللاإنـسانية أو المهنـية، واتفاقـية القضاء على جميع أشـكال التمييـز ضـد المرأة؛ التي لو نُفذت بشكل فعال ستساهم في القضاء على العنف ضد المرأة، وإعلان القضاء على العنف ضد المرأة من شأنه أن يسهل هذه العملية.

وينبغـي تقـديم المساعدات ضمن إطار ميزانية الدول، وضمن إطار التعاون الدولي كإعـادة التأهـيل البدنـي والنفـسي، والمـساعدة في علاج ورعاية الأطفال وتربيتهم وإعالتهم وتحـسين الخـدمات الـصحية والاجتماعـية بكافـة مـستوياتها، بالإضـافة إلى إنـشاء الهـياكل التنظيمية والمؤسسات الداعمة للضحايا.

حملة منظمة العفو الدولية في مقاومة كافة أشكال العنف ضد المرأة

بـدأت مـنظمة العفـو الدولية في مارس ٢٠٠٤ حملة عالمية تحت شعار "أوقفوا العنف ضـد المـرأة". تهـدف الحملة إلى حشد دعاة حقوق الإنسان، رجالاً ونساءً، في عمل منظم من أجل التصدي لأشكال العنف ضد المرأة.

والحملـة مـوجهة للحكـومات والمجتمعات المحلية والأفراد للمشاركة في وضع نهاية للعنف، وتدعو إلى أن يقر كلٌ بمسؤوليته عن وقف هذه الفضيحة العالمية.

ومـن خـلال الحملـة تستكـشف العلاقـة بـين العنف ضد المرأة وبين الفقر والتمييز وتفـشي النـزعة العسكرية، فضلا عن العنف المستخدم ضد النساء والفتيات، كسلاح حربي في أوقات النزاعات المسلحة.

وهـنا يطرح التساؤل الآتي: متى يدخل العنف ضد المرأة ضمن نطاق جرائم حرب والجرائم ضد الإنسانية؛ ومن هنا بحث الحقوقين في مواد القانون الدولي واتفاقيات جنيف،

حيث اشارت إلى حظر أعمال العنف ضد المرأة أثناء النزاعات، أما قانون روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الذي اعتمد في روما في ١٧ يوليو، ١٩٩٨ ودخل حيز النفاذ في ١ يوليو ٢٠٠٢، وبدأت المحكمة عملها في العام ٢٠٠٣، فينص على منع عدد من أشكال العنف ضد المرأة باعتبارها جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية، فالاغتصاب والاستعباد الجنسي، والإجبار على ممارسة الدعارة، والإجبار على الحمل والتعقيم الإجباري، تعتبر جرائم حرب، وفي حال ارتكابها في سياق مسلسل انتهاكات إجرامية ضد جماعات من السكان المدنيين، فإنها تشكل جرائم ضد الإنسانية.

وعلى الرغم من حجم المأساة والمعاناة التي تخلفها مواجهة حقائقها وتأثيراتها على أرض الواقع، يجب بذل الجهود الجماعية والتضامن والتعاون والتكافل، لكي ننجح في كسر حلقة العنف المريعة، ونمنع تشويه المجتمع.

http://www.aihr.org.tn/arabic/tadrib/DroisFem/violenceDiscrim.htm

مكاسب الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة

من خلال متابعة نصوص الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة يمكن الأستنتاج بأن المقصود بالعنف ضد المرأة هو كل فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة بدنيين أو جنسيين أو نفسيين للمرأة بما في ذلك التهدبد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان ن التعسفي من الحرية سواء أوقع ذلك في الحياة العامة أم الخاصة'

وكما جاء في المادة الثانية من هذا الإعلان فيمكن تحديد العنف بأنه:

- العنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي يقع في إطار الأسرة.
- العنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي يقع في الإطار العام للمجتمع.
- العنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي تقترفه الدولة أو تتغاضى عنه حيثما وقع.

فمن خلال هذا التحديد للعنف يمكن أن نقدم معاييره، فهو الذي:

- يقوم على أساس الجنس، ولا يمكن أن يكون انحراف اجتماعي كما يعتقد البعض.
- يمارس في كل الفضاءات الخاصة من قبل أفراد العائلة مثل الأزواج والآباء والأخوة والأقارب، وفي الفضاء المهني من قبل الزملاء والمديرين، وفي الفضاء العام من طرف ممثلي الدولة وأي مواطن في الشارع.
- يمكن أن يكون جسدي أو جنسي أو معنوي ويأخذ أشكال متعددة.
- يمكن أن يمارس بفعل القانون السائد أو العادات والتقاليد.

ومن سمات هذا العنف أنه:

- يحد من تحقيق المساواة بين الجنسين و من الأمن و الحرية و السلامة و الكرامة، وينتهك حق النساء في الحياة و يحد تمتعهن بحقوق الإنسان للنساء، كما يمكن أن يحرمها من الحق في الحماية المتساوية، وكذلك من حق التحرر من جميع أشكال التمييز.

- جذور هذا العنف قد تكون ناشئة من موروث اجتماعي أو أسس قانونية واقتصادية وسياسية، في بعض الأحيان، أو نتيجة لبعض الاختيارات الاقتصادية، التي أدت إلى تأنيث الفقر و البطالة، أو وقفت حاجزا أمام تواجد النساء في مراكز أخذ القرار، أو ممارسة الحقوق السياسية والحريات العامة.

- قد يكون ناتجاً عن النزاعات المسلحة و الحروب التي يمكن أن تأخذ مظاهر مشينة مثل الاغتصاب الذي يمارس على النساء بصفة فردية أو جماعية زمن الحروب أو الجرائم ضد الإنسانية التي تكون النساء ضحيتها.

http://www.aihr.org.tn/arabic/tadrib/DroisFem/violenceDiscrim.htm

مكاسب الاتفاقية الدولية الخاصة بإلغاء كل مظاهر التمييز المسلط على النساء

تنطلق منظمة العفو الدولية في عملها من التعريف الذي يقرره "الإعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة" الصادر عن الأمم المتحدة، حيث ينص على أن العنف ضد المرأة هو:

"أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يُرجح أن يترتب عليه: أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعالٍ من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة"، والعنف ضد المرأة ذو الدوافع المتصلة بنوع الجنس هو العنف الموجه ضد المرأة بسبب كونها امرأة أو العنف الذي يمس المرأة على نحو جائر.

وتؤكد التفسيرات التقدمية للتعريف الوارد في إعلان الأمم المتحدة أن أفعال الإغفال، مثل الإهمال أو الحرمان، يمكن أن تمثل أشكالاً من العنف ضد المرأة. كما تذهب بعض هذه التفسيرات إلى أن العنف الهيكلي (وهو الأذى الناتج عن تأثير تنظيم الاقتصاد على حياة النساء) يندرج ضمن أشكال العنف ضد المرأة.

وقد يتخذ العنف ضد المرأة طابعاً بدنياً أو نفسياً أو جنسياً. ومن أشكال هذا العنف:

العنف في محيط الأسرة ويشمل:

- التعرض للضرب على يدي الرفيق الحميم، أو الوالدين أو الإخوة.
- التعدي الجنسي على أطفال الأسرة الإناث، أو الفتيات الصغيرات، على أيدي أفراد من الأسرة.
- العنف المتصل بالصهر.
- اغتصاب الزوجة.
- تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية وغير ذلك من الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة.

ويُمكن أيضاً أن يُدرج ضمن هذه الفئة التعدي على خدم المنازل، بما في ذلك:

- الحبس غير الطوعي.
- القسوة الجسدية.
- الظروف المماثلة للرق.
- الاعتداء الجنسي.

العنف في إطار المجتمع ويشمل:

- الاغتصاب، والتعدي الجنسي، والمضايقة والتعدي الجنسيين في أماكن العمل وفي المؤسسات التعليمية وأي مكان آخر.
- الاتجار في النساء
- إرغام النساء على ممارسة البغاء.
- العمل القسري.
- الاغتصاب وغيره من الانتهاكات على أيدي الجماعات المسلحة.

العنف على أيدي الدولة ويشمل:

- أعمال العنف الذي يرتكبه أو يتغاضى عنه أفراد الشرطة وحراس السجون والجنود وحرس الحدود ومسؤولو الهجرة ومن على شاكلتهم
- الاغتصاب على أيدي القوات الحكومية خلال الصراعات المسلحة
- التعذيب أثناء الاحتجاز
- العنف الذي يرتكبه المسؤولون ضد اللاجئات.

(http://www.unicef.org)

ومن هنا فإن المتتبع لواقع هذه الاتفاقية، يجدها لم تتطرق بصريح العبارة إلى العنف، واكتفت بالتأكيد على التمسك بكرامة الإنسان، وقدره و بالمساواة بين النساء والرجال، كما اعتبرت هذه الاتفاقية أن التمييز ضد النساء يمثل إنتهاكا لمبدأي لمساواة في الحقوق واحترام

كرامة الإنسان وعقبة أمام مشاركة النساء، على قدم المساواة مع الرجل، في حياة بلادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولكن واعتماداً على هذه الاتفاقية، ولتأويل أحكامها، صدر عن لجنة السيداو؛ وهي اللجنة المكلفة بمتابعة تطبيق تطبيق أحكام الاتفاقية، في التوصية رقم (١٩) لسنة ١٩٩١ حول العنف ضد المرأة اعتبرت هذه التوصية في النقطة البند (١)، ومفادها:

"العنف القائم على أساس الجنس شكل من أشكال التمييز ضد المرأة يعطل بصورة جدية قدرة المرأة على التمتع بحقوقها وحرياتها على أساس من التساوي مع الرجل"، وجاء في البند (٦) من هذه التوصية ما يلي:

"تعرف الاتفاقية في مادتها الأولى التمييز ضد المرأة. ويشمل التمييز العنف ضد المرآة القائم على أساس الجنس أي الموجه ضد المرآة بصفتها امرأة، أو ذاك الذي يلحق للمرآة بصورة غير متوازنة ويشمل ذلك الأفعال التي تلحق الأذى أو المعاناة الجسدية أو العقلية أو الجنسية، والتهديد بمثل هذه الأفعال والقهر وأشكال الحرمان الآخرى من الحرية.

وتباعاً لما سبق و بالاعتماد على هذه النصوص يمكن أن نقدم التعريف التالي للعنف المسلط على النساء: انتهاك لحقوق الإنسان للنساء يمتد من زمن الحرب إلى السلم.

- تمييز مسلط على النساء يجد أسسه في النظام الأبوي الدوني الراسخ لتبعية النساء للرجال و في السياسات و الاختيارات الاقتصادية.
- المس بكرامة النساء والتعرض لها.
- تعدي على حرمة النساء وكيانها الجسدي والمعنوي والجنسي.

كل هذه التعريفات تمكننا من التفكير في كيفية التصدي لهذه الظاهرة، وحتى يتم تحديد ذلك لا بد من التوجه إلى في بداية الأمر إلى النساء المعنفات، ثم إلى الجهات المختصة، من خلال الآتي:

أ. مساندة ومساعدة النساء المعنفات: حيث تلعب المنظمات غير الحكومية دورا رئيسيا في مساندة النساء ضحايا العنف وفي مصاحبتهن في كل فعل يردن القيام به والوقوف إلى جانبهن.

ومن الجدير بالذكر هنا إلى ان من أهم مظاهر المساندة التي يمكن أن تقوم بها هذه المنظمات هو تشجيع النساء على كسر جدار الصمت على العنف وحثهن على الخروج من العزلة، إذ اشارت الدراسات إلى انه عادة ما تفكر النساء أن العنف المسلط عليهن هو حالة شاذة منفردة و تخشى التصريح بآلامها وعندما يكون العنف ممارس داخل الفضاء العائلي تفضل النساء ملازمة الصمت عوض فضح أسرار عائلية وخاصة، أما عندما يتعلق العنف بالأطفال والبنات خاصة، ويأخذ مظهر التعدي الجنسي، وسفاح القربى من قبل الأب أو أحد أفراد العائلة، فعادة ما تجد الأم نفسها مجبرة على كتم السر، خوفا من الفضيحة والمس من شرف العائلة.

وكذلك الشأن بالنسبة للاغتصاب الزوجي الذي يمارسه الزوج على زوجته، إذ تبين الشهادات أن النساء يخفن من التعبير عن العنف المسلط عليهن، لان العائلة تقف بصفة عامة إلى جانب الزوج، بدواعي أنها مطالبة بالقيام بوجباتها الزوجية، حتى وأن كان ذلك بالإكراه، وفق العرف الاجتماعي.

والحال ذاته يقال؛ بشأن الحوادث التي تتعرض لها المرأة العاملة من التحرش الجنسي في أماكن العمل، فكثيراً ما تفضل هذا النمط من النساء الصمت، خوفا من العقلية السائدة التي تحملها مسؤولية هذه الأفعال، و خشية من فقدان العمل، بعد تقديم شكوى ضد مرتكب التحرش الجنسي، الذي عادة ما يكون المسؤول المباشر، أو زميل من الزملاء.

فمن هنا فإن كسر جدار الصمت يشجع النساء على الخروج من العزلة، والشعور بضرورة الدفاع عن كرامتهن، و يمكنهن من البحث عن مساعدة قانونية ونفسية، كما يقنعهن بعدم تحمل المسؤولية والانتقال من وضع الضحية إلى المسؤلة.

ويمكن التعبير على العنف النساء من القوة ومن الاقتناع، بضرورة الالتجاء إلى المحاكم والأجهزة الإدارية لتقديم الشكاوى والدفاع على حقوقهن وكرامتهن الإنسانية، وكسب الثقة في أنفسهن، وتجاوز الخوف الذي يحيطهن في بعض الأحيان.

ب. مطالبة الدولة بمعالجة هذه الظاهرة: فلا بد أن نعمل اليوم في اتجاه الدولة لحثها على تناول مسألة العنف المسلط على النساء بصفة جدية وذلك من خلال الآتي:

- اعتبار العنف ظاهرة اجتماعية تقتضي معالجة صحيحة وليس مجرد حالات شاذة يكفي التدخل لفائدة هؤلاء النساء لحلها والقيام ببحوث علمية وميدانية حول هذه الظاهرة.
- اعتبار العنف انتهاك لحقوق الإنسان للنساء وجريمة ضد إنسانية النساء.
- اتخاذ سياسات وطنية للقضاء على العنف و تطوير الأساليب الوقائية والتصدي لكل التبريرات السياسية والثقافية والدينية التي تشرع استعمال العنف.
- وضع قانون خاص لحماية النساء المعنفات مهما كان المجال الذي يمارس فيه العنف لتفادي نقائص القانون الذي لا يهتم بهذه المسألة إلا في حالات معينة ولرفع الحصانة التي تحيط بعض مرتكبي العنف.
- معاقبة مرتكبي العنف وحماية الشهود وتخفيف الأدلة حتى يسهل تقديمها وتعتمد عند إصدار الأحكام.
- حماية النساء ضحايا العنف لكي لا تتحول من وضع الضحية الى وضع المتهمة وتنتهك حقوقهن.
- توفير المساعدة المادية والنفسية والقانونية وتقديم الخدمات الصحية والعلاج للنساء المعنفات.
- المصادقة على الاتفاقيات الدولية التي تتعلق بحقوق النساء وخاصة الاتفاقية الدولية الخاصة بإلغاء كل مظاهر التمييز المسلط على النساء والبروتوكول الاختياري الملحق للاتفاقية حتى يسهل تقديم الشكاوي لدى لجنة السيداو وعند انتهاك حق من الحقوق التي أقرتها الاتفاقية.
- تبني تعريف العنف كما حدده الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة المسلط على النساء والتعريف بكل الصكوك والآليات الدولية المتعلقة

بالموضـوع مـثل المقـررة الخاصـة بالعـنف أسـبابه ونـتائجه لـدى لجـنة حقوق الإنسان.

- تمكين المنظمات غير الحكومية من كل الإمكانيات وكل وسائل الإعلام لتنظيم الحملات الوقائية والتحسيسية حول هذه الظاهرة.

فـإذا مـا تم الـشروع في العمل على القضاء، على منظومة العنف اللاأخلاقية المسلطة علـى النـساء، يمكـن بـذلك تحقـيق خطوة متقدمة في احترام إنسانية المرأة وكرامتها، التي هي مطلب إنساني بالدرجة الأولى.

(http://www.unicef.org)

العنف ضد المرأة عربياً

وتمـتدد مساحات العنف ضد المرأة العربية، في صوره المؤلمة، وما تحمله الإحصاءات مـن دلالات صـعبة، تعكـس الواقـع المـتردي الأسـري، ومساحات في اللاإنسانية في التعامل الاجتماعي.

ومـا لاشـك فـيه، فـان العـنف الأسـري وخاصـة العـنف ضد النسا، يشكل ذروة الـضعف والعجـز عـن التواصـل والعدوانية واللاإنسانية التي يمكن أن يقوم بها البشر، لأنها تـسير في الاتجـاه المعاكس لما يجب أن يحظى به الإنسان من كرامة، وما يجب أن يتصف به من عفة، سواء في التصرف أو التعامل.

واقع العنف ضد المرأة العربية

بـدأت ظاهـرة العـنف ضـد المرأة تنتشر في الآونة الأخيرة، لدواعي متعددة، منها ما يعـود لخلـل في الوعـي الديني الصحيح، وما يتطلب من ممارسات عادلة إنسانية، حيث لو تم التـزام الإسلام ومبادئه الصححية، وتم تطبيقه في ضوء روحه الحقيقية السمحة، لسادت المحبة والـتآلف والترابـط الأسـري وحـسن معاملـة المرأة، والأخلاقيات العالية التي تعطر المجتمع، وتميزه عن سائر المجتمعات الأخرى.

ويعد ما اعترى وظيفة التنشئة الاجتماعية في النظام الأسري من تغيرات نشأت كظواهر سلبية للحضارة الحديثة، احد هذه العوامل ايضاً، ويكمن مصدر الخطر في ظاهرة العنف الأسري، في أنها انعكاس لفشل عملية التنشئة الاجتماعية، التي تعد من بين العمليات الرئيسية التي تحافظ على بناء المجتمع وآمنة.

وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة منتشرة ومعروفة في كل المجتمعات المتقدمة منها والمختلفة، فان الإحصائيات الدقيقة لحجم انتشارها في العالم العربي غير معروفة، لما يتتابعها من تستر ورغبة في عدم الإفشاء أحياناً على اعتبار أن الخلافات الأسرية وخباياها الحميمة لا ينبغي في نظر البعض أن تفشى، أو مخافة التعرض للمزيد من العنف بعد التشهير واعلانه.

وتبين من جميع الدراسات التي تجريها الدول العربية على ظاهرة العنف الأسري في مجتمعاتها بأن الزوجة هي الضحية الأولى، وأن الزوج بالتالي هو المعتدي الأول. وعلى سبيل المثال، تصل نسبة الزوج المعتدي في المجتمع المصري إلى (٧١,٩٪) حسب دراسة أجراها المركز القومي للبحوث في مصر. ويمارس الرجل عادة حقه في توقيع العنف على المرأة أكانت زوجة أو أماً أو ابنة أو أختاً. وتبلغ نسبة الآباء الذين يمارسون العنف في مصر(٤٢,٦ ٪)، فيما تبلغ نسبة الأخ المعتدي نحو(٣٧ ٪)، أما في السعودية، فدلت الدراسات أن (٩٠٪) من مرتكبي حوادث العنف لأسري هم من الذكور، وأن أكثر من (٥٠٪) من الحالات تخص الزوج ضد زوجته.

(www.balagh.com)

وتشير الإحصائيات في العالم العربي إلى ان هناك ما نسبته (٥٢٪) من النساء الفلسطينيات تعرضن للضرب على الأقل مرة واحدة في العام ٢٠٠٠، وما نسبت (٤٧٪) من النساء يتعرضن للضرب في الأردن بصورة دائمة، وما نسبته (٦٠٪) من سكان الضفة الغربية وغزة دون (١٩) عاماً يتعرضون للتهديد الجسدي واللفظي والمطاردة والتوقيف والاعتقال.

(http://bshra.com/b77/alonfthadalmara.htm)

وفي هـذا الـصدد تـشير "أسمـى خـضر" -محامية نظامية لدى المحاكم الأردنية ومهتمة بالـضمانات القانونـية لحقـوق الإنـسان وخـصوصًا المـرأة والطفل- إلى أن النساء في البلدان العـربية يعـانين من ظاهرة "تأنيث الفقر" حيث إن نسبة الفقيرات العربيات تبلغ ٣/ ٢ إجمالي الفقراء في الوطن العربي، كما أن نسبة البطالة بين النساء تبلغ ضعفي البطالة بين الرجال.

وتعـد مشكلات (الأمية، البطالة، الفقر) من أهم أسباب العنف، فإذا قلنا: إن الفقر أحـد أسـباب العـنف وخاصـة لنـساء العـالم العربي، فأيضًا يمكن أن ينتشر العنف مع الغنى الفـاحش، فالمجـتمع الاقتـصادي الحـر يتـيح فرص غنى دون تكافل اجتماعي للفقر، كما أن هناك قضية استغلال النساء في التجارة سواء في الجنس التجاري؛ مثل (الدعارة)، الاستغلال الإعلانـي، الملاهي... إلخ، فهناك امتهان لجسد المرأة بسبب الحاجة إلى العمل والمال، وهناك ارتفـاع لنسبة نسبة الأمية في الوطن العربي بشكل كبير جدًّا كما هو الحال في المغرب واليمن ومـصر، ونجـد ارتفاعـاً كـبيراً وحـاداً في العـنف المتعلق بالاستغلال الجنسي والاستغلال في العمالـة كما هو الحال في جنوب شرق آسيا والهند. وأيضًا هناك ارتفاع لنسبة العنف الجنسي ضد النساء في مجتمعات، مثل شمال أوربا وأمريكا. لهذا فبالرغم من اختلاف طبيعة وظروف كل دولة إلا أن الفعل واحد والمعاناة واحدة.

(http://www.islamonline.net)

وتـشير بعـض الأحـصائيات إلى حجـم ظاهـرة العنف ضد المرأة في العالم العربي ، وكانت قد نشرتها رابطة المرأة العربية ٢٠٠٣؛ ففي مسح ميداني باليمن لسنة (٢٠٠٠) أشار إلى أن (٦, ٤٦٪) مـن النـساء تعرضـن للـضرب، (٩, ٥٤٪) تعرضـن للإيـذاء الجـسدي، (٩, ٥٠٪) مـن العيـنة ضحايا التهديد باستخدام العنف، (٣, ١٧٪) تعرضن لعنف جنسي، أشار المسح أيضا إلى أن ٥, ٤٤٪ تعرضن لثلاثة أنواع أو أكثر من العنف، (٨٧٪) من النساء اللائـي تعرضـن للعنف لا يعملن، وفي المغرب أظهرت دراسة أعدتها جمعية مبادرات لحماية حقـوق المـرأة، علـى عيـنة مـن (٩٩٥) سـيدة أن (٧)مـن كـل (١٠) نـساء ضحايا للعنف الأسـري، وهـذا الـنوع مـن العـنف يـزداد بـين ربـات البـيوت واللاتـي لا يعملن بالمقارنة بالمـوظفات، وأشـار أيـضا لوجـود صـلة بين مساحة المنزل وحالات العنف، فمن بين (١٠)

نساء يعشن في مدن الأكواخ تعرضت (٨)سيدات للعنف، كما أشارت الإحصائيات إلى أن نسبة الرجال الأميين الذين مارسوا العنف (٤ ,٧٦٪)، وأشار أيضا إلى أن العنف الجسدي (٤٩٪)، والنفسي (٤ ,١٦٪)، والجنسي (٧ ,٢٦٪).

http://www.islamonline.ne

وفي مساحات واقع العنف ضد المرأة المصرية، تناول ذلك من خلال التقرير الذي اصدرته المنظمات الحقوقية المصرية ، إذ يرصد حوادث العنف ضد المرأة التي نشرت في الصحف المصرية خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٥، ويهدف التقرير إلى التعرف على صورة المرأة في الصحافة المصرية باعتبارها الصورة التي تقوم على تشكيل وعى المواطنين والتأثير فى مواقفهم ورؤيتهم وعاداتهم وتقاليدهم تجاه المرأة، ويتساءل التقرير بعد عرضه لحوادث العنف ضد المرأة خلال هذه الفترة؛ عما إذا كان الإعلام هو الذى يعكس الأوضاع الثقافية والاجتماعية في مصر أم العكس، فقد تضمن التقرير بحوادث مؤلمة في مجال العنف ضد المرأة، ومن الجدير بالذكر أن المركز كان قد اصدر تقريراً عن النصف الأول من العام وقد تبين فيه أن حوادث العنف ضد المرأة بلغت ٣٠٠ حالة وكانت حوادث الخطف والاعتداءات الجنسية على النساء تشكل (٥٤) حالة أما حوادث قتل النساء فكانت (٢٩) حالة وشكل العنف الأسرى ضد النساء (١٤٠) حالة وأتى الإهمال في الرعاية الصحية للنساء ليمثل (١٨) حالة وشكل انتحار النساء (٢٨) حالة وكانت الحوادث الآخرى للنساء تشكل (٢٧) حالة وكانت هناك بعض حالات العنف الرسمي ضد حقوق النساء ويوثق التقرير (٤) حالات منهم، ويستعرض التقرير في القسم الأول صور التمييز التي تتعرض لها المرأة بسبب قصور التشريعات خاصة نصوص المواد من ٢٧٤ - ٢٧٧، والتي تميز بين الرجل والمرأة في حالة تلبسهم بارتكاب الزنا وقتل احدهم الآخر، حيث يعاقب الزوج بالحبس وتعاقب الزوجة بالأشغال الشاقة المؤقتة أو المؤبدة، ويتناول التقرير بعد ذلك بعض صور التمييز والعنف ضد خادمات المنازل، وبعض الفتيات التي يتم زواجهن بشكل مبكر، كما يتناول التقرير استعراض لبعض صور العنف المجتمعى والرسمى مثل العنف ضد المرأة في أقسام الشرطة والسجون والعمل وداخل الأسرة وكل صور الإيذاء الآخرى للنساء هذا

ويستعرض التقرير في القسم الثانى صور الاعتداءات على المرأة والتي تمثلت في (٥٤) حالة اعتداء تنوعت هذه الاعتداء إلى الانتقام من المرأة أو الاعتداء عليها جنسياً أو بدنياً لسرقتها أو بسبب رفض الزواج، ويتناول حوادث قتل المرأة والتي تمثلت فى (٢٧) حادثة قتل تنوعت إلى الانتقام أو السرقة أو الخوف من فضح علاقة محرمة أو للخلافات المادية أو لرفض الزواج، كما تناول التقرير حوادث في العنف الأسرى، والتي تمثلت فى (٣٥) حالة، تعود فيها اسباب الاعتداء على المرأة إلى الشك فى السلوك أو لخلافات مادية أو عائلية أو لمحاولة الاعتداء أو لارتكاب علاقة آثمة، و يتناول التقرير حوادث العنف بسبب الخلافات الزوجية، حيث شكلت (٥٠) حالة، وتنوعت بين الخلافات الزوجية والمادية والعائلية أو الشك فى السلوك أو الانتقام، ويتناول التقرير حوادث العنف الرسمى والذي تمثل فى اعتداءات من رجال الشرطة على النساء وكذلك حوادث العنف ضد المرأة التي تمثلت في (١٠) حالات، تنوعت بين الضرب حتى الموت أو الاعتداء والسرقة و يرصد التقرير الإهمال فى الرعاية الصحية والتي تمثلت فى (١٠) حالات وتنوعت إلى الإهمال الطبي للمريضة لغاية الحصول على أموال المرأة بطرق غير مشروعة، ويتناول التقرير حوادث انتحار المرأة والتي تمثلت فى (٣٠) حالة انتحار؛ تنوعت إلى اليأس من الشفاء أو لخلافات زوجية أو مادية أو عائلية أو الفشل فى التعليم أو اليأس من عدم الإنجاب أو الخوف من عقاب الأسرة، وكذلك حوادث متنوعة ضد حقوق المرأة وتمثلت فى (٣٥) حالة، وتنوعت بين حوادث الحرق والطرق والسقوط من الشرفات أو الغرق أو التسمم أو إصابتها بعيار ناري أو اغتصابها من قبل بعض الدجالين.

وقد نشرت الاعتداءات وحوادث العنف ضد المرأة في الجرائد المصرية خلال النصف الثانى من عام ٢٠٠٥ في (٢٥٣) خبر، حيث نشر في جريدة مصر اليوم (٦٥) خبر، الأحرار (٤٥) خبر، الوفد (٤٣) خبر، نهضة مصر (٣٣) خبر، الأهرام (١٨) خبر، النبأ (٨) أخبار، الخميس (٧) أخبار، الجمهورية (٧) أخبار، الحقيقة (٧) أخبار، العمال (٥) أخبار، الإخبار (٤) أخبار، أخبار اليوم (٣) أخبار، المساء (٢) خبر، التجمع (٢) خبر، وخبر واحد لكل من صوت الأمة والغد والفجر والجماهير، كما نشرت هذه الاعتداءات خلال شهور

النصف الثانى من عام ٢٠٠٥، فجاء بشهر يوليه (٤٤) اعتداء، اغسطس (٤٩) اعتداء، سبتمبر (٣٦) اعتداء، أكتوبر (٤٤) اعتداء، نوفمبر (٣٨) اعتداء، ديسمبر (٤٢) اعتداء. وعرض هذا التقرير بعض التوصيات، يمكن ايجازها بالآتي:

- ❖ وجوب تعديل التشريعات لتتواءم مع القوانين الدولية والمبادئ العامة لعدم التمييز ضد المرأة خاصة قوانين الحبس والعقوبات والنسب وإزالة التحفظات على معاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالقضاء على كل أشكال التمييز.
- ❖ يجب تجريم كل أشكال العنف ضد المرأة سواء كان رسمى أو مجتمعى في قانون العقوبات.
- ❖ يجب مراجعة مناهج التعليم والإعلام لاستبعاد كل أنماط العنف وإعلاء قيم المساواة وعدم التمييز ضد المرأة.
- ❖ يجب دعم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمرأة الفقيرة والعاملات في القطاع غير الرسمى بتوفير فرص عمل لائقة وسكن أدمى وتأمين اجتماعي وصحى بزيادة المعاشات والتأمينات لتتوافق مع ارتفاع أسعار المعيشة وتوفير وحدات صحية لائقة في الريف.
- ❖ يجب تنظيم حملات قومية تحث فيها الحكومة عبر وسائل الإعلام بالمشاركة مع الجمعيات والأحزاب وحثهم المواطنين على تغير الصورة السلبية للمرأة في المجتمع، ويطالب المركز كل المصريين ومنظمات المجتمع المدنى بالعمل معاً لوقف الإيذاء والعنف ضد النساء في مصر.

(http://www.hrinfo.net/egypt/lchr/2006/pr0228.shtml)

وفي مساحات واقع العنف ضد المرأة السعودية: فيمكن إدراجه في الأبعاد الآتية، كما أشارت إلى ذلك سهيلة عابدين:

١- حرمانها من حق التعليم، رغم أن الدولة فتحت للمرأة كل أبواب العلم والمعرفة وهناك أميات صغيرات، بل هناك من أولياء الأمور يحرمون بناتهم وزوجاتهم من

حفظ كتاب الله، ويمنعونهن من الالتحاق بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وهذا عايشته بنفسي فترة رئاستي للمدارس النسوية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة، و لعل ارتفاع نسبة الأمية بين السعوديات، وبلوغها أكثر من ١٨٪ خير شاهد على هذا، كما وجود ظاهرة الأميات الصغيرات يدعم هذا القول.

٢- حرمانها من حق الإرث في بعض مناطق المملكة العربية السعودية، فالفتاة إن توفي والدها فلا ترثه، ويستأثر به إخوانها الذكور بدعوى حرصهم على عدم خروج أموال أبيهم لأجنبي - أي خارج العائلة - أي الزوج، في حين هم متزوجون من أجنبيات- على حد تعبيرهم، وسيرثنهم، ولكن يحللون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، و يحرمون أخواتهم البنات من حق شرعي شرعه الخالق.

٣- حرمانها من حق الولاية على نفسها و على مالها، مما ترتب عليه أمور خطيرة منها:

أ- اعتبر بعض أولياء الأمور أن هؤلاء النسوة الذين لهم حق الولاية عليهن أجسادهن، وأفكارهن، وأموالهن ملك لهم يستبيحونها وقتما شاءوا، فيأخذون من أموالهن ما يريدون، ولا يعطونهن منه إلا ما يريدونه، مع استباحة البعض منهم أجسادهن، فانتهاك المحارم قضية جديرة بالبحث والدراسة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية رغم أن الإسلام يحرمها، إلا أن طبيعة مجتمعاتنا تغطي على هذه الأمور خوفا من الفضيحة، ولكن تغطيتها لا يعني عدم وجودها، وإنما يزيدها تفاقماً، ولا بد من فتح ملفها لمعرفة أسبابها لعلاجها والقضاء عليها.

ب- عضل بعض أولياء الأمور بناتهم أو أخواتهم، بحرمانهن من الزواج حقهن الطبيعي في الحياة، لخدمة مصالحهم الشخصية، طمعاً في رواتبهن، وهناك من الأخوة من يمتنعون عن تزويج أخواتهم ليخدمنهم هم وأولادهم لأنه مطلقون أو أرامل، وعندما يكبر الأولاد، ويتزوج الأخوة، ويستغنون عن أخواتهم يتركونهن وحيدات، ولا يسألون عنهن، ولا يقضون لهن مستلزماتهن، مع أن أموالهن في أيديهم باعتبارهم الوكلاء، وقد تعيش الواحدة منهن في بلد وأخوها

يعيش في بلد آخر، ولكن عندما تريد استخراج بطاقة شخصية أو تجديد جواز سفرها، أو السفر خارج المملكة لا يسمح لها إلا بموافقة هذا الولي، أو الوكيل.

٤. حرمان المرأة غير المتزوجة، وغير المطلقة، وغير الموظفة من حق الاقتراض من صندوق التنمية العقاري، وحق استقدام عاملة منزلية أو سائق.

٥. عدم العدل بين الزوجات لدى كثير من الأزواج المعددين، والذين يعددون دون مبررات شرعية، ونجد البعض من يمنن على المرأة بزواجه أكثر من واحدة، بدعوى أنه انتشلها البؤس، ومن شبح العنوسة بزواجه منها.

٦. تفشي ظاهرة العنوسة في المجتمع لإصرار بعض القبائل على تزويج بناتها من ذات القبيلة، أو من أبناء العم، أو لعضل البنات من قبل بعض أولياء الأمور، وكذلك تفشي ظاهرة المطلقات الصغيرات، وضياع حقوقهن.

٧. تنصل بعض الأزواج من واجب النفقة على زوجاتهم، وبيوتهم اعتماداً على راتب الزوجة، بل ركون بعض الأزواج إلى الدعة والراحة، والقعود عن العمل، وتولي المرأة الإنفاق عليه وعلى البيت والأسرة.

٨. عدم توفر مواصلات عامة للنساء، والاعتماد على السائقين الأجانب، مما يعرض بنات الأسرة على وجه الخصوص إلى مخاطر الاغتصاب والتحرش الجنسي من السائقين، إضافة إلى كثير من المشاكل، وتوجد إحصائية تقول: إن عدد السائقين الأجانب في البيوت السعودية ٢٦٤ ألف سائق.

٩. زواج المسيار، وما يترتب عليه من عدم توفر أركان الزواج وشروطه في الإسلام، وما من امتهان للمرأة، واعتبار الزواج هو فقط للمتعة الجنسية.

١٠. إساءة بعض الأزواج لزوجاتهم، وضربهن ضرباً مبرحاً، وضرب الآباء لأولادهم ضرباً مبرحاً، وهذه الظاهرة موجودة في كل المجتمعات، ففي فرنسا توجد إحصائية تقول إن مليون ونصف مليون امرأة فرنسية يعانين من ضرب الزوج، أو الصديق،

ولعل مأساة موت الممثلة الفرنسية الشهيرة "ماري ترنتينيان" إثر تعرضها لضرب من صديقها كشف عن هذه المأساة التي تعيشها المرأة الفرنسية.
(http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=407)

العنف ضد المرأة العربية في النزاعات المسلحة

ويعتبر العنف ضد المرأة في النزاعات المسلحة من أسوأ مظاهر العنف التي وقعت على المرأة، وقد عانت النساء في ظل النزاعات العسكرية أوضاع بالغة الصعوبة خلال القرن الماضي، ولكن ما تشهده المنطقة العربية الآن من تطور وتصاعد الأوضاع السياسية والعسكرية وما تعانيه المرأة الفلسطينية والعراقية بوجه خاصة.

ففي فلسطين؛ انفردت مظاهر العنف بجرائم محرمة دوليًا "من إبعاد ونفي أهالي الشهداء الذين نفذوا عمليات استشهادية، وتدمير ممتلكاتهم ونسف منازلهم. ويخضعن النساء لعمليات تفتيش جسدية مهينة، ويحرمن من العلاج الضروري، حتى أن العديد منهن لاقت مصرعها نتيجة لمنع الجيش الإسرائيلي القوافل الطبية، وكل ذلك يؤدي لفقد النساء عوائلهن وفقد الأطفال أسرهم.

وفي العراق؛ لا يختلف الوضع كثيرًا فما تعانيه المرأة الفلسطينية تعانيه العراقية؛ لأنهن تحت ظروف استعمارية متشابهة إلا أن النساء العراقيات عانت بشكل كبير جدًا من العقوبات الاقتصادية أيام الحصار وقبل الاحتلال، حيث أدت لوفاة أكثر من (١,٥) مليون ضحية معظمهن من النساء والشيوخ. وتنفرد النساء في النزاع العراقي بظاهرة تأثير اليورانيوم المنضب على حالات الحمل والولادة؛ وهو ما يؤدي لجيل يعاني من التشوهات الخِلْقية وأمراض السرطان المختلفة خاصة (سرطان الدم). وما زالت تعاني من ويلات الجرائم الأمريكية اليومية التي تمارس ضدها وشعبها.

ويشير معلومات مركز الإحصاء الفلسطيني ومركز المعلومات الوطني بالهيئة العامة للاستعلامات إلى أن عدد الشهداء في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ اندلاع الانتفاضة الثانية في سبتمبر أيلول ٢٠٠٠ حتى أواخر كانون الثاني ٢٠٠٤، ما نسبته (٢٩٣٠) شهيداً بينهم (٥٣٤) طفلاً و (١٩١) امرأة. كما بلغ عدد شهيدات انتفاضة الأقصى حتى ٨ كانون الثاني ٢٠٠٤ إلى (٣٤٨) شهيدة منهم (194) شهيدة في الضفة الغربية و ١٥٠ شهيدة في غزة، وشهيداتان في الأراضي المحتلة لعام 1948 تتراوح أعمارهن ما بين يوم إلى خمسين فما فوق، فضلا عن ولادة النساء على الحواجز العسكرية الإسرائيلية وانخفاض الخدمات الصحية، ففي تقرير صادر عن مؤسسات الأمم المتحدة العاملة في الأراضي الفلسطينية والمنشور في الصحف الفلسطينية المحلية في بداية آذار ٢٠٠٤ تمت الإشارة إلى أن القيود الإسرائيلية المفروضة أدت إلى ارتفاع عدد الولادات في المنازل من (٢,٨٪) قبل الانتفاضة إلى (١٤٪) عام ٢٠٠٢ وانخفاض في عدد النساء اللواتي يحظين بالرعاية ما بعد الولادة من (٦,٩٥٪) قبل الانتفاضة إلى (٤,٨٢٪) منذ العام ٢٠٠٠. وأشار التقرير المذكور إلى أن (٥٢) امرأة أنجبت على الحواجز وأن (١٩) امرأة منهن و (٢٩) مولوداً جديداً توفوا على الحواجز الإسرائيلية في الفترة من أيلول ٢٠٠٠ وحتى كانون الأول ٢٠٠٣. وأشار التقرير إلى أن ٩,٣٧٪) من الأمهات يجدن صعوبة في الوصول إلى الخدمات الصحية وأن ما نسبته (٣,٤٤٪) منهن ذكرن أن الصعوبات تكمن في الحصار ومنع التجول الإسرائيلي.

وفي تقرير مشابه أعده مركز الإعلام والتطوير الصحي قدر عدد النساء اللواتي ولدن على الحواجز بـ ٥٥ امرأة حتى نهاية كانون أول ٢٠٠٣ وأن (٣٣) توفين أثناء الولادة على الحواجز.

وقد قامت القوات الإسرائيلية باعتقال (٢٠٠) أسيرة فلسطينية خلال انتفاضة الأقصى (حسب ما ورد في تقرير لوزارة شؤون الأسرى والمحررين) حيث تم حجز هؤلاء النساء في ظروف صعبة، وفي رسالة وصلت إلى نادي الأسير الفلسطيني في آذار الحالي من الأسيرات في سجن تلموند والبالغ عددهن (٨٠) أسيرة تشرح الظروف الصعبة التي تتعرض لها الأسيرات حيث أن مديرية السجون الإسرائيلية نقلت قسماً كاملاً من الأسيرات في

سجن الرملة إلى سجن تلموند الذي لا تتوفر فيه شروط الحياة الإنسانية حيث أنه شديد البرودة والرطوبة ولا تتوفر فيه شروط الصحة العامة، حيث يتم حجز كل أسيرتين في زنزانة واحدة تفتقد للتهوية، وأشارت الرسالة إلى انتشار الحشرات والصراصير والفئران بشكل كبير يهدد حياتهن بانتشار الأمراض، كما أشارت الأسيرات إلى أن مساحة الساحة المخصصة للنزهة ضيقة لا تتجاوز ٤٢ متراً مربعاً واشتكت الأسيرات من نوعية الأكل المقدمة لهن حيث أنها سيئة وغير كافية، وتعاني بعض المعتقلات عدد من الأمراض (الديسك، والأزمات، وضيق التنفس، وتساقط الشعر) ويشار إلى أن هناك أكثر من معتقلة وضعت مولودها في السجن المذكور حيث يعاني المولود الجديد من مشاكل صحية في رجليه وترفض إدارة السجن تقديم الخدمات الصحية للأم وطفلها، هذا عدا عن حوادث اقتحام قوات الشرطة الأسرائيلة للسجون، ومنها سجن الرملة واعتدت على الأسيرات اللواتي كن ينفذن إضراباً عن الطعام احتجاجاً على وضع ألواح زجاجية بدل الشبك في قاعة الزيارة، وتسبب الاعتداء بإصابة عدد كبير من الأسيرات بالرضوض والكسور وحالات النزيف كما حدث مع الأسيرتين نور عمايرة وعطاف عليان، وكإجراء عقابي قطعت إدارة السجن الماء والكهرباء عن المعتقلات لعدة أيام.

ولا تتوقف معاناة الأسيرات عند هذا الحد فإن سياسة الإغلاق الدائم والحواجز الإسرائيلية وعدم التمكن من الحصول على تصاريح خاصة من الحكم العسكري تمنع ذوي الأسيرات من زيارة بناتهن في المعتقلات الإسرائيلية، وترافق عمليات الاعتقال إجراءات ترهيبية وقمعية بحق المعتقلات وأسرهن وأسر الجيران.

وفي تقرير أصدرته وزارة شؤون الأسرى والمحررين بشأن ما تتعرض له الأسيرات الفلسطينيات في المعتقلات الصهيونية، حيث يواجهن سلسلة من عمليات القمع والضرب والإذلال المستمر والتهديد بالاغتصاب من قبل السجانين والاعتداء على حياتهن، كما وأكدن قلقهن من تردي وضع المواليد الجدد داخل السجن، المحرومين من الرعاية الصحية، فضلاً عن تهديد الأسيرات بالاغتصاب، واسماعهن كلاماً بذيئاً يمس بمشاعرهن وكرامتهن، في وقت منعت فيه الأسيرات من أداء الصلاة الجماعية يوم الجمعة.

وتحـول الحواجـز الإسـرائيلية المنتـشرة على كافة مداخل والمدن والقرى والمخيمات دون تمكـن الفلـسطينيين مـن الحـركة الطبيعـية، ويـضطر الفلـسطينيون بمـا فيهم النساء إلى الالـتفاف علـى هـذه الحواجـز عـبر الجبال والوديان الوعرة، ولمسافات طويلة، وهي رحلة محفـوفة بالمخاطر ومليئة بالآلام فتضطر النساء الفلسطينات أسوة بأبناء الشعب الفلسطيني إلى المـشي مـسافات طـويلة حـاملات الأمـتعة والأطفـال .. الخ، وينتظرن ساعات طويلة على الحواجـز الإسـرائيلية تحـت أشـعة الـشمس الحارقـة أو البرد القارص دون أن تتوفر الحدود الدنـيا مـن الشرط الإنسانية حيث لا مياه للشرب أو أماكن لقضاء الحاجة أو الراحة، وهناك يمـارس الجـنود الإسـرائيليون سـاديتهم بمـنع المواطـنين مـن عـبور الحواجـز وإطـلاق قنابل الـصوت، والغـاز وهـو المنظـر الـذي ألفته شخصياً خلال ما يزيد على ثلاث سنوات على الحاجز العسكري بين رام الله وبيرزيت والذي أسكن بجواره.

وتـناقلت الـصحف الفلـسطينية خـلال فـترة الانتفاضـة شهادات حية عن أحداث تقـشعر لهـا الأبـدان حـيث أجبر الجنود في عدة حالات شبان فلسطينيين على تقبيل الفتيات علـى المـلأ، وعلـى حاجـز ديـر إبـزيع غرب رام الله تفاجئ المواطنون وبينهم عدد كبير من النساء بالجنود الإسرائيليون يستحمون خالعين ملابسهم كلياً على الحاجز العسكري المقام في منتصف الشارع العام.

ونقلـت صـحيفة صـوت النساء في العـدد (١٧٩) العديد من المقالات التي تفضح العديـد مـن انتهاكات الجيش الإسرائيلي ضد الفتيات الجامعيات والنساء عامة، منها مثلا ما حـدث في منطقة نابلس أجبر جنود أحد الحواجز معلمات صائمات على تناول الماء والأكل في شـهر رمضان وفي أوائل آذار الحالي أجبر جنود الاحتلال عدداً من الفتيات على الدخول إلى غـرفة مهجـورة علـى حاجـز عطارة شمال رام الله وأفلتوا عليهن الأفاعي مما دب فيهن الـرعب، وتتعـرض طالـبات الجامعـات تحديداً إلى سيل من التحرشات الجنسية والكلمات البذيـئة مـن قبل جنود شبان على الحواجز المؤدية إلى الجامعات مثل حاجز برزيت، وحاجز الحمـرا في الأغـوار والحواجـز عامـة، وفي تـاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٣ قامـت قـوات الاحـتلال الإسـرائيلي بتعـرية المواطـنين علـى الحاجـز العسكري المقام على الطريق الذي يصل مدينة

طوباس بمنطقة الفارعة عند مفترق بلدة طمون حيث تعمد الجنود إيقاف السيارات والحافلات على الحاجز وأمروا من بداخلها بالنزول منها قبل أن تجبرهم على خلع ملابسهم وهذه الممارسات طالت النساء، وهذا الانتهاك الفاضح لاتفاقية مناهضة التعذيب المنبثقة عن الأمم المتحدة الجمعية العامة ١٩٨٧م التي ألزمت الدول المتعاقدة على عدم التنكيل بالمدنين ووقف كافة أشكال التعذيب.

وعلى أحد الحواجز في غزة بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٣ قدمت محكمة احتلالية لائحة اتهام ضد مجندة إسرائيلية تخدم في الجيش الإسرائيلي بسبب إجبارها لمواطنة على شرب مادة سامة تحت تهديد السلاح وكانت المجندة تقوم بمهام التفتيش عندما أجبرت المواطنة على تجرع سائل سام كانت تحمله في زجاجه مما أدى إلى إصابتها بجروح في حنجرتها ومعدتها وبحالة من التشنج نقلت على أثرها إلى المستشفى، (نقلاً عن مجلة نادي الأسير الفلسطيني، العدد الثالث صفحة ٧).

ويشكل جدار الفصل العنصري المقام على أراضي الضفة الغربية، الالتهام الأوسع للأراضي الفلسطينية، فيما يشكله حائط إسمنتي يرتفع إلي ثمانية أمتار أو أكثر على امتداد المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية ومحاط بأسلاك شائكة وخنادق وأبراج مراقبة من الجانبين وتقدم فكرة إنشاء الجدار على مبدأ سياسي وعسكري هدف إلى فصل الفلسطينيين عن بعضهم البعض، وفصلهم بالتالي عن أراضيهم المصادرة بآلاف الدونمات.

وفي نفس السياق: أشار استطلاع الرأي الذي نظمته جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية في نهاية عام ٢٠٠٢ حيث أظهرت نتائج هذا الاستطلاع ارتفاع نسبة النساء المعنفات في المجتمع الفلسطيني إلى (٨٦٪) جراء العنف الإسرائيلي والذي تمثل وبالبطالة والإغلاق والحصار.

وخلاصة ما سبق، هي على النحو الآتي:

١- الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، من قتل وتعذيب واغتيال وأبعاد وممارسة كافة أشكال القمع واستهداف المدنيين لهو مؤشر على خرق لكافة الاتفاقيات وكافة القوانين الدولية.

٢- استخدام النساء والأطفال المدنيين كدروع بشرية أثناء الاعتقال أو استهدافهم على الحواجز والتنكيل بهم هو انتهاك فاضح لاتفاقية مناهضة التعذيب المنبثقة عن الأمم المتحدة والجمعية العام ١٩٨٧ والتي ألزمت الدول المتعاقدة على عدم التنكيل بالمدنيين وحذرت من استخدام التجارب والمواد السامة ومناهضة كافة أشكال التعذيب.

٣- تقوم إسرائيل بخرق فاضح للقانون الإنساني الدولي من خلال قيامها بالعقوبات الجماعية كالحصار ومنع التجول ومنع التنقل.

٤- عمدت إسرائيل إلى منع الفلسطينيين من الوصول إلى أماكن العمل وحدت من قدرتهم على تلقي الخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية.

٥- لا تقوم الحكومة الإسرائيلية وسلطات جيش الاحتلال بالتحقيق بالأحداث والشكاوي مما يمنح جنود جيشها حصانة مطلقة لممارسة أشكال العنف السادية.

٦- تعمل إسرائيل وبشكل ممنهج على عرقلة عمل المؤسسات الإنسانية والقانونية والدولية بما فيها هيئة الصليب الأحمر ومؤسسات الأمم المتحدة وغيرها، ويمكنها من الوصول إلى أماكن الأحداث على اعتبار أنها مناطق عسكرية مغلقة.

٧- تصر إسرائيل على رفض على أي شكل من أشكال التواجد الدولي في الأراضي المحتلة أو استقبال لجان التحقيق الدولية وخاصة التي أقرها مجلس الأمن الدولي.

وأدرج التقرير التوصيات، التي تتشكل بالمطالب الآتية:

- ضرورة بذل أقصى الجهود من المؤسسات الحقوقية القانونية الدولية والإقليمية لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني.
- المطالبة بالعمل على الدعم المتواصل من أجل مناهضة وإزالة جدار الفصل العنصري لما له من تأثير ومعاناة كما ورد في سياق ورقة العمل.
- الضغط على الحكومات من أجل العمل على إلزام الحكومة الإسرائيلية بالالتزام بتطبيق القرار الدولية والتي هي طرف في التعاقد على كافة الاتفاقيات

(http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=396)

وفي إطار ما تتعرض له المرأة الشيشانية من حالات الاغتصاب بسبب النزاعات المسلحة، وفي إطار عمليات تمشيط أمنية يصفها الروس بالتطهير، يقوم الجنود الروس باغتصاب الشيشانيات وقتل الحوامل.

وفي هذا الصدد تصف جمعية مراقبة حقوق الإنسان في نيويورك في تقرير لها -بالتعاون مع جمعية العلاقات الروسية الشيشانية- قرية شيشانية تعرضت لعملية تطهير من قبل الجنود الروس قائلة: إن تلك العملية تتجاوز كل أشكال العنف والقهر الممارس ضد المرأة والشعب الشيشاني.

كما يذكر التقرير أن سكان القرية تم مطاردتهم إلى حقل؛ حيث أجبروا على مشاهدة النساء وهن يغتصبن، وعندما حاول أزواجهن الدفاع عنهن كبلت أيدي ٦٨ منهم ووضعوهم في شاحنة مصفحة واغتصبوهم أيضًا.

وما زالت المرأة الشيشانية تعاني من التجاهل من قبل المنظمات الإنسانية والمجتمع الدولي والشعوب الإسلامية بالرغم من حالة الحرب والحصار والتهجير وحياة المخيمات واستهداف الجنود الروس لها على الدوام.

(http://www.islamonline.net/arabic/adam/2003/04/article06.shtml)

العنف ضد الطفل عالمياً

يعد واقع العنف ضد الطفل عالميا، مؤلم للغاية، ويتضمن حقائق مأساوية، في هذا الصدد في اطر اجتماعية وسياسية وعسكرية وغير ذلك، فقد أظهرت بعض التجارب والأبحاث، في أغلب دول العالم، أن واحداً من كل أربعة أطفال يتعرض للعدوان الجنسي، والأطفال في سن العاشرة أكثر عرضة من غيرهم لهذا العنف.

فالاعتداء على الأطفال وإهمالهم مشكلة خطيرة ويقدر الخبراء أن مليونين إلي أربعة ملايين طفل في الولايات المتحدة يتعرضون للاعتداء كل سنة، وكما يقتل آلاف

الأطفـال علـى يـد أحد والديهم أو مربيهم كل عام ويبعد عشرات الآلاف من الأطفال كل سنة عن أسرهم التي ولدوا فيها ليعيشوا في بيوت الرعاية.

وهـناك مـا يعـرف بـسياحة الجـنس على مستوى العالم، التي تتركز على العنف ضد الطفـل، فقـد جـاء في تقريـر الـسفارة الأمريكية في دمشق، المنشور في الانترنيت بتاريخ/ ١٤ حزيـران/ ٢٠٠٤/ معلـومات عـن الاسـتغلال الجنـسي الـتجاري للأطفال، تلك الظاهرة المتنامية اليوم، والمقصود بها الذين يسافرون من بلادهم إلى دول أخرى بهدف ممارسة الجنس التجاري مع الأطفال، الأمر الذي يسمى بسياحة جنس، وما يدعم هذه الجريمة، وفق التقرير المذكـور، ضـعف تطبيق القانون، وشبكة المعلومات الالكترونية (الانترنيت، وسهولة التنقل، والفقر.

ويـسافر عـادة سياح جـنس الأطفال من بلادهم الى بلاد نامية، وعلى سبيل المثال: يسافر السياح اليابانيون من بلادهم الى تايلاند، بينما يسافر الأمريكيون الى المكسيك وأمريكا الوسـطى، وغـير ذلـك، ونظـراً لاسـتفحال هـذه الظاهـرة فإن المنظمات الحكوميـة، بشكل خـاص، قـد بـدأت في مـواجهة هـذا الموضـوع، إذ انعقـد المؤتمـر العالمـي الخـاص بمكافحة الاسـتغلال الجنـسي الـتجاري في اسـتكهولم عـام ١٩٩٦، وفي يوكوهاما عام ٢٠٠١ بهدف جـذب الانتـباه الدولي لهذه الظاهرة، وقد شكّلت منظمة السياحة العالمية لجنة عمل لمكافحة الاسـتغلال الجنـسي الـتجاري، وأعلنت عن نظام انضباط عالمي عام ١٩٩٩، ويذكر التقرير انه في السنوات الخمس الماضية هناك زيادة عالمية في ملاحقة جرائم سياحة الأطفال الجنسية، وتبـنّت اليوم اثنتان وثلاثون دولة قوانين، خارجة عن نطاق التشريع الوطني، تسمح بملاحقة مواطنـيها علـى الجـرائم الـتي تـرتكب من هذا النوع، في الخارج، بصرف النظر إذا كان فعل الـشخص يعـدّ جـريمة في الدولـة الـتي حـدث فـيها أم لا، وقـد اتخـذت عـدة دول كفرنسا والـبرازيل وايطاليا والسويد وكمبوديا واليابان خطوات في هذا المجال، منها ما يدخل في باب التوعـية، ومـنها مـا يـتعلق بمعاقـبة المجرمين، فأعادت الولايات المتحدة، مثلاً، العام الماضي، العمـل بقانـون حماية ضحايا الاتّجار بالبشر، وقانون الحماية اللذين يمكن أن يدعما الوعي

مـن خلال تطوير وتوزيع المعلومات الخاصة بسياحة جنس الأطفال، ورفع العقوبات لتصل إلى ٣٠ عاماً من السجن.

http://www.marmarita.com/nuke/modules.php?name=News&file=article&sid=3049

وهـناك عـدد مـن الإحـصاءات العالمـية في قـضايا العنف ضد الطفل، أشارت إليها منظمة اليونسيف (http://www.unicef.org) أدرجها على النحو الآتي:

- تشكل نسبة (٧٠٪) من الاعتداءات على الأطفال، مصدر الاعتداء فيها هم الآباء.
- هـناك نسبة ما بين (٥٠-٧٠٪) من الرجال الذين يعتدون على نسائهم يعتدون على أطفالهم.
- هـناك نـسبة (٧٠٪) مـن النـساء اللاتـي يتعرضون للاعتداء يُعلن أن المعتدي يعتدي على أطفالهم ايضاً.

العنف ضد الطفل ومنظمات حقوق الإنسان الدولية

أشارت منظمات حقوق الإنسان الدولية بشأن العنف ضد الطفل بأن ظاهرة العنف المشينة ضـد الأطفـال علـى مستوى العالم تشبه رواية من روايات الرعب التي كثيراً ما تظل محبوسة في طي الصدور؛ إذ يُستَخدم العنف بِغِلٍّ وبسوء قصد سافر ضد أضعف أفراد المجتمع وأعجـزهم عـن حمايـة أنفـسهم، وهـم الأطفـال في المـدارس والملاجئ والشوارع ومخيمات اللاجـئين ومـناطق الحـرب والمعـتقلات والحقول والمصانع. وقد قامت منظمة "مراقبة حقوق الإنـسان" بالتحقـيق في انـتهاكات حقوق الإنسان التي يكابدها الأطفال، فوجدت نمطاً مطرداً يـبعث علـى الانـزعاج؛ ففـي جمـيع مـناطق العـالم يتعرض الأطفال في كل جانب تقريباً من جـوانب حـياتهم للعـنف المفـرط، الذي يأتي في أغلب الأحيان من جانب الأفراد المسؤولين عن حمايتهم والحفاظ على سلامتهم.

وفي تقاريراليونـسيف، فقـد أشـارت إلى أن الأطفال كثيراً ما يتعرضون للعنف على أيدي الشرطة أو غيرهم من المسؤولين عن تنفيذ القانون، ويمثل أطفال الشوارع بصفة خاصة

هـدفاً سهلاً للإيذاء بسبب فقرهم وصغر سنهم وجهلهم بحقوقهم في أغلب الأحوال، وعدم وجـود الكبار الذين يمكن أن يقصدوهم طلباً للعون؛ فيتعرضون للضرب على أيدي الشرطة لابتـزاز المـال، وربمـا تُجـبر فتـيات الـشوارع علـى ممارسة الجنس لتجنب القبض عليهن أو لإطـلاق سراحهن من حجز الشرطة. وهكذا يتعرض أطفال الشوارع الذين ينظر إليهم على أنهم متشردون أو مجرمون للتعذيب والتشويه والتهديد بالقتل والإعدام خارج نطاق القضاء.

وكـثيراً مـا تحتجـز الشرطة الأطفال بدون موجب قانوني، ثم تخضعهم للاستجواب والـتعذيب بـصورة وحـشية بغرض انتزاع الاعترافات أو المعلومات منهم. وعندما يتم إيداع الأطفـال في مؤسـسات الأحـداث أو الإصـلاحيات الجنائـية فإنهم كثيراً ما يتعرضون لسوء المعاملـة والإيـذاء، ويقاسـون العقـوبات البدنـية الشديدة والتعذيب والسخرة والحرمان من الطعـام والعزل والتقييد والاعتداءات الجنسية والتحرش. وفي كثير من الحالات يتم احتجاز الأطفال مع الكبار مما يعرضهم لمزيد من مخاطر الانتهاكات البدنية والجنسية.

أمـا في المـدارس، الـتي يفـترض أنها تقوم على رعاية نمو الطفل، فقد يصبح العنف جـزءًا معـتاداً مـن تجـربة الطفـل في المدرسـة؛ ففـي كـثير من البلدان لا يزال العقاب البدني مـسموحاً بـه كأسـلوب لفـرض "الانـضباط" في المـدارس، حـيث يتعـرض الأطفـال للضرب بالعـصي والـصفع والجلـد ممـا يلحـق بهـم الكدمات والجروح، ويذيقهم الهوان والمذلة، بل يـؤدي في بعـض الأحـيان إلى إصـابات خطيرة أو إلى الوفاة. وتتعرض الفتيات بصفة خاصة لخطر العنف الجنسي من جانب المدرسين والطلبة الذكور، وقد يتعرضن للتحرش أو المداعبة الجنـسية، أو الألفـاظ النابية، أو الاعتداء، أو الاغتصاب. وقد يُستهدف الطلبة أيضاً لأسباب تـرجع إلى الـنوع أو العنـصر أو العـرق أو الـدين أو الجنـسية أو الطـبقة الاجتماعية أو الميل الجنسي أو الفئة الاجتماعية التي ينتمون إليها أو غير ذلك من الأوضاع المميزة لهم. ويتعرض الطـلاب الذكـور والإنـاث مـن ذوي المـيول الجنـسية المِثلية والطلاب الذين ينجذبون لكلا الجنـسين، أو الـذين يـشذون عـن المعـايير النمطـية السائدة في المجتمع للذكورة والأنوثة، إلى الـضرب والـركل والبـصق علـيهم وإحـداث جـروح في أجـسامهم بالمـدى، كما يتعرضون لمحاولات خنقهم ودفعهم للارتطام بخزانات حفظ الأغراض أو جرِّهم على السلالم.

وكثيراً ما يضطر الأطفال العاملون إلى أن يكدحوا ساعات طويلة للقيام بأعمال مضنية في ظروف شاقة ومؤذية؛ ويمثل الإيذاء البدني بالنسبة لكثير منهم سمة مألوفة من سمات حياتهم اليومية. وكثيراً ما يتعرض الأطفال العاملون إلى الضرب بسبب بطئهم في العمل، أو ارتكابهم بعض الأخطاء، أو التأخر في الوصول إلى العمل، أو الظهور بمظهر الإعياء، أو لمجرد تخويفهم. أما من يلوذ منهم بالشرطة فراراً من هذه الانتهاكات فقد يُعاد إلى صاحب العمل على الفور.

ويتم إيداع مئات الآلاف إن لم يكن الملايين من الأطفال الذين تيتموا أو تخلى عنهم ذويهم في الملاجئ وغيرها من المؤسسات غير العقابية، وبينما يعتمد هؤلاء الأطفال على الدولة لإعالتهم ورعايتهم، فإن الكثيرين منهم يكابدون صنوفاً مروعة، بل مميتة أحياناً، من الإيذاء والإهمال؛ فقد يتعرضون للضرب أو الانتهاك الجنسي أو التقييد داخل أجولة من القماش أو الربط إلى قطع الأثاث، فضلاً عن المعاملة المهينة التي يلقونها من جانب العاملين بهذه المؤسسات؛ فلا عجب أن نجد نسبة الوفيات في بعض هذه الدور وقد ارتفعت إلى معدلات مذهلة.

وفي حالات الصراع المسلح يتعرض الأطفال بالآلاف للقتل والتشويه والاغتصاب والتعذيب كل عام، ويتعرض مئات الآلاف من الأطفال الذي يتم تجنيدهم لمخاطر الإصابات والعاهات والوفاة في أثناء القتال، بالإضافة إلى الانتهاك البدني والجنسي من جانب رفاقهم من الجنود أو قوادهم. أما الأطفال الذين يفرون من مناطق الحروب ليصبحوا في عداد اللاجئين فيواجهون المخاطر بدورهم، لأنهم يظلون معرضين للانتهاكات البدنية والعنف الجنسي والهجمات التي تتم عبر الحدود.

ولا يزال العنف مستمراً ضد الأطفال بسبب السكوت عنه والتقاعس عن اتخاذ إجراء حياله؛ فقد وجدت منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" في حالات تعرض الأطفال للانتهاكات البدنية أن مرتكبي هذه الانتهاكات يفلتون من العقاب في كل الأحوال تقريباً. فالمدرسون الذين اعتدوا جنسياً على تلاميذهم أو تسببوا في حدوث إصابات لهم ما زالوا في مواقعهم بمهنة التدريس، وضباط الشرطة الذين عذبوا أطفالاً أمام الشهود ما زالوا في

الخدمة، والعاملون بالملاجئ الذين يعرضون الأطفال لمستويات مروعة من القسوة والإهمال لم يتحملوا عواقب ما جنوه؛ بل حتى المسؤولين عن وفاة أي طفل نادراً ما تقام ضدهم أي دعوى قضائية، وإذا أقيمت فقلما تنتهي بإدانتهم. أما مجرمو الحرب الذين يجندون الأطفال أو يغتصبونهم أو يقتلونهم فيبقون مطلقي السراح.

وهناك أسباب عديدة تكمن وراء الإفلات من العقاب في هذا الصدد، منها أن الأطفال ليس أمامهم إلا سبل محدودة للإبلاغ عن العنف الذي يمارس ضدهم، خصوصاً أولئك الأشد عرضة للانتهاكات؛ وقد يحجمون عن الكشف عما لقوه خوفاً من التعرض للانتقام، كما أن الشكاوى التي تأتي من الأطفال كثيراً ما لا تؤخذ على محمل الجد لكونها مقدمة من أطفال!!

وحتى عندما يبلغ الأطفال عن الانتهاكات أو عند الكشف عنها فنادراً ما يتم التحقيق مع مرتكبيها أو تحريك الدعوى الجنائية ضدهم. وقد يكون أصحاب المراكز المسؤولة عن اتخاذ إجراءات في هذا الصدد ضالعين في تلك الانتهاكات، ومن ثم غير مستعدين لتأديب زملائهم أو مقاضاتهم، أو يخشون عواقب الدعاية السلبية التي تترتب على ذلك. كما أن الكبار الذي يشهدون الانتهاكات التي يرتكبها زملاؤهم ويحاولون الإبلاغ عنها ربما يفصلون من عملهم لأنهم جهروا بما شهدوه.

وتنص اتفاقية حقوق الطفل، التي صادقت عليها كل دول العالم تقريباً، على إلزام الحكومات بحماية الأطفال من كل أشكال العنف المادي والمعنوي. إلا أن ملايين الأطفال ما زالوا يعانون من العنف والإيذاء؛ وكثيراً ما يُنظر إلى أعمال العنف في هذا الصدد على أنها حوادث مؤسفة ولكنها فردية منعزلة وليست ظاهرة عالمية تستدعي ردود فعل دولية متضافرة.

ويستند هذا التقرير إلى التحقيقات التي أجرتها منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" منذ عام ١٩٩٦ عن العنف ضد الأطفال؛ فقد أجرينا تحقيقات تفصيلية في ثماني عشرة دولة في جميع أنحاء العالم؛ وفي إطار هذا التحقيقات أجرينا مقابلات مع مئات الأطفال من ضحايا العنف وذويهم، ومع المنظمات غير الحكومية وغيرها من دعاة حقوق الإنسان، والمسؤولين

وعدد من المصادر الأخرى. وقد غيرنا أسماء الأطفال في هذا التقرير حماية لخصوصيتهم، ما لم ترد الإشارة إلى غير ذلك.

وركزت منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" في تحقيقاتها عن العنف ضد الأطفال على الانتهاكات المرتكبة في النطاق الحكومي، وإن كانت هناك جهات خاصة أيضاً تنتهك حقوق الطفل. وينصب التركيز هنا على انتهاكات حقوق الطفل التي يقترفها موظفو الدولة، والتي تقع في المؤسسات التي تديرها الدولة أو تقدم الدعم لها مثل المدارس. كما يسلط التقرير الضوء على الانتهاكات التي تنبع من تقاعس الحكومات عن اتخاذ خطوات كافية لحماية الأطفال من العنف في مقر العمل وفي الشارع وفي ظروف الصراع المسلح.

وتعتبر منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" أن الطفل هو أي شخص دون الثامنة عشرة حسبما جاء في اتفاقية حقوق الطفل التي تعرف الطفل على أنه "كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه".

وقدمت منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" التوصيات التالية للأمم المتحدة والحكومات الوطنية، وأدرجها على النحو الآتي:

❖ توصيات للأمم المتحدة:

- يجب على الجمعية العامة أن تطلب من الأمين العام إجراء دراسة دولية مستفيضة عن قضية العنف ضد الأطفال، بحيث تكون على نفس القدر من الدقة والتأثير الذي اتسم به تقرير "تأثير الصراع المسلح على الأطفال: تقرير الخبيرة غراسا ماشيل إلى الأمين العام". وتمشياً مع توصيات اللجنة المعنية بحقوق الطفل ينبغي أن تقوم هذه الدراسة بفحص الأسباب الكامنة وراء العنف ضد الأطفال ومدى هذا العنف وآثاره، وأن تقدم خطة عمل واضحة بشأن القضاء على العنف ضد الأطفال.
- يعد من مهام مكتب مفوضية حقوق الإنسان تنظيم ورشة عمل خاصة لكل الأجهزة ذات الصلة المنشأة بموجب معاهدات، والإجراءات الخاصة، وهيئات الأمم المتحدة و وكالاتها المعنية لدراسة موضوع العنف ضد الأطفال والسبل

التي يمكن من خلالها لآليات حقوق الإنسان القائمة بالأمم المتحدة أن تتعامل مع هذه القضية بصورة فعالة.

- ينبغي على وكالات الأمم المتحدة أن تنظم حملة كبرى للقضاء على العنف ضد الأطفال، وعلى صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أن يتولى دور القيادة في القيام بهذه الحملة، بدعم فعلي من منظمة الصحة العالمية ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ومنظمة العمل الدولية وغيرها من المنظمات المعنية بالموضوع.
- يعد من مهام لجنة حقوق الإنسان أن تعين مقرراً خاصاً معنياً بالعنف ضد الأطفال، بغرض جذب الانتباه الدولي المطلوب للعنف المستشري ضد الأطفال، ومتابعة الالتزام بالمعايير التي تحمي الأطفال والتحقيق في الانتهاكات وتقديم التوصيات الخاصة برفع درجة حماية الأطفال من العنف والانتهاكات.
- ينبغي على المقرر الخاص المعني بالحق في التعليم أن يبذل جهوداً خاصة لدراسة مسألة العقاب البدني والتحرش والعنف في المدارس وتأثير هذه الأمور على حق الطفل في التعليم، كما تنص على ذلك المادتان ٢٨ و٢٩ من اتفاقية حقوق الطفل والاتفاقية الخاصة بمكافحة التمييز في مجال التعليم.
- يجب على المقررين الخاصين المعنيين، ومنهم المقرر الخاص المعني بالتعذيب والمقرر الخاص المعني بالعنف ضد المرأة، أن يعطوا مسألة العنف ضد الأطفال أولوية خلال تحقيقاتهم، وأن يدرجوا نتائج هذه التحقيقات فيما يصدرونه لاحقاً من تقارير.

❖ **توصيات للحكومات الوطنية**

- اعتماد تشريعات جديدة أو تعديل التشريعات القائمة، حسب الضرورة، للقضاء على كافة صور العنف ضد الأطفال، بما في ذلك العقاب البدني في المدارس والمعتقلات والمؤسسات الأخرى، وضمان التنفيذ الفعال لهذه التشريعات.

- التحقيق بصورة وافية وفورية في حالات العنف ضد الأطفال واتخاذ الإجراءات المناسبة ضد المسؤولين عنها، بما في ذلك الإرشاد ومراقبة السلوك والإيقاف عن العمل وإنهاء الخدمة. كما ينبغي توجيه تهم جنائية ضد الجناة متى كان ذلك ملائماً.
- إعداد برامج تدريبية عن حقوق الطفل للمدرسين ونظّار المدارس والشرطة والعاملين في المؤسسات الإصلاحية والمؤسسات غير العقابية، وغيرهم ممن يعملون لخدمة الطفل. وينبغي أن تغطي هذه البرامج كيفية التعامل مع الأطفال، بما في ذلك أساليب التأديب التي تخلو من العقاب البدني، إلى جانب مجموعة من القضايا الأخرى مثل العنف الجنسي والتحرش والتمييز على أساس النوع أو الميل الجنسي.
- توعية الأطفال بحقوقهم الإنسانية وضمان إلمامهم بها.
- وضع إجراءات فعالة وسرية لتلقي الشكاوى المقدمة من الأطفال وأسرهم، وضمان قيام سلطة خارجية مستقلة بالتحقيق في هذه الشكاوى على وجه السرعة وبصورة وافية.
- عدم إيداع الأطفال بالإصلاحيات إلا في حالة عدم وجود بديل معقول لذلك، وضمان عدم احتجاز الأطفال مع الكبار مطلقاً.
- ضمان تلبية ظروف الاحتجاز والحبس للمعايير الدولية.
- عدم تطبيق عقوبة الإعدام مطلقاً على المجرمين الذين تقل أعمارهم عن الثامنة عشرة وقت ارتكاب الجريمة.
- نقل الأطفال الذين تخلى عنهم ذووهم والأطفال المعاقين من الإصلاحيات حيثما أمكن، وإعادة تخصيص الموارد الموجهة لمؤسسات الرعاية لإيجاد شكل إنساني بديل من الرعاية لا ينطوي على التمييز.
- ضمان حماية الأطفال من أخطار الصراع المسلح والالتزام الصارم بأحكام القانون الإنساني الدولي.

- إنهـاء كافـة صـور تجنـيد الأطفال في صفوف القوات المسلحة، والمصادقة على الـبروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن إشراك الأطفال في الـصراعات المـسلحة وتنفيذ هذا البروتوكول، وإصدار إعلان ملزم ينص على تحديـد سـن الثامـنة عـشرة كحـد أدنى للتطوع الاختياري في القوات المسلحة الوطنية.
- المصادقة على اتفاقية منظمة العمل الدولية رقم ١٨٢ بشأن أسوأ صور تشغيل الأطفال.

تقارير اليونسيف في قضايا العنف ضد الطفل:

وتضمنت منظومة تقارير اليونسيف، في عملية استقراء بحثية لها على الآتي:

١. يوجد العنف فى المدارس، والمؤسسات (مثل ملاجىء الأيتام وغيرها من نزل الرعاية المقـيمة)، وفـى الشوارع، وفى أماكن العمل، وفى السجون. ويعانى الأطفال العنف فى البيت، وداخل أسرهم، ومن أطفال آخرين. وتفضى نسبة صغيرة من العنف ضد الأطفـال إلى المـوت، ولكـن العـنف فى أغلب الأحيان لا يترك علامات مرئية. ومع ذلك، فإنه يمثل إحدى أخطر المشكلات المؤثرة على أطفال اليوم.

وهـناك قـدراً كـبيراً من العنف هو في واقع الأمر مستتر، وقد لا يجد الأطفال القدرة علـى الإبـلاغ عن أعمال عنف خشية التعرض للعقاب من مرتكب الإساءة ضدهم. وقـد لا يـرى الطفـل ولا مـرتكب الإسـاءة أى شىء غير عادى أو خطأ فى إخضاع الطفـل للعـنف. وقد لا يعتبرون أعمال العنف فى حد ذاتها عنفا على الإطلاق، بل ربما ينظرون إليها كعقاب ضرورى له ما يبرره. وقد يشعر الطفل الضحية بالخجل أو بالـذنب، معـتقدا أن العـنف كـان مـستحقا. وكـثيرا مـا يؤدى ذلك بالطفل إلى عدم الرغبة فى الحديث عنه.

وينتـشر العـنف فـى المجـتمعات الـتي يـنمو الأطفـال فيها، فهم يطالعونه فى وسائل الإعـلام، فهـو جزء من المعايير الاقتصادية والثقافية والمجتمعية التي تصنع بيئة الطفل،

وجذروه تضرب فى أعماق القضايا مثل علاقات القوى المرتبطة بنوع الجنس، والاستعباد وغياب الكفيل الرئيسى، والمعايير المجتمعية التي لا تحمى أو تحترم الطفل، وتتضمن العوامل الأخرى المخدرات، وتوافر الأسلحة النارية، والإفراط فى تعاطى المشروبات الكحولية، والبطالة، والجريمة، والإفلات من العقوبة، وثقافات الصمت.

وقد يكون للعنف تداعيات خطيرة بالنسبة لتنمية الأطفال. وقد يؤدى فى أسوأ الحالات إلى الوفاة أو الإصابة، غير أنه قد يؤثر أيضا على صحة الأطفال، وقدراتهم على التعلم أو حتى استعدادهم للذهاب إلى المدرسة على الإطلاق، وقد يؤدى بالأطفال إلى الهروب من البيت، مما يعرضهم إلى مزيد من المخاطر، كما أن العنف يدمر الثقة بالنفس لدى الأطفال، وقد يقوض قدرتهم على أن يصبحوا آباء جيدين في المستقبل. ويواجه الأطفال الذين يتعرضون للعنف خطرا كبيرا من التعرض للاكتئاب والانتحار فى وقت لاحق من الحياة.

وفيما يلي نبذة احصائية حول واقع العنف ضد الطفل عالمياً:

- تقدر منظمة الصحة العالمية أن (٤٠) مليون طفل أقل من (١٥) سنة يعانون سوء المعاملة والإهمال، ويحتاجون إلى رعاية صحية واجتماعية.
- أوضح مسح أجرى فى مصر أن (٣٧ ٪) من الأطفال يفيدون بأن آباءهم ضربوهم أو ربطوهم بإحكام، وأن ٢٦ في المائة أبلغوا عن إصابات مثل الكسور، أو فقدان الوعي، أو إعاقة مستديمة نتيجة لذلك.
- أبلغت (٣٦٪) من الأمهات الهنديات الباحثين القائمين بالمسح بأنهن ضربن أطفالهن بشيء ما خلال الأشهر الستة الماضية. وأفادت (١٠٪) أنهن ركلن أطفالهن، و (٢٩٪) بأنهن جذبن أطفالهن من شعورهن، و (٢٨٪) بأنهن ضربن أطفالهن بقبضة اليد، و (٣٪) بأنهن عاقبن أطفالهن بوضع الشطة الحمراء فى أفواههم.
- أوضح مسح أجرى فى الولايات المتحدة عام ١٩٩٥ بأن خمسة فى المائة من الآباء الذين تناولهم البحث اعترفوا بأنهم يؤدبون أطفالهم من خلال واحدة أو أكثر من

الطـرق التالية: إصابة الطفل بشيء ما، وركل الطفل، وضرب الطفل، وتهديد الطفل بسكين أو مسدس.

- تشير إحصائيات حديثة لشرطة جنوب أفريقيا بأن (٢١) ألف حالة اغتصاب لأطفال أو اعـتداء علـيهم تم الإبلاغ عنها، ارتكبت ضد أطفال صغار حتى سن تسعة أشهر. ووفقا للتقديرات، فإن واحدة فقط من كل ٣٦ حالة اغتصاب يتم الإبلاغ عنها.

٢. يعانـي ملايـين الأطفـال الـذين يعملـون، سـواء كانـوا يعملون بصفة قانونية أو غير قانونـية، مـن العـنف ـ الجسدي والجنـسي والنفسي ـ في جميع المناطق، فقد يُستخدم العـنف لإكـراه الأطفال على العمل أو لعقابهم أو للسيطرة عليهم في مكان العمل،، ومعظـم العنف الذي يُمارس في مكان العمل يكون على يد أرباب العمل، وإن كان الـذين يمارسـون العـنف قـد يـشملون أيـضاً الـزملاء في العمل والرؤساء في العمل والزبائن والشرطة والعصابات الإجرامية والوسطاء، وتشتغل فتيات كثيرات بالخدمة المنزلية، وهي خدمة كثيراً ما لا تكون خاضعة لأنظمة قانونية، وهن يُبلِغن عن إساءة معاملـتهن، مـثل تعرضـهن للعقـاب الجـسدي والإهانـة والتحرش الجنسي، كما أن اسـتغلال الأطفـال في الـبغاء أو في المواد الإباحية ليس شكلاً من أشكال العنف بحد ذاتـه فحـسب، بـل يُعـرِّض أيضاً الأطفال المُستَغلين لخطر العنف الجسدي والنفسي، فضلاً عن الإهمال.

٣. تتوفـر لـدى الأسـرة أكـبر إمكانـية لحمايـة الأطفـال والـتكفل بـسلامتهم الجـسدية والعاطفـية، وتقـرّ معاهـدات حقوق الإنسان بالحق في حياة وبيت خاصين وأسريين، وفي الـسنوات الأخيرة جرت عملية توثيق للعنف الذي يرتكبه الوالدان وغيرهما من أفـراد الأسـرة ضـد الأطفـال، وقـد يشمل ذلك العنف الجسدي والجنسي والنفسي، فـضلاً عـن الإهمـال المتعمد، وكثيراً ما يتعرض الأطفال لعقاب جسدي أو قاسٍ أو مهـين في سياق عملـية التأديب، وتعتبر الإهانات اللفظية والشتائم والعزل والرفض والـتهديد والإهمـال العاطفي والاستصغار جميعها أشكال من أشكال العنف التي قد تلحـق الـضرر بـسلامة الطفـل، وكثيراً ما يتعرض الأطفال لإيذاء جنسي من جانب

شخص يعرفونه، غالباً ما يكون أحد أفراد أسرتهم، وتُفرض عموماً ممارسات تقليدية ضارة على الأطفال في سن مبكرة من جانب الأسرة أو القادة المجتمعيين، ويستتر قدر كبير من هذا العنف وراء الأبواب المغلقة أو بسبب العار أو الخوف.

٤. تضطلع المدارس بدور هام في حماية الأطفال من العنف، وتعرّض البيئات التعليمية الكثير من الأطفال إلى العنف، بل وحتى أنها تلقنهم العنف، فهم يتعرضون للعقاب البدني، ولأشكال قاسية ومهينة من العقاب النفسي، والعنف الجنسي، والعنف القائم على نوع الجنس والبلطجة. ومع أن (١٠٢) من البلدان قد حظرت العقاب البدني في المدارس، فإن إنفاذ هذا الحظر لا يتم غالباً على نحو كاف،والشجار والبلطجة مثالان أيضاً على العنف ضد الأطفال في المدارس، وكثيراً ما ترتبط البلطجة بالتمييز ضد التلاميذ الذين ينحدرون من أسر فقيرة أو من فئات مهمشة، أو الذين تكون لديهم خصائص شخصية معينة، كالمظهر أو الإعاقة، وتتأثر المدارس أيضاً بالأحداث التي تقع في المجتمع الأوسع نطاقاً، ومن ذلك مثلاً ثقافة العصابات، أو النشاط الإجرامي، أو المرتبط بالعصابات وبالمخدرات.

٥. يقيم ما يصل إلى (٨) ملايين من أطفال العالم في دور للرعاية. وقلة من الأطفال الذين يوجدون في تلك الدور لعدم وجود والدين لديهم؛ أما معظم الأطفال الموجودين فيها يكون بسبب إعاقتهم، أو تفكك أسرهم، أو العنف في منازلهم، أو أوضاع اجتماعية واقتصادية كالفقر، ويواجه أطفال في بعض المؤسسات عنفاً من مقدمي الرعاية ومن غيرهم من الأطفال، فقد 'يؤدِّب' العاملون في تلك الدور الأطفال بالضرب أو بتقييد الحركة أو بحبسهم، وفي بعض المؤسسات، يواجه الأطفال ذوو الإعاقات عنفاً متخفياً في شكل علاج، مثل تعريضهم للصدمات الكهربائية للسيطرة على سلوكهم، أو إعطائهم أدوية لجعلهم أكثر 'امتثالاً، وكثيراً ما يتعرض الأطفال الذين يكونون رهن الاحتجاز للعنف من جانب العاملين في تلك المراكز، وفي(٧٧) بلداً على الأقل تُقبل العقوبة الجسدية وغيرها من أشكال العقوبة العنيفة

كعقـوبة قانونية في المؤسسات العقابية، كما أن احتجاز الأطفال مع الكبار أمر روتيني في بلدان كثيرة، وهذا ما يعرضهم لخطر متزايد.

٦. المجتمع مصدر للحماية والتضامن من أجل الأطفال ولكنه يمكن أيضاً أن يكون مكاناً للعنف ـ بما في ذلك عنف الأقران ـ والعنف المرتبط بالمسدسات والأسلحة الآخرى، وعنف العصابات والشرطة، والعنف الجسدي والجنسي، والاتجار بالبشر، وقد يكون العـنف مـرتبطاً أيـضاً بوسـائط الإعـلام وبالتكنولوجـيات الجديـدة للمعلـومات والاتـصال، وكـثيراً مـا تعانـي من عنف المجتمع فئات الأطفال المهمشين، مثل أطفال الـشوارع. وتـصور وسـائط الإعـلام العـنف في بعـض الأحـيان بأنه شيء عادي أو تُمجّـده. وقـد وُثّقـت في الـسنوات الأخـيرة عملـيات البلطجة الحاسوبية من خلال الإنترنت أو الهواتف المحمولة.

http://www.unicef.org

العنف ضد الطفل عربياً

يعـد العـنف ضد الأطفال من المظاهر الاجتماعية الخطيرة يجب السيطرة عليها نظراً لعواقـبها الـتي لا تؤثر على مستقبل الطفل فقط بل تؤثر على مسار المجتمع بكامله؛ حيث أن العـنف ضـد الأطفال يولد الكثير من العقد والرواسب لدي نفسيات الأطفال، كما ينشأ منه شـعوراً باطنـياً بالشعور بالإحباطات الغير طبيعية مثل الكره والغضب والاحتقار، والانتقام من المجتمع من خلال تدمير آلياته وممتلكاته.

ويتـضح ممـا سبق؛ إن مظاهر العنف ضد الأطفال متعددة ومتنوعة، وقد تختلف من جهـة إلى أخـري، ومـن فـئة عمـريه إلى أخري، كما إنها قد تختلف في أجناس وأعمار ومهن مـرتكبيها، وقـد يرتكب بعض افراد هيئات التعليم، وبعض أفراد الآسرة كالوالدين، وبعض الأخـوة أو الأخوات الأكبر سنا، وبعض أفراد الأقرباء والجيران، وبعض المجهولين، حوادث العـنف ضد الأطفال بأشكاله المتعددة المنظورة والغير منظورة، حيث تؤدي هذه الحوادث إلى

ما لا يحمد عقباه على مستقبل الطفل والمجتمع بكامله؛ نتيجة ذلك الخلل في سلوك بعض الإفراد نحو الأطفال.

ومن هنا فيتطلب هذا الواقع المزري، اتخاذ الخطوات الآتية:

- مضاعفة الجهود المؤسسية في هذا الصدد، من قبل المنظمات الحقوقية، ومضاعفة التوعية، بكافة أشكالها، وبخاصة في بعدها الإعلامي، ومقاومة الظواهر السلبية في المجتمع، ومنها ظاهرة عمالة الطفولة، ومواجهة حالة أطفال الشوارع، والتوعية الأسرية، ومضاعفة التنوير الأخلاقي النابع من قيم التربية الإسلامية، ومبادئ الديانات السامية في بعدها الأخلاقي.
- تفعيل القوانين الدولية، في حقوق الإنسان، وبالأخص في مجال حقوق المرأة والطفل، وعدم التساهل
- في هذا الصدد، وبالأخص في بعد الأسرة والعمل والمجتمع، ورعاية وصيانة الطفولة، من كافة أشكال العنف الأسري والجنسي وغير ذلك، حفاظاً على الصحة النفسية لهم، وكي يكونوا منارات بناءٍ في مجتمعاتنا.
- التشهير بالمجرمين، في هذا الصدد، ومعاقتبهم، وعدم منحهم الفرصة من التفلت من العقوبة، لاسبات اجتماعية متعددة، للتأكيد على قداسة الكرامة الإنسانية، وعدم انتهاكها، وتساهل القيام بتلك الأعمال المشينة اخلاقياً.

أشكال العنف ضد الطفل عربياً

تشكل الاعتداءات الجنسية اخطر أنواع العنف الممارس على الطفولة، وفي هذا الصدد، صدرت دراسة عن الاعتداءات الجنسية على الأطفال، تم اجراؤها في مركز الطبابة الشرعية في حلب عام ٢٠٠٢ من قبل الدكتور محمد ضو، لغاية التعرف على حجم ظاهرة الاعتداء الجنسية على الطفل، وكيفية تشخيص حالات الاعتداء، فقام الباحث بتقسيم الفئات العمرية إلى ثلاث مجموعات

- المجموعة الأولى من عمر(٠-٨) سنة.
- والمجموعة الثانية من عمر(٨- ١٥) سنة.
- المجموعة الثالثة: من عمر(١٥ – ١٨).

وتوزعت حالات الدراسة حسب الجنس: ذكور، إناث وحسب الفئات العمرية في (٣-) فئات، و حسب نوع الاعتداء، وحسب علاقة المعتدي بالطفل المعتدى عليه، وحسب الحالة التعليمية للطفل المعتدى عليه: قبل سنّ المدرسة، لا يتابع الدراسة، يتابع الدراسة، وحسب التوزع الجغرافي لسكن الطفل: ريف، مدينة ،وحسب الحالة الاقتصادية لأسرة الطفل المعتدى عليه، وحسب الأعراض والعلامات النفسية المشاهدة أثناء الفحص: خوف من الحديث، خوف من الفحص، عدم معرفة لما حدث، وحسب عمر المعتدي، وحسب مكان الاعتداء: مكان عمل الطفل، مكان عام، الحي، منزل الطفل، وحسب تكرار الاعتداء، وحسب الوضع العائلي للمعتدي: عازب، متزوج، وحسب عمل المعتدي: عاطل عن العمل، عمل مؤقت، عمل ثابت، وحسب السوابق الانحرافية للمعتدي.

وأسفرت نتائج الدراسة على الإحصاءات الآتية، إذ بلغ عدد المراجعين لمركز الطباعة (١١٦٦٥) حالة، وبلغ عدد حالات العنف (٨٣٥٠) حالة، وبلغ عدد حالات العنف ضد الأطفال (١٩٤٥) حالة أي ما نسبتها (٣ر٢٣ ٪) من مجموعات حالات العنف الكلي، وبلغ عدد حالات العنف الجنسي (٢٤٩) حالة أي ما نسبتها (٨ر١٢٪)، وحالات العنف الجسدي (١٦٩٦) حالة أي مانسبته (٢ر٨٧٪) من مجموع حالات العنف الكلي.

وفي قراءة تحليلية للدراسة، يمكن استخلاص الآتي:

١. إن الحالات المبلغ عنها لاتشكل سوى نسبة لا تتجاوز (١٥٪) من نسبة الحوادث الفعلية، بسبب حساسية الموضوع في مجتمع محافظ.
٢. أن أغلب حالات الاعتداء تتم من قبل أشخاص يفترض أن يؤمّنوا الحماية للطفل، وفي أماكن يفترض أن تكون المكان الآمن للطفل.

٣. أن حوالي ثلث الحالات يتم تكرار الاعتداء على الطفل، دون وضع حد لذلك.
٤. إن ثلاثة أرباع الحالات يكون الطفل متسرباً من المدرسة/ ظاهرة التسرب وعمل الأطفال.
٥. إن الحالة الاقتصادية السيئة لعائلة الطفل المعتدى عليه قد تعرضه لإغراءات ذوي النفوس الضعيفة من المعتدين، دون أن يدري طبيعة ما يتعرض له.
٦. إن النسبة الأكبر من حالات الاعتداء حصلت في المدينة، وتحديداً في الأحياء الشعبية المكتظّة في أطراف المدينة، بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تسود في هذه المناطق.
٧. إن غياب التوعية والثقافة الجنسية في المجتمع يجعل الكثير من الأطفال يتعرضون للاعتداء دون أن يعرف إنهم تعرضوا للاعتداء.
٨. إن التعامل مع الطفل المعتدى عليه أثناء الفحص يجب أن يتم بهدوء وحكمة، لأن الطفل قد ينسى الاعتداء، ويتذكر لحظة الفحص، التي قد تسبب له أزمة نفسية قد تفوق ما يسببه الاعتداء نفسه.
٩. إن العقوبات غير الرادعة بشكل كاف تدفع بعض المعتدين إلى تكرار اعتداءاتهم.
١٠. إن الظروف الاقتصادية السيئة، وتأخر سن الزواج، وعدم وجود مراكز لعلاج المعتدي من الناحية النفسية، كلّها عوامل تؤدي إلى تفاقم هذه الظاهرة.

وعقد في مصر في ندوة حول واقع العنف ضد الطفل في مصر، شارك فيها أكثر من (١٠٠) مشارك من مؤسسات حقوقية مهتمة بحقوق المرأة والأطفال، في ورشة نقاشية عقدت عقدت في جمعية كاريتاس مصر يوم الجمعة الموافق٢٧/ ٥/ ٢٠٠٥، حيث حضر الورشة (٨) محامين و (١٢) صحفي و (١٨) فلاح و (٣٨) جمعية و (٦) أطباء و (٥) باحثين و (٨) مدرسين و (٦) أطفال.

وتضمنت الورشة المضامين الحقوقية الآتية:

- وجـود فجوة بين مؤسسات الدولة والمواطنين، حيث لا يوجد حوارات فعالة، وليس هـناك اسـتراتجيات محـددة لتطويـر مؤسسة التعليم، وأكدت على أن العنف والإيذاء ضد الأطفال في القاهرة الكبرى يمثل ٣٠٪ من اجمالى العنف.
- أن العـنف المـوجه ضـد الفتـيات يـزيد عـن الذكور حيث يشكل نسبة الإناث ٦٣٪ وتحـدثت عـن صـور العـنف ضـد الفتـيات مـن الاغتصاب إلى القتل وسوء المعاملة والضرب والإهانة.
- أشـارت دراسـة الدكتورة نعيمة ميخائيل - أستاذة الطب النفسى بجامعة حلوان التي قدمـتها في الورشـة، حـيث تم توجـيه ٤٠ سـؤال للأطفال، وكشفت الدراسة عن ان نـسبة العـنف البدنـى شملـت (٣٢٪) مـن العيـنة، والإيـذاء الجنـسي شكل (٢٥٪) وكانـت هـناك صور أخرى للعنف وإيذاء الأطفال، وان صور هذا العنف تنتشر بين الفقـراء والأغـنياء وتحـدثت عـن سـوء معاملـة الأطفـال والعـنف ضـدهم خاصـة الاسـتغلال الجنسى، وتحدثت عن صور هذا الاستغلال في أمريكا وانجلترا ومصر مما يعـوق نمـو الطفـل، حـيث يشكل الإيذاء الجنسى في مصر نسبة (٣٠٪) في الأوساط الفقيرة، وشكلت نسبة الإهمال والإيذاء النفسى نسبة (٥٠ ٪).
- أشـار الأسـتاذ "هانـى هـلال - مديـر مركـز حقـوق الطفل المصرى" عن أبعاد ظاهرة اسـتغلال الأطفـال في ضـوء القانـون والمواثـيق الدولـية، حيث بدأ الاهتمام بحقوق الطفل دولياً بدأ عام ١٩٢٤ منذ إعلان جنيف، ثم تناول بعد ذلك الوضع فى مصر، فذكـر أن نسبة الأطفال أقل من ٥ سنوات تقدر بحوالى (٨ر١٤ ٪) من اجمالى السكان وتصل نسبة الأطفال فى فئة السن (٥-١٥) سنة إلى (٦ر٢٤٪) اى أن (٤ر٣٩٪) من إجمالى السكان يقع فى فئة السن (صفر -١٥سنة)، وأكد أن القانون ١٢ لسنة ١٩٩٦ هـو أول قانـون شامل خاص بالطفل يصدر فى مصر، وأن القانون به بعض القصور خاصة، فيما يتعلق بظاهرة العنف ضد الأطفال، حيث لم يشر إلى ختان الإناث.

- وأشارت "د. نوال أبادير - أستاذ ورئيس قسم شعبة الكيمياء الحيوية -كلية العلوم - جامعة حلوان" عن المخاطر التي يتعرض لها الأطفال العاملين بقطاع الزراعة فذكرت أن الأعمال الزراعية هي أعمال غير منتظمة ولكن هناك منها ما يؤدى إلى إيذاء الأطفال، وهناك ما نسبته (٣٠٪) من العمالة هم عمال زراعة، وحوالى (٧) مليون عامل زراعى فى مصر ،عدا الأطفال وتقدر عمالة الأطفال بحوالى نصف مليون طفل فى بعض الزراعات، وأكدت أن هناك دراسة تؤكد أن (٦٠٪) من أطفال المدارس مدخنين، وأكدت أن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة سيزيدون وخصوصاً الأطفال الذين يعملون فى الزراعة برش المبيدات التي تشوه الأطفال، وتسبب لهم الإعاقة وأشارت إلى خطورة المبيدات التي يتم صرفها فى الصرف الصحى، ليأكل منها الحيوان ثم تعود مرة أخرى إلى الغذاء، فالطفل معرض لسوء التغذية، والسموم، إلى جانب عيشته مع الحيوان التي تؤدى إلى نقل العدوى من الحيوان اليه.
- مناقشة حقوق الطفل من الناحية التشريعية ابتداء من إعلان حقوق الطفل سنة ١٩٣٤، وانتهاء باتفاقية حقوق الطفل الصادرة عام ١٩٨٩، وتناولت مفاهيم العنف وصور من العنف البدنى والعنف الاقتصادي والعنف الاخلاقى، وأهمية مشاركة الطفل في صنع حاضره ومستقبله.
- التركيز على العنف فى المؤسسة التربوية "المدرسة" وأكدت أن السلطة السياسية قامت بتسخير المؤسسة التعليمية لخدمة مصالحها، وتناولت أهم الخصائص الثقافية للتلاميذ فى المرحلة الابتدائية، ومنها الخصائص العقلية حيث يتميز الطفل فى هذه المرحلة بقدرته على إتباع التعليمات التي تصدر اليه.
- تحدث الأستاذ "عريان نصيف المحامى (أمين اتحاد الفلاحين تحت التأسيس) عن يتسرب (٣٠٠) ألف طفل اغلبهم من الريف من التعليم الاساسى سنوياً، وزيادة نسبة الأمراض إلى (٥٥٪) من أطفال الفلاحين ويصل المصابين بالانيميا منهم إلى (٤٠٪) بسبب نقص البروتين والسعرات الحرارية.

- أشار "سعيد حسني –مسئول وحدة البحوث بمركز الارض"، عن حجم ظاهرة عمالة الأطفال، حيث أنها تمثل (٤٥٪) من تعداد مصر، وتناول بعد ذلك مظاهر وأشكال عمالة الأطفال في المزارع، وتعرض لحوادث الأطفال العاملين في رش المبيدات، وما يسببه ذلك من آثار سلبية على صحتهم ،و تطرق إلى حوادث الطرق وما يتعرض له الأطفال العاملين في الزراعة إثناء نقلهم للعمل أو عند عودتهم منه مما يؤدى لوفاة بعضهم أو إصابة البعض الآخر بالكسور والجروح وهناك أرقام كثيرة لمتوفين ومصابين من جراء هذه الحوادث توضحها تقارير مركز الارض، وايضاً تحدث عن ظروف العمل في محالج الأقطان حيث يبلغ عدد الأطفال العاملين بالمحالج حوالي ٣٠٠,٠٠٠ طفل يعملون في ظروف بالغة السوء. مثلهم مثل أطفال الكسارات والتي انتشرت بمنطقة شرق النيل بصعيد مصر، وأكد أن قانون العمل لم يشتمل على حماية أطفال الريف العاملين أوخدم المنازل، وفى نهاية الحديث أكد أن عمل الأطفال في قطاع الزراعة يعتبر أسوأ أشكال الاستغلال والأذى، كما أن تعرض الأطفال لهذه الظروف يمثل تعدى على حقوقهم في النمو والحياة الكريمة.
- تناول "د. يسرى مصطفى – باحث وناشط في مجال حقوق الإنسان" عن قضايا الاتجار بالأشخاص حيث اعتبرته منظمة "اكبات الدولية" ثالث وأكبر وأسرع صناعة للجريمة في العالم ويقدر ضحايا هذه التجارة بالملايين وتدر ارباحاً تقدر بالبلايين وتشمل صناعة الجنس كما تناول أشكال العمل المختلفة في المصانع والحانات والمزارع وتجارة الأعضاء وأشار بعد ذلك إلى أن ثمة تقديرات تشير إلى أن مئات الآلاف من النساء والفتيات يجرى إخضاعهن سنوياً وخاصة من بلدان جنوب شرق أسيا وشرق أسيا من قبل شبكات دولية وإجبارهن على دخول سوق الدعارة بالعديد من بلدان العالم وأكد أن تقرير للخارجية الأمريكية قدر ضحايا هذا الاتجار بـ٧٠٠ ألف شخص سنوياً.
- تناولت الأستاذة "سالى رؤوف – مؤسسة هيئة الإغاثة الكاثولوكية" الحديث عن مشروع خاص للتنسيق بين الهيئات غير الحكومية والجامعات، على المستوى

الاقليمـي لكفالة حقوق الأطفال، والذي يهدف إلى تطوير سياسات فعالة فيما يخص الحد من عمالة الأطفال بالتعاون مع المجتمع، ويهدف المشروع إلى التنسيق بين الهيئات غـير الحكومـية والجامعـات والمراكـز مـن اجـل تحفيـز وتوجـيه اهـتمام الحكـومات للمـشاكل المـتعلقة بعمالـة الأطفـال خاصـة بـين الـبلدان الأربعة وهى مصر ولبنان والأردن والمغـرب، وقـدم الأسـتاذ "محمـود قـنديل - باحـث وناشط فى مجال حقوق الإنسان" العديد من التوصيات، في الجلسة الأخيرة للورشة، لمواجهة واقع العنف ضد الطفل المصري، والحلول الناجعة في هذا الصدد.

(http://www.hrinfo.net/egypt/lchr/2005/pr0529.shtm)l

استراتيجيات مقترحة لمناهضة ظاهرة العنف ضد الطفل العربي

إن المتتبع لواقع العنف ضد الطفل عربيا، يجدها ضمن منظومة من الأبعاد المتشابكة، بحيث لا تـستطيع أن تحـدد جهـة معينة القيام بتلك الأعباء الكاملة، الكفيلة باستئصال تلك الظواهـر الـسلوكية المدمرة، مما يتطلب وضع هذا المطلب ضمن البرامج الإستراتيجية للأمن الاجتماعـي. وهـذا يـتطلب بدوره البحث في وضع خطط هذه الإستراتيجية بتحفيز وصقل القدرات الفنية والعلمية لتقوم بدورها في هذا المجال حتى تكون الصورة واضحة أمام الجميع وحتـى يمكـن مـراجعة التـشريعات والقـوانين الـتي تحمـي الأطفال في العالم العربي سواء في مدارسـهم وبـيوتهم وشوارعهم أيضاً.وهذا ربما يستلزم إيجاد جهاز عربي على مستوى عالي مـن المسؤولية القومية لحماية كافة أطفال المجتمع العربي أينما وجدوا دون استثناء، من خلال مراعاة القضايا الآتية:

١. دراسـة ومـتابعة مظاهـر العـنف ضـد الأطفال وخاصةً المدارس والبيوت والشوارع ويمكـن للجمعـيات الأهلـية الاجتماعـية وخلافها أن تساهم بهذه النشاطات شريطة دعمها بما يجب.
٢. رفـع مـستوي المـناهج والمواد والمفردات وتطعيمها بالمواد العلمية التي ترفع من شأن تعلم وتعليم سلوك تربية وتعليم الأطفال النموذجي.

٣. إعداد أعضاء هيئات التدريس وخاصةً في مراحل التعليم الإلزامي كما يجب وبما يكفل احترام حقوق الطفل أثناء مزاولة العملية التعليمية والتربوية.

٤. إعداد أعضاء الإدارات التعليمية والتربوية وعلى كافة مسؤولياتها وإسنادها للعناصر المؤهلة عالياً وذات الخبرة المحددة في المجال.

٥. المتابعة الجادة من أجهزة الرقابة المختصة وخلافها للمخالفات والجنح والجرائم التي تقع في حق الأطفال باعتبار المجتمع ضامناً وحامياً لهم حتى سن (١٦ـ ١٨) سنة سن البلوغ.

٦. رفع مستويات الوعي والثقافة لدي العامة وخاصة لدى أعضاء هيئة التدريس والآباء والأمهات والأقرباء وكل من حول الطفل والتركيز على الثقافة العامة آلتي من شأنها رفع الظلم والإساءة في حق الطفل.

٧. إيجاد جهاز قومي عربي يحمي الطفولة والأطفال على كافة تراب ارض الوطن العربي.

٨. وضع البرامج الإستراتيجية القومية التي تحقق الأمن الاجتماعي للأطفال.

٩. تقوية وتنقيح القوانين والتشريعات المعمول بها في شأن الحق العام للأطفال وبما يضمن عدم استخدام العنف ضد الأطفال بتاتاً مع إيجاد العقوبات الرادعة لكافة أشكال السلوك السلبي اتجاهه.

(http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=662)

١٠. ضرورة إنشاء شبكة من الجمعيات والمنظمات الدولية والمحلية التي تهتم بموضوع أسوأ أشكال العمل والاستغلال بالنسبة للأطفال لحماية حقوقهم.

١١. توعية المدرسين والمحامين والأطباء والأسر والاخصائين الاجتماعيين وموظفى الدولة بمخاطر استغلال الأطفال ووجوب تطوير وتحديث مناهج التعليم لحماية حقوق الأطفال.

١٢. ضـرورة تفعيل الحق فى الضمان الاجتماعي لأسر الأطفال العاملين بزيادة المعاشات وتسهيل الإجراءات الكفيلة بكفالة هذا الحق لمساعدة اسر الفقراء لتربية أطفالها تربية أمنة سليمة.

١٣. المطالـبة باعفـاء الأطفـال أبـناء المستأجرين وعمال الزراعة وملاك الأراضي الزراعية أقـل مـن ثلاثـة أفدنـة مـن المـصاريف المدرسية وكفالة حقهم فى التعليم خاصة فى المـرحلة الإلزامية وتوفير وجبة غذائية متكاملة لهم وصرف بدلات للأسر لا تقل عن ١٠٠ جنيه شهرياً لدعمها فى تربية أبناءهم.

١٤. ضـرورة تـوفير المعلـومات حول أشكال الاستغلال المختلفة للأطفال وتوعية المجتمع والمهـتمين بمخاطـر عمالة الأطفال خاصة عمالة خدم المنازل والتراحيل والاستغلال التجارى الجنسى للأطفال.

١٥. تحـسين الخـدمات الـصحية خاصـة فـى الوحدات الريفية بوجود سيارات إسعاف - أجهـزة طبـية- أدويـة- أطـباء- ممرضـين لكفالـة حقـوق هـؤلاء الأطفال فى النماء والصحة.

http://www.hrinfo.net/egypt/lchr/2005/pr0529.shtm)l

الفصل الرابع

رؤية نقدية في القيم العالمية

الفصل الرابع

رؤى نقدية في القيم العالمية

ثقافة الحوار في مواجهة الفتنة المذهبية والاقتتال الداخلي – الداخلي

تتوجه السياسة الأمريكية في استراتيجياتها المستقبلية، إلى بث الخلافات الذاتية – الذاتية، التي بدأت تظهر إفرازاتها السلبية بما يعرف بالخلافات المذهبية بين السنة والشيعة، وما يعد لها من تأجيج فكري وسياسي وتاريخي في آن واحد، للتغطية على المشاريع المناهضة للسياسات الأمريكية في العالم العربي والإسلامي، وتلجأ ايضاً إلى الخلافات الذاتية – الذاتية حيث لا يوجد تعدد مذهبي، كما يحدث في فلسطين المحتلة بين حركتي فتح وحماس، وهناك عدة معطيات لتأجيج تلك السياسة الذاتية في المجتمعات العربية، أوجزها على النحو الآتي:

- ما أشارت إليه التقارير السياسة الدولية وكذلك ما أعلنه احد احدث المؤلفات الفرنسية تحت عنوان "سقوط أمريكا"، إذ يؤكد مجملها إلى انهيار اقتصادي وسياسي وعسكري وإنساني حقوقي، مما يجعلها في موقف يتطلب حسماً لحساباتها المستقبلية، من خلال الحفاظ سيكولوجياً واستعراضياً لجنون العظمة الحضارية الذي يعتريها، من خلال منظومة استعراضات وهمية، تحت عناوين شن حروب استباقية، في دول العالم المستضعفة، للتغطية على الصورة الداخلية المنهكة المترهلة.

الانهيار الذي يشهده الوضع الإسرائيلي عسكرياً واقتصادياً وديموغرافياً تحت عناوين الهجرة إلى دول أوروبا بحثاً عن الأمن والاستقرار، مما يهدد كافة استراتيجياتها لتحقيق استقرار مستقبلي آمن، حيث لايتحقق إلا من خلال تقسيم المنطقة العربية إلى كانتونات مقطعة وشرق أوسط جديد، تنتهك تحت أتون الحروب الداخلية.

- وجود خط سياسي ممانع؛ يمتدد من دول إقليمية إلى تيارات حزبية، مما يؤكد تشبث الإدارة الأمريكية بموضوعي الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة، وبالأخص في العراق ولبنان والخلافات الذاتية – الذاتية في فلسطين المحتلة بين فتح وحماس، لإضعاف هذا الخط سياسياً وشعبياً.
- تجدد معادلة الصراع في الاستراتيجية الأمريكية تحت مقاومة الخط الممانع لسياساتها، من خلال إيجاد أعداء وهميين لتغطية دورها الاستعماري في العالم العربي الإسلامي من جهة، ولتغطية هزائمها المتواترة ليل نهار في الساحة العراقية الدامية، ولإشغال خط الممانعة بتلك الصراعات المذهبية وكافة إشكال صور الاقتتال الداخلي، فتتحول استراتيجياتها نحو تلك الزواريب الداخلية وأزمات الشارع، وبالتالي تستنزف جهود هذا الخط الممانع، في تلك الزواريب الداخلية والصراعات المذهبية، وتخلو الساحة للمشروع الأمريكي الصهيوني، ليلعب في الساحة العربية الإسلامية كما يريد، و بالتالي يحفظ مستقبل إسرائيل من المساس به من خلال إنهاك الخط الممانع، واستنزاف كافة إشكال المقاومة في تلك البؤر المذهبية الضيقة وبالتالي يصبح الأفق فارغاً أمام الدبابات الأمريكية في سعارها الهائج؛ نحو مصالحها النفطية والاستراتيجية في عالمنا العربي الإسلامي، وهنا يجب التنبيه إلى دور السياسة الأمريكية وأدواتها من الأنظمة العربية في توجيه الأنظار نحو عدو وهمي يضخم دوره في العراق تحت عنوان دور إيران في العراق، وربما هناك حسابات سياسية لدولة إيران في العراق – وليس هنا موضوع تبريره أو عدم تبريره – ولكنها لاتصل إلى الحد الذي يطنطن له الأعلام العربي في الأردن ومصر السعودية تحت عناوين اضطهاد السنة في العراق، وهذه الطنطنة ليست لغاية إنصاف الطائفة السنية والدفاع عنها، بل هي سياسية محضة تدخل في مجمل المخططات الأمريكية لتأجيج حرب دامية بين السنة والشيعة عمرها (١٠٠) عام بين السنة والشيعة كما أشار إلى ذلك (شاتنبرغ) احد اكبر المحللين السياسيين في الصحافة الأمريكية، وتدخل تلك الطنطنة تحت عنوان التعبئة المعنوية لتلك الحرب الدامية، التي تتعهدها لإدماء الاحتقان المذهبي بين السنة والشيعة،

وتأجيج الرأي العام، وتوجيه الأنظار نحو تلك الزواريب المذهبية الضيقة، وبالتالي يحفظ مستقبل أمريكا وإسرائيل، تحت نزف تلك الصراعات المذهبية الضيقة والطائفية والعرقية والحزبية الضيقة، مما يوجب التنبيه الجدي لتلك المخططات الأمريكية وأخذها بعين الاعتبار، وربما حادثة إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين تدخل في ذلك المخطط، لغاية تحميل الشيعة دم صدام حسين، وتأجيج مشاعر السنة تجاههم، وإخراج أمريكا من دمه، مع إن الذي أعدمه هو أمريكا لا محالة، وبالتالي تحمي أمريكا مصالحها الاستراتيجية والمستقبلية تحت حرق امتنا في أتون الخلافات المذهبية والصراعات الداخلية، وكذلك حماية كافة كمباردوراتها في المنطقة تحت تلك المسميات، والأهم توجه أنظار الإعلام إلى ذلك عوضا من توجهه نحو هزائمها العسكرية الدامية في العراق و هزيمة حليفتها إسرائيل في حرب تموز في لبنان، وما تتلقاه مستوطناتها من صواريخ للمقاومة الفلسطينية بين الحين والآخر.

- والقراءة المعمقة لما سبق ذكره تؤكد اعتماد الاستراتيجيات الآتية، لتفادي الصدامات المذهبية وكافة صور الاقتتال الداخلي الداخلي، من خلال الآتي:
  - يعد الدخول في الفتنة المذهبية وكافة إشكال الاقتتال الداخلي خطأ سياسي واستراتيجي وتاريخي، والمعادلة المنطقية تشير إلى توجيه الأنظار نحو عدو واحد هو المشروع الأمريكي والصهيوني في العالم العربي والإسلامي، ويعد من الواجب الإسلامي والإنساني والسياسي والسيكولوجي تضييق الخلافات السنية الشيعية والدعوة إلى الوحدة الروحية وتجاوز الماضي وما يحمل من أزمات وخلافات، والتكاتف على المشترك الروحي، ومحاربة كافة إشكال التفرقة فكرياً وسياسياً وإعلامياً، واعتبار الخارج عن نطاق تلك الوحدة الروحية متطرفاً وخارجاً عن الصف الإسلامي، ويعد من مهام ذلك التجمع الروحي في التآلف والمثاقفة تفنيد ومحاربة كافة إشكال التطرف الفكري الموجه للطائفة الشيعية من قبل التيارات السلفية المتشددة "التكفيرية"، وكذلك تفنيد ومحاربة كافة إشكال

التطرف الفكري الموجه للطائفة السنية من قبل بعض متطرفي الشيعة الذي يستند إلى الماضوية، وإلغاء الآخر.

- تدعيم كافة أوصال الوحدة العربية بين المسلمين والتيارات المسيحية في العالم العربي تحت مظلة القومية العربية والحضارة الإسلامية ومعطياتها القومية والإنسانية، وتقبل التنوع الثقافي والتعددية الحزبية السياسية تحت مسترك وطني قطري في كل قطر عربي وثوابت قومية عربية مشتركة.
- تعزيز كافة إشكال الحوار، ورفض لغة المواجهة العسكرية في الذات الواحدة، تحت مسميات متعددة للاقتتال الداخلي، وتوجيه الأنظار نحو عدو واحد يتشكل في المشروع الأمريكي الصهيوني في العالم العربي الإسلامي.
- حتى تأخذ ثقافة الحوار بعدها المطلوب، فإنه يعد من المهم سيكولوجياً تصويب المقدمات الخاطئة حتى لا تنتهي بنا إلى نتائج خاطئة، ومنها الركون إلى لغة المواجهة العسكرية تحت أتون الاحتقان، عوضاً عن ثقافة الحوار تحت دواعي أن الأولى تؤتي ثمارها بسرعة تحت عناوين ردات الفعل وإفراز الاحتقانات، والطريق الأقصر لخدمة مصالح طرف على أخر، ولكن عاقبتها وخيمة في اللغة التدميرية الألغائية تحت صور الاقتتال المتنوعة، وتنتهي إلى خسارة للجميع، في نار واحدة تأكل الأخضر واليابس، والمستفيد منها هو مشاريع استنزاف الأمة وتحويلها إلى كانتونات ضعيفة، تستقوي عليها إسرائيل وتنهب خيراتها أمريكا، في مستقبل دامي لأبنائها، ومستقبل اخضر لأمريكا وإسرائيل، وبالتالي من مقتضيات الواجب الإنساني والشرعي إن لانقع تحت إغراءات لغة المواجهة ومصالحها الآنية الضيقة في الذات الواحدة.
- تقبل التنوع الثقافي والتعددية تحت "مشترك وطني قطري" في كل قطر عربي ومشترك قومي في المنظومة العربية ومشترك إسلامي إنساني في المنظومة الحضارية الإسلامية، في إطار تنسيق جسور التفاهم، بدلاً من إلغائها، إذ بذلك تحل ثقافة المواجهة محل الحوار في الذات الواحدة، وأوكد أن المعادلة الإنسانية رابحة و تحقق

ثمارها بالحوار لا في لغة المواجهة في خط الذات الواحدة، فالإسلام انتشر بالحوار والدعوة، والمواجهة والجهاد شرع لحالات خاصة للحيلولة دون "الإكراه" وحتى تتحقق حرية الاختيار وتمهد السبل للحوار وتوفر مناخات مناسبة للاقتناع، بعيدا عن الإكراه.

- إن العنف والمواجهة في خط الذات الواحدة لايأتيا بخير، بل يصنعا الحواجز النفسية وهذه الحواجز النفسية تعزز صور من الاختراق، وتشويه صورتنا العروبية الإسلامية إمام العالم أجمع.

- ما سبق يؤكد أهمية أن نبني للتعايش والتعارف والتعاون في الذات الواحدة، بحيث تحول دون الحروب والمواجهة في إطارها العربي الإسلامي، لتحقيق رسالتنا العربية والإسلامية في العالم اجمع ،من خلال تعميق بناء المشترك الإنساني والارتقاء بالإنسان، وتحقيق كرامته واسترداد إنسانيته، لذلك فإن الحوار مع الذات الكبرى في محيطها العربي والإسلامي هي الأساس والمرتكز للحوار مع الأخر، ففاقد الشيء لايعطيه، وذلك من خلال اختيار موضوعات الحوار وتقدير أهميتها، وطرحها للمحاورة والمناقشة والمثاقفة والمذاكرة والمراجعة، للوصول إلى تفاهم وتعارف حولها، ومن ثم التعاون، فإن لذلك كله دور كبير في إثراء الحوار والوصول به إلى تحقيق أهدافه، أما انشقاق الأمة ومثقفيها ببعض الموضوعات الجانبية لاستنزاف طاقاتها وأوقاتها للتحكم بمجالات تفكيرها وإلهائها عن قضاياها الأساسية، ففيه الخطورة الشيء الكثير .
- إن المواجهات الداخلية تضعف الصف العربي الإسلامي الواحد، وبالتالي تفقد الأمة هيبتها أكثر مما هي عليه، وتكون مدعاة للتداعي عليها أكثر مما هي عليه، وتخسر ايضاً كافة معالم مقومات قوتها بين الأمم أكثر مما هي عليه الآن.

واختتم مقالتي هنا؛ بأن الخلافات المذهبية الذاتية الذاتية طائفيا ومذهبيا وحزبياً مسلكها خطر وعر، ومفاوزها مهلكة دامية، لكافة الأطراف، والعقلانية تنادي إلى تأكيد

الوعـي بـتلك القـضايا، وترسـيخ ثقافـة الحـوار، واجتـناب الوقـوع في الـصراعات المذهبية والطائفـية والعـرقية والحـزبية، وكـذلك اجتناب الوقوع في دسائس تلك المواجهات وحبالها الخفـية، لأنهـا تأكـل الأخـضر والـيابس، ونخـسر فيها جميعاً، والفائز الوحيد في تلك المعارك الـسوداء هو العدو لامحالة، حيث تمد من اجل مشروعه الأمريكي الصهيوني في عالمنا العربي الإسـلامي، فـلا بـد مـن الوعـي الكـافي لـتلك الفـتن السوداء التي عرفت قديما في السياسة الـبريطانية "فـرق تـسد"، والأيـام خير كاشف عنها، في دسائس السياسة ومنتديات القرارات، فالله خير حافظاً لأمتنا العربية الإسلامية وهو أرحم الراحمين.

ثقافة الحوار الواقع والأزمات

يعد الحوار بكافة أشكاله ومسمياته ومصطلحاته المتعددة من لوازم الحياة وضمان استمرارها، والاضطلاح بكافة أعبائها، وتتطلب لغة الحوار التعارف والتعاون والتعايش من جهة، و التمكن من لغة الحوار، وإدراك وظائفها الاجتماعية وابعادها النفسية والتربوية، والتنبه إلى تأثير الكلمة وسحرها ومفعولها، واختيار الاستجابة وتنويع الأسلوب واختيار المفردات والمصطلحات، والتحقق بالإبانة والتمكن من لغة الآخر في الحوار معه والإحاطة بمعرفته؛ وذلك بالإدراك الكامل لخلفيته الفكرية وقيمه وتاريخه وحاضره، وتعد لغة الحوار عاملا مهما من عوامل النهوض الحضاري ورسالة الإصلاح والتنوير في المجتمعات، وتتطلب تكاتف النخبة المفكرة في المجتمع نحو تعزيز رسالته وادبياته المتحضرة، واثراء أبعاده في أطياف قضاياه المتنوعة . ويشكل الحوار صيحة عقلانية في تفاعل الحضارات معا في العالم اجمع، عبر ألوانه المتعددة من المناقشة والتفاكر والمثاقفة والمجادلة بالتي هي احسن وهي رسالة الأنبياء عبر مسيرة التاريخ كله.

والمتتبع لواقع العالم العربي فكريا، يجده في حالة تأزم ناشئة من وأد لغة الحوار في مساحاته الفكرية المتنوعة، وامتداد فكر التأزم والتعصب والتقليد والتمذهب، والانغلاق والحجر على العقل وازدياد الطائفيات، مما يستدعي المراجعة وإعادة النظر ووضع الخطط والبرامج الكفيلة لعودة حوار الأمة إلى ذاتها وإعادة مد الجسور بين أوصالها ورؤاها المبعثرة.

وربما عول على المنابر الإعلامية في حمل تلك الرسالة وتوجيهها فكريا في مساحاتنا الحوارية، لكن الواقع يقدم إشارات متضادة في هذا الصدد، إذ تبلغ حالة التناقض بين شعارات الحوار المعلنة إعلامياً في حل مشكلة التجافي والتباعد وتوسيع دائرة المشترك من جهة والواقع الإعلامي -وبالأخص المحطات الفضائية - من جهة أخري ، لأن هذه الواقع الإعلامي المتأزم يشكل مشكلة إضافية إلى أزمات الحوار لأنه بصراحة يدعم تصليب التعصب والانغلاق والتحزب والتشرنق، ويضع عراقيل في لغة التفاهم والتبادل الثقافي،

وتنتفي من خلاله أدبيات الحوار واستيعاب الأخر، ويتحول بالتالي إلى مادة إعلامية تسوغ حالة تأجيج المواجهة الحادة والصراع تحت مظلةوشعارات الحوار والتفاعل الثقافي الحضاري.

ومما سبق تبرز أهمية توسيع دائرة المشترك وتفكيك اللغة الأحادية لتغدو لغة مفتوحة تستوعب الأخر، وتلك المهمة السامية تحققها لغة الحوار، والمنابر الثقافية الجادة التي تتبوؤ تلك الرسالة السامية، وربما استطاعت العوالم الإلكترونية أن تحقق قفزات معقولة في هذا الصدد، ولكن إلى الآن من وجهة نظري لم تبلغ الحلم المنشود، إذ ما تزال بعض أعراض الحوار الأصم تتسع فجواتها في مساحاتنا الإلكترونية بين لغة متعالية واذن تستسيغ وتسمع ولاتناقش بأمعية مطلقة، وارجع جذورها في سلم متدرج بين لغة القرارات السياسية الأحادية الاستعلائية واحادية السلطة وعدم تداولها من جهة وتنتقل هكذا تواليك حتى تبلغ الأسرة ومحضن التربية والتنشئة، مما يعزز حالات التحدي والفجوات والجدران الأسمنتية في الحوار التي تحول دون تجاوزها حتى مع امتداد لغة العالم المتحضر بالحوار والعوالم الرقمية واعتبار العالم قرية واحدة، لكن ما تزال الأزمة تمتد دون بذل النخبة المفكرة مساعيها لتعزيز لغة الحوار ومنابره، وبذل التوعية الفكرية والاجتماعية والتربوية في هذه الصدد، حتى يتحقق الحلم المنشود، وتتحول مساحاتنا الإلكترونية والفكرية إلى مساحات حوار جادة فاعلية، تحترم الأخر ولغته، وتلتزم توسيع دائرة المشترك، نحو عوالم فكرية إبداعية لا تنتهي في مشاريعنا الثقافية التنويرية، وهذه أهداف عليا في الإنسانية ولغة الحضارات، وتستحق من النخبة المفكرة في عالمنا العربي، بث رسالتها التنويريه في هذا الصدد، وتقديم مساهماتها التوعوية، حتى توضع النقاط على الحروف، وتتشكل قاعدة فكرية، وبالأخص في مساحات الحوار الإلكتروني، لتتشكل من خلالها المساهمات التوعوية، في رسم لوحات حوارية ناضجة هادئة؛ تتسم بالتثاقف ولغة التفاهم والتفاعل الحضاري.

ومن هنا اتسمت المجتمعات المتحضرة عبر الأزمنة بسمات تقدمية نوعا ما، تميزها عن غيرها، في بعد الجوهر لا حرفية التسميات، ضمن اعتبارات متنوعة ومنها سيادة ثقافة الحوار بين أفرادها، وتنمية لغة الحوار في بعدها المعنوي، وتجسيده ماديا عبر مؤسسات

للنهوض بلغته أو لنقل ممارسته في إشكال متنوعة، وانطلاقاً مما سبق تشكل لغة الحوار بكافة أبعاد أدبياتها وأطيافها لغة إنسانية عالمية منذ فجر التاريخ، والإنسان يرنو لها ويبحث جاهدا عن أمومتها في الحرية واحترام الأخر في الحياة، فهي أبجديات في النسق الفطري الإنساني، وان بقيت ساكنة في أعماقه لم تجد لها مملكة حضور إلا في مساحات صغيرة من عجلة الزمان والتاريخ.

والمفارقة عجيبة بين تلك العوالم السحيقة في الزمان والواقع الالكتروني المترع بالمستجدات، حيث اختراق عوالم الرقمية لكافة أبعاد الفكر، وحضور لغة الحوار بكافة أبجدياتها عبر الشبكة، وان لم تنل ما تستحقه من الاهتمام الجاد وتطوير لغتها التقدمية والقدرة على استيعاب الأخر في بعض مساحات الشبكة التي لاتزال تعاني من أعراض عدم التواكب مع لغة الحوار ومتطلباتها من استيعاب الأخر واحترام منظومة حقوق الإنسان وتفعيل البحث عن الموضوعية بعيدا عن الذاتية وتسلطها في الرأي والقرار . ولا نختلف في أن المثقف العربي يأمل دوما بتواجد الظاهرة الواعية المنفتحة في الحوار في عالمنا العربي، في تؤامات فكرية ثقافية، تتسم بالمؤسسية والدعم المادي والمعنوي، في إطلالات تجديدية بعيده عن الروتينية المبتذلة المملة، وفي صباحات حرية ونهوض تتنفس ثقافة وسلاما في سماءات عربية أصيلة.

الديمقراطية والإصلاح السياسي في العالم العربي

تستند الديمقراطية إلى بيئة سياسية واجتماعية تهيئ الأجواء لتواجد علاقة متكافئة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة في المواطنة والمشاركة الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة ومساحات المأسسة بكافة أنواعها في المجتمع.

وتستند الديمقراطية في ادبياتها العامة إلى:

- وجود سلطة مرجعية عليا متمثلة بالدستور.
- حرية الرأي والتعبير.
- التعددية السياسية.
- مبدأ تداول السلطة.

والديمقراطية وفق مفهومها المتعارف عليه في المجتمعات المتحضرة؛ تثير تساؤلات هل هي خاصة بمجتمعات معينة ولايمكن انسحابها إلى مجتمعات أخري لمعطيات وجودها التي يندر إيجاد جيناتها في مجتمعات معينة منطبعة بالاستبداد السياسي، وهنا المعضلة والحقيقة معا في أن الديمقراطية تحتاج إلى أجواء خاصة في الحرية واحترام الأخ؛ وتداول السلطة في ظل تنظيم سياسي واجتماعي يتسم بالوعي واحترام الحرية.

ولكن يبرز للمتتبع للمشهد الثقافي السياسي في العالم العربي أن الديمقراطية تعاني من وأد مطلق في عالمنا العربي، وحالة عقم سياسية في مجال ولادة الديمقراطية في عالمنا العربي، وارجع تلك النظرة المتشائمة من قبلي لبعد خطر ومفاده أن تبني الديمقراطية سياسيا يقتضي إعداد تربوي للمجتمع من خلال ما يعرف بالتنمية السياسية للنشء، وقد تناولته في مقالات سياسية نقدية سابقة؛ واكدت على أهمية هذا البعد التربوي في الأعداد للديمقراطية في مجتمعاتنا العربية، لأنه إلى الآن ما تزال الأجيال العربية تربي على الكبت ومبادئ متناقضة مع أبعاد الديمقراطية واحترام الحريات والأخر، لذلك نحتاج إلى مساحة لابأس بها من الزمن حتى يتحقق هذا الحلم الوردي، لأن عالمنا العربي مستنزف في جذوره؛ وقد نخر فيه السوس

إلى ابعد مداه في كافة الأفاق السياسية والثقافية والإعلامية والاجتماعية وتحكمت فيه دائرة سطوة الكرسي وآنا السلطة المتعجرفة.

فالبنية السياسية وكافة مترتباتها تقتضي إصلاح في أبعاد تعد من الجذور، وارجعها للبعد التربوي والاجتماعي الناشئة من القرار السياسي الحر، وتحتاج إلى مسيرة إصلاحية ثقافية تنويريه في التدعيم الثقافي لأفراد المجتمع، والتنشئة السياسية والإثراء النفسي في لغة ثقافة الحوار واحترام الأخر ورفع صوت الحريات وتداول السلطة بعيدا عن العنجهية وسطوة الأنا والرأي، ولذلك يعد عالمنا العربي مساحة ممتدة لسطوة الأخر وحالة مأساوية من حيث الإعاقة الفكرية وامتداد سعار الاستبداد السياسي إلى أبعاد لاتحد، وذلك يقتضي تربية سياسية خاصة، تعد حلم المصلحين وأبجديات رسالة التغيير الثقافي، ولوحة ينظر إليها المفكر بعين مستبشره نحو عالم يرفرف بالحرية ومنطلقات الديمقراطية والتنوير الإصلاحي والتغيير السياسي لحو الحرية والإبداع في كل مجالات الحياة، لأن الحرية مفتاح حرية الشعوب وتفاحة المجد ورحم ولادة الإبداع الذي يعزز حالة انشطاراته هالات الحرية في كل مكان. لذلك تولد الديمقراطية من ذات المجتمع في ظل إعداد تربوي عبر ما يعرف بالتنمية السياسية، لذلك فأن التغييرات السياسية التي تحمل معها حلم الديمقراطية من الخارج لاتعد فاعلة وهي مرحلية وتتبع متطلبات لعبة السياسة والمصالح، فالتغيير يولد من الذات في ذاتها وهذا هو محض رؤيتي السيكولوجية في هذا الذات؛ لأن هذا التغيير ينبعث من الجذور في الذات ويعزز الوعي والقناعات والبرامج الإصلاحية المترتبة عنها؛ عبر مأسسة التنمية السياسية في المجتمعات، التي لابد أن تتوج مشاريعها بتدعيم مبادئ حقوق الإنسان وحرية التعبير وكافة برامج الإصلاح السياسي ومنطلقاته في كافة الاتجاهات.

وتهيئة الأجواء للديمقراطية في عالمنا العربي عبر برامج التنمية السياسية ولغة التعددية السياسية، يجب أن يترتب عنها قاعدة مشتركة للتعددية، تلتزم قضايا وطنية وقومية وإنسانية، وتكون لغة الاختلاف فيها ضمن الآليات وليس في ظل القاعدة الفكرية المشتركة بينها في حدود معنية، تسمح بدائرة أخري متسعة لاختلاف وجهات النظر، فأنا مع قاعدة مشتركة حزبية بين الأحزاب في لغة الولاء والانتماء الوطني والعروبي، ومساحة ممتدة حولها

تسمح بلغة الاختلاف في التعاطي مع الآليات وبرامج الإصلاح التي تميز كل حزب وتجمع عن أخر. وهنا موضع الإشكالية في عالمنا العربي، لأنه إلى الآن ما تزال الرؤى الفكرية ومنها الإسلامية تلتزم أفقاً ضيقا لها لا يسمح بالتداول مع الأخر واحترام لغته وثقافته، علما بأنه لا إشكالية في قبول الأخر ورؤاه ما دام هناك نقاط مشتركة وطنية وعروبية وإنسانية بين كافة الأطياف الفكرية والسياسية، وهذه النقاط المشتركة تعزز التوافق لا التصادم بين كافة الأطياف الفكرية والسياسية.

أما بشأن حديث الأنظمة السياسية العربية بشأن خصوصية المجتمعات هروبا من التعاطي الحقيقي مع الديمقراطية، فهو من متطلبات اللعبة السياسة من جهة، واللغة الخطابية الدعائية من جهة أخرى، وأنا لا انفي حقيقة خصوصية للمجتمعات في ظل تطبيق الديمقراطية، ولكن ليس دائما توضع تلك العبارة في مقامها الصحيح ووزنها الحقيقي، فالخصوصية لها متطلباتها ولكن في ظل الخطاب السياسي العربي، فالخصوصية بعيده عن جوهرها الحقيقي وهي محض لعبة سياسية للهروب من الديمقراطية، ودوما الديقرطية هي لفظة دعائية في الخطاب السياسي العربي، والواقع لها هو محض استبداد مطلق بلا حدود، كبت مطلق، أحادية مطلقة، أنانية مستعرة هوجاء.

رؤية نقدية للواقع من منظور نيتشه وجاسبرز

تتسارع الأيام وتزداد الفجوات وتنكمش حيناً آخر لتلتقي عند مفصل زماني واحد، فيغدو الأمس اليوم، والغد فيهما واحد، وذات الواقع بعينه الذي يجدد جيناته موروثات الماضي وديناميية الحاضر ونشوة استشراف المستقبل، فيتشكل مقطعاً واحداً في ثلاثية (الماضي، الحاضر، المستقبل) في لحظة سبر عميقة عند الإطار العام للوحة الحياة وأركان وحداتها الرئيسة، وتتشكل هنا التساؤلات في ظل تلك الثلاثيات الساكنة على مقاطع الزمان، هل هي وجه الواقع في آنه أم هي عين لغة الحضارة في كافة أشكال مقاطع محياها في نضرة الجمال وشحوب الطلة، وعند تلك الجدلية الحائرة تتحرك طرقات استلهامات الأوراق القديمة وانتثارات حروفها البحاثة الناقدة في عوالم تؤامية، وترتسم في لغة نيتشه وجاسبرز، في رؤية جمعية لمقاطع زمانية غابرة، وكأنها لغة ناطقة في ديارنا العابرة نحو آفاق مجهولة مبهمة.

فيشير نيتشة في كلماته النقدية العتيقة لواقعه، انه متأزم حتى النخاع، سواء من سلسلة التفكك الأسري التي تتهاوى شيئاً فشيئا، وانهيار التقاليد، وتواجد تكتلات جمعية لأضعاف الفرد، وبقائه حرف بلا معني في تركيبة المجتمع، وظهور نوع من الزعماء المنافقين المتخصصين في التملق للجماهير وعبادة الدولة، وتسخير الحضارة لغايات همجية، وظهور اقتصاديات المنفعة التي انعكست في إيمان المجتمع بالقيم السوقية، وتسخير غايات الحضارة للأغراض الشخصية، وتبديد طاقات قدر كبير من طاقات الأفراد في هم الكدح ولقمة العيش، حتى لا يكون هناك لغة تفكير في الأدمغة باستثناء هم لقمة العيش، في متتاليات حرمان فكري، وتحويل الفرد إلى عبد للميكانيكا، وتدهور المعتقدات الدينية والأخلاقية، إذ لم يعد الفرد مركزاً للكون ولكنه اصبح فكرة مسخرة في خدمة الأخر القوي.

فضلاً عن إهدار آدمية الفرد عبر قنوات التعليم وطغيان البعد التدريسي الجامد، حيث يقهر العمل الخلاق ولا يولد البته، فأنتشرت الضحالة فيه، وأصبحت غايته تخريج عبيد من الموظفين السطحيين الملمين بالقراءة والكتابة فحسب في نتاجات سطحية وثقافة

قاصرة، لا تتذوق إلا الأعمال الرديئة من الموسيقى والشعر، لذلك فأن أنظمة التعليم هذه هي أسوأ عائق لخلق حضارة نضرة، وفي الفن طغت الصنعة على الأصالة والنعومة المخنثة على الفحولة واصبح شعاره التأثير بأي ثمن، والجري وراء طرائف الموضوعات الغريبة أو المريضة أو المرعبة، وتلفيق الأساليب المستعارة، والخضوع الكامل لأذواق الجماهير أو الجهدين الباحثين عن المتعة أو الأغبياء.

وفي الدين تترأى لك بجلاء سلبية المتدين الذي ينأون بأنفسهم عن إيجابيات الدين والانغلاق في ظاهرية النصوص، وركونهم لحو مطالب الدين عن الدنيا، فضاعت الدنيا في سوء الفهم في سلوكهم الظاهر، وبقيت دفينة الأعماق تعمل أثرها في الدمار للمنهج وحقيقة الفهم.

فضلا عن اختفاء عمالقة الإبداع ليحل محلهم نفر من الأقزام الذي لايليق انتسابهم للمهمة الجليلة التي تضطلع بها فلسفة الحضارة والحياة .فلسفة الحقيقة، وتواتر استنساخي على الركون إلى الماضي ورواية تاريخه بنمطية مترهلة.

وفي البعد الأخلاقي بلبلة من المثل المتضاربة الحائرة بين النزعة الإنسانية والتفاؤل والإيثار والرحمة ونوع من الرخاوة والنفاق ومنظومة متناقضات ومنها من يدعو إلى مثالية زائفة تتجاهل الحقائق. وإهمال الذات في الهروب لحو المعاش والأمة وعدم الاستماع لنداءاتها في لغة الوجدان، حيث يغدو الفكر فيها مشوشا، ولاشيء يستطيع النفاذ إلى قاع الوجدان، وظهور آدمية متناقضة من المتسامحين الضعفاء أو من المتعصبين الأغبياء، وبروز أزمة عدم التكيف مع مشكلات العصر.

وبذلك اصبح الإنسان الحديث ألعوبة في يد المتغيرات الخارجية، وتسبب ذلك الاضطهاد الخارجي في إحداث قلق مستبد في الحياة اليومية، فالحضارة الحديثة أضعفت الإرادة الإنسانية في لغة الاستلاب، واحكام نتشة عليها هي أنها في إطار التدهور والاضمحلال لما تعج فيه من تفكك وتضارب وإنهاك.

وينتقد جاسبرز واقعه المتأزم بشكل لاذع إذ وصفه بتدهور الروحية واصابتها بالهز[illegible] [illegible]دين باختفاء صفوة المثقفين الذين جاهدوا لترويض أفكارهم ومشاعرهم،

وخلقـوا لـنا كـل مفاخـر البـشرية، والجماهير العريضة محرومة من الفراغ مع الفكرة العاقلة ولاتهـتم إلا بلقمة العيش والبحث عن المتع الرخيصة، فلا عجب أن تحل الصحف المصورة مكان الكتب الجادة، لأن الناس يقرأون على عجل مجرد شذرات مهمشة مشوشة، ويطالبون بمـا قـل، ولايهـم مـزيته في الدلالـة، لأنـه لم يعد هناك صلة عميقة بين القارئ ومادة قراءته، فـضلا عـن حالة الانعزال الثقافي للمثقفين فكل غارق في جزئيات تخصصه دون تواصل بين التخصـصات وتلاقيها معا في رحلة الفكر والتغيير، إذ لم يعد هناك موضوعات جادة مشتركة تجمـع بيـنهم، ممـا عـزز العـزلة الثقافية بين المتثقفين في كافة التخصصات، والمثقف بحاجة إلى حالـة توعـية لمعرفة طريقة التعاطي مع التاريخ، إذ عليهم أن يدركوا أن قراءة التاريخ ليست وسـيلة للهـرب مـن الحاضر ومشكلاته أو بقصد متعة دراسة ما فعله جدودهم وأسلافهم . فـيحب ألا يكـون الإلمـام بالماضـي سببا في تحطيم الحاضر أو تصوره في صورة مزرية . إن ما نكتسبه من معرفة بالماضي يساعدنا على إعادة خلق الحاضر.

والـتعلق بالـتاريخ الـذي يكتفـي بالقـراءة لاقـيمة لـه علـى الإطلاق، فالواجب أن يساعدنا تعمق التاريخ على اكتشاف المنابع التي تغذي الحياة الحاضرة بالأصالة.

وينسب جاسبرز كل الخلال في الحضارة إلى الإعلام عبر صحفه، لأن نفقات الجريدة ترغم صاحبها على بلوغ غايته في الكسب بأي ثمن ولو أراد العثور على سوق لسلعته فعليه أن يخاطـب غرائـز الملايـين بالإثـارة والتركيـز علـى التوافه والصغائر، والحرص على تجنب إجهـاد قـرائه باسـتعمال عقـولهم والاكـتفاء بجعلـها معطلـة تحت وطأة الحس بغرائزي، لذا اتـسمت الـصحافة بالـضحالة بـل بالخـسة ! وإذا أرادت الـصحف الانتعاش فعليها أن تبيع نفـسها لمراكـز القـوى الـسياسية والاقتـصادية، ومن هنا يفتن الصحفيون في تنميق الأكاذيب والـتهويل في الدعايـة علـى نحـو منفـر، فتـتعطل المراكـز العليا من عقولهم لأنهم يكتبون ما يكلفـون القيام به، ولا يستطيع الكاتب الإخلاص إلا إذا سيطرت على ضميره مثل أخلاقية سـليمة، وإذا تحدثـنا عـن رسالة العلم فسنرى اختفاء الاهتمام بالنظرة الجامعة التكاملية منه والاقتـصار علـى العلـم بالجزئيات، دون دراية بعلاقتها بالكل، وتقدر قيمة المعرفة من ناحية نفعها بدلا من ارتباطها بفلسفة غايتها الاقتصار على الجزئيات، وبذلك أصبحت نتائج العلم

معلقـة بالهـواء بـلا جذور في المعرفة بمعناها الصحيح، لذلك اصبح العالم في موقف سئ فهو يعـرف جـزءا صغيرا للغاية مما ينبغي أن يعرفه، لأن الحضارة الحديثة لم تلهمه الرغبة الحق في المعـرفة بما كان ينبغي أن يعرف، ويبرر جاسيرز نقده القاسي لواقعه بأنه هدف منه إنقاذ ذلك الواقـع والحـضارة معـا مـشيرا إلى أن مـن يهدف إلى المستحيل هو وحده الذي يستطيع بلوغ الممكن".

وهـذه المـساحات النقدية لعمالقة الفكر الألماني في القرن التاسع عشر لماهية واقعهم المـتأزم بالمتناقـضات، هـي عـين واقعـنا في عـين الألم والنكوص، ولا يوجد تمايز بين الرؤى الـنقدية المطـروحة في العـرض الـسابق وواقعـنا المعاصـر بكافـة أشـكاله وتنوعاته في الفكر والـسياسة والتربـية والفـنون والأدب ومـسيرة العلـم والعلمـاء والواقـع الأخلاقي والرؤية للواقـع الـديني وأزمـته في واقعـنا المعاصـر، وهـذا يعـيدنا لمفاصل التقاء مساحات الزمان في الـرؤية الـنقدية، في عين المفكر التي تسبر أعماق هموم واقعه لترنو إلى المستحيل في الإبداعية المطلقـة مـن خـلال اجتـياز محطـات الممكن الإبداعي في سماءات العطاء والإنجاز، على حد قـول جاسـيرز، وتلـك تناثـرات استلهامات القراءات في أوراق عتيقة صفراء، تنسكب بردا على قلوبنا في همة التطلعات وإبداعية المنجزات والرؤى التنويرية في فك أزمة الواقع بالفكر ولغـة الحـوار الهادئة وتشخيص الداء ومعالجته في التلاقي والتلاقح الفكري في مسيرة علمية عملـية معطـاءة تتسق النظـرية فـيها مع مسرحها العملي على ارض واقعنا، وتطول محطات التجاوب مع تلك المعطيات الفكرية ولن تنتهي.

رؤية نقدية في انتهاكات أمريكا لحقوق الإنسان

يـزداد الوضـع دمـوية في العـراق، مـع قـدوم صيف ٢٠٠٧ على العراق، ومساحة انـتهاكات حقـوق الإنـسان، تتـسع دموية في العراق، على يد الجيش الأمريكي، والميلشيات المـسلحة، الـتي تغـذيها الـبرجوازية المتنفذة مالياً وسياسياً في العراق، وتواجه تلك المعطيات، حـركة معارضـة تـزداد اتـساعاً، في مواجهة ادارة بوش، التي تزداد حماقة وتوحلاً في المستنقع العراقـي، وفي هـذا الـصدد قـدمت(مجمـوعة دراسة العراق) تقريرها الذي اشار إليه (ليون بانيـتا) في صـحيفة نـيويورك تايمز، واحد كبار موظفي البيت الأبيض، إلى الآتي بشأن تحليل الواقع الدموي في العراق:

- غياب المصالحة الوطنية هو السبب الرئيس للعنف في العراق.
- واقع الميلشيات الطائفية في العراق.
- مناهضة حزب البعث العراقي.
- المعتقلون في سجون الحكومة العراقية سياسياً.
- غياب المصالحة الوطنية بين السنة والشيعة.
- الفلتان في لواقع الأمني في العراق.

وفي الـوقت ذاتـه، هـناك من يؤكد على أن أمريكا، لاتريد الوحدة الحقيقية للشعب العراقـي، وانها ما زالت تمارس سياسة الكذب واللغة المضللة، ويستشهد على ذلك بأنزعاج ادارة بـوش مـن تـوحد الأحـزاب والطوائـف العراقية، وهي تحمل العلم الوطني، في ذكرى الاحـتلال الأمريكي للعراق، الذي هو رمز الوحدة الوطنية، كما قال (حازم الأعرجي) احد ممثلي الصدر الكبار، في بغداد، فأننا جميعاً متوحدون في دعوة أمريكا للإنسحاب من العراق.

ويشير المحللون السياسيون الأمريكيين، بأن واقع أمريكا جد هزيل في العراق، ويبرر ذلـك لأنـه حتـى اللحظـة مـا زالت الألسن تردد، الكذبة الأمريكية بأن الأجتياح الأمريكي للعـراق كـان لغرس الديمقراطية في الأراضي العراقية، وادارة الحرب بحجة ان الرئيس صدام

حسين يمتلك اسلحة دمار شامل، او أنه حليف لأسامة بن لادن، والحقيقة الدامغة، في ضوء ذلك كله، هو ازدياد الكراهية ضد الأمريكيين والأسرائيليين، من قبل العالم العربي الإسلامي.

هذا فضلاً عما تشيرإليه استطلاعات الرأي في الغالبية العظمى، بأن محرري البلد (العراق) المفترضين، هم محتلين اشرار، وتتناول الصحافة الأمريكية ايضا، سياسات الكذب والتضليل في ادارة بوش الأبن، وتشير إلى أن إدعاءات أمريكا بأنها تسعى لبناء قومية عراقية حقيقية، هي ادعاءات كاذبة، وان مشروع أمريكا في تصدير الديمقراطية الأمريكية إلى العراق فاشل بإمتياز.

وفي ضوء قراءة نقدية للحرب الأمريكية على العراق، يشير احد الصحافيين الأمريكيين، إلى قول كولن باول، قبيل الحرب الأمريكية الفاشلة على العراق، بإنكم إذا حطمتموه(العراق) فسوف لاتكونون قادرين على امتلاكه مرة اخرى، وهذا ما ذكره (روبرت شير) في صحيفة ذي نيشن، لأن في ذلك التحطيم ردة فعل، وهي ان العراقيين سوف يكرهونكم لذلك، وسوف يحاولون قتلكم كل يوم، حتى يعيدوه.

والنتائج اليومية لحرب أمريكا على العراق، تؤكد حالة الرفض العراقية لهذا الاحتلال، وقد اثبتت هذه الحرب اخفاقات المحتل إنسانياً وعسكرياً واستراتيجياً واقتصادياً ومعنوياً.

وتؤكد تقارير منظمات حقوق الإنسان، إلى ان الوضع في العراق جد مأساوي، وانه يعاني من جرائم حرب حقيقية، إذ قتل من الشعب العراقي اكثر (٢٠٠,٠٠٠) عراقي، ووغادره اكثر من (٢) مليون إلى دول الجوار، وفق التقارير الصحفية الأمريكية، وهؤلاء اللاجئون يتهددهم مستقبل غير معلوم، وهناك ملايين لاتملك المال الكافي لمغادرة العراق، بسبب فقرها، ويسكن قرابة (١) مليون مخيمات اللحوء التابعة للمنظمات الإنسانية، المنتشرة في كل مكان.

وفي نفس الوقت، تستنزف ثروات الشعب العراقي، الذي يموت فقراً وجوعاً، لصالح الدكتاتورية الأمريكية، إذ ان هناك تساؤلات بشأن (خمسمائة مليار دولار) من

عائـدات النفط العراقي، التي تبخرت وضاعت بين شركات إعادة الإعمار الأمريكية، التابعة بطـريقة او بأخـرى لإدارة بـوش، فالشركات لم تقم بواجبها بإعمار العراق، وانما استهلكت انابـيب الـنفط لأغراض اخرى، في الوقت الذي لم تتطور فيه عمليات الأستخراج والتكرير، وبقي الحال كما هو عليه بل بات اسوأ.

ومـا يـزال الـشعب العراقـي يغـرق في الفقـر، وزادت نسبة وفيات الأطفال بشكل ملحـوظ، وتـراوحت نـسبة البطالة بين ٤٠٪ - ٦٠٪، وهي اعلى نسبة بطالة تشهدها تاريخ الأيـدي العاملـة في العـراق، وزادت الجـرائم، وخـرجت عن نطاق السيطرة، لأنتشار القتلة المأجورون والخاطفون الذين يتجولون بكل حرية، وغابت كل المعطيات، التي تشير إلى وجود مجتمع مدني متحضر.

وفي ظـل تلـك المقاربات ما زالت مقولة بوش ،لها صداها، من السخرية والمهزلة في الأن ذاته، إذ كان يقول، بعد زوال نظام صدام حسين، ستزول دكتاتوريات اخرى في الشرق الأوسـط، وسـيكون مـن الـسهل انـشاء نمـوذج فـريد مـن الحرية، والديمقراطية، في العراق، وستكون بمثابة التجربة الغنية، لأجراء انتخابات حرة في عموم بلدان المنطقة، وسيساهم ذلك كله، بضمان الأمن لحليفتنا إسرائيل.

ويـرد باتـريس كلـود مـن صـحيفة لومـوند علـى بوش "لاشئ يبدو من هذا الكلام صـحيحاً، ولا حتـى الجـزء الأخير من الكلام، فالحليف يبدو مهدداً اكثر من أي وقت اخر، من قبل ايران وسوريا، على حد قول باتريس.

وفي قراءة ناقدة لباتريس كلود بشأن الواقع السياسي العربي، فإنها تتحدد بالآتي:

- لبنان مهدد بالعودة إلى عهد الحرب الأهلية.
- النظام المصري يتلاعب بالدستور لضمان خلافة مبارك الأبن.
- السعودية يهددها فكر سلفي متطرف بدأ بالانتشار.

ويـؤكد باتـريس كلود في صحيفة لوموند على فشل الحرب الأمريكية على العراق، لأنهـا انـشأت فرع مستقل لتنظيم القاعدة في العراق من جهة، وخلصت ايران من خصومها في افغانستان والعراق، بمساعدة أمريكا، وهي ماضية دون عودة إلى امتلاك القنبلة النووية.

وفي ظل تلك المعطيات المتأزمة، ما زالت أمريكا تكذب بشأن الحرب على العراق، والكذب استراتيجية سياسية مهمة في سياسة بوش، إذ أن ادارة بوش تطلق كذبة صغيرة، ثم تتبعها كذبة اخرى، ومن ثم اخرى، وهكذا، وبالواقع ليس المطلوب من الأكاذيب الصغيرة الإحتفاظ بزخمها طويلاً، بل خلق نوع من الخلفية التي تؤدي لجو من البلبلة.

لذلك يؤكد المعارضين لسياسة بوش، بأن ما قام به بوش هو سياسة التضليل، مستغلاً قضايا الأمن القومي، وهكذا فإن الألة الدعائية للجناح اليميني تعتمد بصورة رئيسية على الأكاذيب الصغيرة، وها هي اليوم تعود إلى اصولها، وهذا ما اكده بول كروغمان في صحيفة نيويورك تايمز.

والجدير بالذكر بأن قناة فوكس نيوز، تلعب دوراً حاسماً في استراتيجية الأكاذيب الصغيرة، وهي السبب في تنامي الضغط على السياسيين من الحزب الديمقراطي.

وهكذا يختصر الوضع الأمريكي في العراق بأن أمريكا تريد البقاء في العراق اكثر مما يريد منها العراقيون البقاء.

ويؤكد ذلك ما يتطلع إليه بوش وديك تشيني في اقامة المزيد من القواعد العسكرية، التي تبعث الخوف في العراقيين بشكل دائم، وهم لايفكرون بالإنسحاب، بل البقاء، في الوقت الذي ما يزال فيه الشعب العراقي يعاني من الخوف وانتهاك حقوق الإنسان، وسلب ثروات الشعب العراقي.

وهناك استطلاع اجرته أي بي سي للأخبار وصحيفة يو اسي توداي في العراق، بإن ٨٠٪ من شيعة العراق و٩٧٪ من العرب السنة، يعارضون الوجود الأمريكي، و١٥٪ يؤيدون الهجمات ضد أمريكا، و ٣٥٪ يريدون رحيل القوات الأمريكية فوراً.

وربما يزداد الرفض العراقي للوجود الأمريكي في صيف ٢٠٠٧، حيث ما يزال الواقع العراقي هو حالة من الفوضى البناءة بصناعة أمريكية، وحمامات من الدم والمجازر المأساوية.

واشار استطلاع اجراه معهد بروكينج، بأنه لأول مرة يكون الرئيس الأمريكي مكروهاً لدى العرب اكثر من رئيس الوزراء الإسرائيلي، هذا ما ذكره جاكسون دهل، في صحيفة واشنطن بوست.

وفي تقييم للاستراتيجية الأميركية في العراق عام ٢٠٠٧ يؤكد المحللون العسكريين، بأنه لاقيمة للخطة الأمنية، التي يديرها بوش في العراق، ونسبة النجاح لها ضئيلة إذا ما استمرت، وليس فيها افق لوجود افق لحلول سياسية، وعام ٢٠٠٧ للجيش الأميركي ساخن للغاية، لأن المقاومة العراقية، تعلمت تقتنص الجنود الأمريكان، وكيف تضرب اماكن بارزة للحكومة مثل المؤسسات الرسمية، والجسور والمباني الحكومية.

ومنظمات حقوق الإنسان، التي تتابع الوضع المدهور في العراق، تحذر من جرائم الحرب السائدة في العراق، في كافة اتجاهاتها، من قبل الجيش الأمريكي، حيث اصبحت الساحة العراقية متدهورة، من قبل الجيش الأمريكي، والممارسات المنتهكة لحقوق الإنسان من قبل حكومة المالكي، حيث تزداد حوادث تفجير السيارات والشاحنات المفخخة كل يوم، التي تحمل قنابل صنعت من خزانات الكلور، والضحية هي من كل الطرفين السني والشيعي، لصالح أمريكا وقوة متنفذة، لها مصالح في تردي الوضع العراقي وتفتت لحمته الاجتماعية.

وفي ظل الواقع المأساوي في العراق، تقول رايس بأن الحل في الشرق الأوسط يكمن في توفير مجتمع اكثر انفتاحاً، في الوقت الذي تمارس فيه أمريكا كل اساليب الدكتاتورية والإرهاب الهمجي في العراق، بقتل المدنيين، وترويعهم، بلا اسباب مبررة لذلك، الا وحشية السياسة الأمريكية وحماقاتها اللامتناهية في الساحة العراقية.

إن ما يدور في العراق هو بإختصار حالة وحشية من الهمجية الأمريكية في احتلالها لبلد امن مستقر، هو بأختصار العنف والتطهير العراقي، ولا بد من التخلص من ذلك، من خلال انسحاب القوات الأمريكية، وتحقيق المصالحة الوطنية في العراق، حتى يمكن انقاذ ما يمكن انقاذه و حماية العراق بوحدة اراضيه واستقلالية قراراه وتوحد كافة لغات المختلف طائفيا ومذهبيا وعرقيا.

وربما يرتبط ذلك بإنسحاب فوري للجيش الأمريكي من العراق، وتفعيل لغة الحوار في التعاطي مع الملفات الساخنة، ولكن الواقع يؤكد ان الإدارة الأمريكية تتعاطي بلغة الحديد والنار عوضاً عن لغة الحوا ر، في سياسات اليمين المتطرف الأمريكي، بقيادة بوش الأبن، لأنها ترى ان الميل للحوار هو مخدر جديد، مع دول الممانعة مثل سوريا وايران، والقوة هي اساس النظام العالمي الجديد، ولذلك ليس هناك تفاؤل لدى الشعوب العربية، بشأن مبادرات السلام، لأنها ايضاً مما يجزم انه مخدر جديد للشعوب العربية، وان القوة يجب ان تواجهها قوة، لأن لغة النظام العالمي الجديد، قائمة على القوة.

وفي صدد الحرب الوحشية من قبل أمريكا على العراق، مع ما فيها من ملفات ساخنة في انتهاك حقوق الإنسان، تتوجه الأنتقادات الأتية لادارة بوش، من قبل المعارضين للحرب الأمريكية على العراق، وادرجها على النحو الآتي:

- يعد اهمال الجرحي، في الجيش الأمريكي، من قبل ادارة بوش الأبن، وصمة عار، في ملف الحرب الأمريكية على العراق، لدى بعض الصحافيين الأمريكان، الذين تابعوا هذا الملف، مع ما فيه من فضائح ادارية لوزارة الدفاع الأمريكية.
- الاستخبارات الأمريكية تدير سجوناً خارج أمريكا، في أماكن بعيدة، لايطالها القانون الأمريكي.
- ضبط العديد من الجنود الأمريكيين ضبطوا وهم يسيئون معاملة السجناء في ابو غريب، واشارت محطة المجد الفضائية، في خبر اوردته حول دراسة أمريكية لواقع الصحة العقلية، للجنود الأمريكيين، إذ اشارت إلى ان ١٠٪ من الجنود الأمريكيين يسيئون معاملة العراقيين، واحدى الدراسات الأمريكية اشارت إلى ان ثلث الجنود الأمريكيين يقرون بتعذيب العراقيين.
- ماذا تقدم أمريكا إلا المزيد من العنف واللااستقرار في العراق، إذ ما زالت الحكومة العراقية، متواطئة في نشر الرعب في العراق، وانتهاك حقوق الإنسان والمعتقلين، وتمارس سياسات التطهير الطائفي، وما يزال المسلحون يسيطرون على زمام الأمور

في بغداد، حيث يعثر كل يوم على ٢٠ جثة على الأقل قد تعرضت للتعذيب والتنكيل.

- بناء أمريكا سجن جديد في خليج غوانتامو – كوبا ،حتى يفعل الرئيس بوش ما يحلو له، تحت عناوين صارخة رنانة في محاربة الإرهاب والأصولية الإسلامية.
- إزدياد الرفض العالمي لأمريكا.
- مشكلة الرئاسة الأمريكية الحالية أنها تعتقد انها تتلقى اوامر من الله.
- لقد جاء بوش إلى السلطة وهو يحمل فكرة مبالغاً فيها عن حجم سلطات الرئيس، تستند إلى فقرة دستورية، تجعل منه القائد الأعلى، للقوات المسلحة، واحداث الحادي عشر من ايلول، فأعطته الفرصة لتوسيع تلك الفكرة.

وفي مسلسل انتهاكات حقوق الإنسان، تستند منظمات حقوق الإنسان، على تلك المقولة الاستعلائية من قبل احد الجنود الأمريكان إذ يقول "هناك خط انذار، وخط خطر، ولديك خط قتل، واي شخص داخل ١٠٠ متر، هو ضمن المنطقة الخضراء، وعليك ان تقتله، دون تردد وتحري لحاله ،هذا ما يقوله الجندي الأمريكي ماريو لوزانو" في صدد تبريره لقتل عملي المخابرات الأيطالية نيوكلا كاليباري، وهذه الفلسفة اللاإنسانية، التي تعتمدها القوات الأمريكية في العراق، وهذا ما اكدته صحيفة برافدا.

وفي هذا الصدد يقول الإعلامي اللامع محمد حسنين هيكل في صحيفة الأندبندنت، في معرض حديثه عن الوضع في مصر والشرق الأوسط عامة، خلال مقابلة اجراها معه الصحفي البريطاني روبرت فيسك "أن اعداء أمريكا ليسوا فقط طالبان وحماس وحزب الله، بل بحر عروم من الناس العاديين، الأميركيون احدثوا دماراً هائلاً في المنطقة.

وهناك انعكاسات للوبي الصهيوني، على الانحدار الخطير للسياسات الأمريكية، في معسكر المحافظين الجديد، وهناك مؤشرات من كل كتابات لستيفن والت، وجون بير شايمر، وجيمي كارتر، كأدلة على ان الأمريكيين ذاتهم، قد اصبحوا يعترفون بأن اللوبي الصهيوني يسيطر على حكومتهم، وهذه خلاصة مؤشرات المؤتمر الذي رعاه مركز الدراسات

الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، ومعهد اميركان انتر برايز، ويقول ديفيد بروكس، بأن أمريكا تدخل رحلة اكثر صعوبة، من الصراع ،ليس حول الأرض، او النفط، او حتى المؤسسات الديمقراطية، بل حرباً حول الروايات، كما ذكر ذلك الصحافي ديفيد بروكس، في صحيفة نيويورك تايمز.

- فالرواية الأمريكية بشأن مشكلات الشرق الأوسط والفوضى الدائرة فيه تعود إلى – الأصولية والإرهاب.
- الرواية العربية بشأن النزاع العربي الإسرائيلي، وعدم الأستقرار في لبنان، و الفوضى في العراق، والمواجهة مع ايران، ، تعود للوجود الصهيوني في المنطقة، وحماية أمريكا للوجود الصهيوني وانتهاكه لحقوق الإنسان، وتعديه على جيرانه، لحماية مصالحه والمصالح الأميركية في المنطقة، هكذا فأن ازمات الشرق الأوسط في الرواية العربية تعود للصهيونية، وقد دعموا ذلك بعدة اقوال لمفكرين امريكيين بهذا الشأن، وازمات الشرق الأوسط في الرواية الأمريكية تعود للإرهاب والأصولية، وهكذا لايوجد تلاقي بين كلا الروايتين، وهذه خلاصة المؤتمر وتوصياته في الحوار العربي – الأمريكي، هذا بحسب استخلاصات الصحافة الأميركية لواقع هذا المؤتمر ونتائجه في الحوار العربي – الأمريكي.

وتختصر ام احد الجنود الأمريكان "جانيت سايمور" في مجلة التايم المهزلة الأمريكية في العراق بقولها "ماذ تفعل أمريكا في العراق، انها تقود ابنائنا من الشباب الصغار إلى المجهول الاحمر، وتشحنهم بذلك، انهم لايعرفون ما هم مقدمون عليه في العراق، انهم لم يشهدوا حرباً قط إلا على شاشات التلفزة، هذا ما تقوله والدة احد الجنود الأمريكان "ماثيو زيمر" الذي تلقى تدريباً لمدة ٩ اسابيع، وقتل بعد ٦ ايام من وصوله، وتلك االحادثة اججت منظومة من الأنتقادات لإدارة بوش الأبن، من حيث عشوائية الأدارة الأمريكية، واستخفافها بشعبها، فهي لاتقدم تدريبا كافيا، وسياسيتها العسكرية تقوم على السلق،

والـضحية هـم الـشباب الصغار، الذي يذهبون ضحية تلك السياسات الشخصية اللاواعية، التي تستهدف تحقيق نصر موهوم، على حساب هؤلاء الفتية الصغار.

ويقـول آفي شـلايم مـن صحيفة الغارديان، بأن الحرب على العراق بأنها حرب غير شـرعية وغـير ضـرورية، انهـا حرب شنت بموجب تصورات زائفة ودون موافقة رسمية من الأمم المتحدة.

ويـرى محللـون اخرون، بأن هناك لغة سياسية ودينية لدى بوش مفادها، أن الطريق إلى القـدس يكـون عـبر بغداد، وهذا المنطق خاطئ، لأن بغداد لا تشكل تهديداً على أي من جيرانهـا، وبالتأكيد لا تشكل تهديداً لبريطانيا وأمريكا، هذا في معرض المقالة النقدية من قبل الصحافة البريطانية المعارضة لسياسات بلير وتحالفه مع اميركا، حيث قدم بلير كل التنازلات لبوش، ولم يحصل على أي شئ.

وهكـذا تـبدو لـنا الـصورة العامـة في العـراق حمـراء قاتمـة دمـوية، تزخـر بعـدم الأسـتقراراللامحدود، وانطلاقـات حـرب اهلـية، وفوضى عارمة وعنف طائفي شرس يسود المـساحات العـراقية ،وزيـادة في الأنـشطة الإرهابـية مـن جميع الأنواع، وتمرد وطني، وغياب حقيقي لمفهوم وحدة الشعب العراقي والاعتصام بها.

يقـول شـلايم، لم يكلـف المحـافظين انفسهم جهدا، في التخطيط لأعادة البناء لما بعد الحـرب في العـراق، لقـد رافق الاحتلال تدمير وخراب على مستوى هائل وموت للمدنيين، قدرته احدى المصادر بحوالي ٦٥٥ الف قتيل، في الوقت الذي يفاخر فيه الحلفاء بأنهم جلبوا الديمقـراطية للـشعب العراقـي، ولكـنهم فـشلوا بالواجب الأساسي لأي حكومة وهو توفير الأمـن للـسكان المدنـيين، لـذلك فـإن الـتاريخ سيـصدر حكمـه القاسـي على بوش وبلير، والمتورطين في الحرب على العراق.

ويقـول جـيمس زغبي من صحيفة ميديا مونيتور بأن ما يحدث في العراق ليس حرباً اهلـية، ان مـا يحدث هو صراع على السلطو بين جماعات سياسية متنافسة، وابرياء من السنة والـشيعة عـالقين في الوسـط، ونقـل جـيمس هذا الكلام، عن الطلبة العراقيين الذين اجرى جـيمس محـاورة بيـنهم وبـين طلـبة دافيدسـون عـبر شاشة التلفاز، وفي نهاية المحاورة، طرح

جيمس تساؤلا على الطلبة الأمريكيين تحت عنوان: كم واحداً منكم يظن اننا يجب ان نظل في العراق، فأرتفعت تقريباً الأيدي في القاعة، كان واضحاً ان هذا التصويت لم يكن تأييدا لإدارة بوش، بل كان دعوة للمزيد من النقاش حول ما على الأمريكيين فعله لمواجهة مسؤولياتنا لحو العراق.

وهناك من يعلق ساخرا على السياسة الأمريكية، من قبل الناشطين في حقوق الإنسان، إذ يقول ان بعض الحكومات في العالم، تعتقد ان تحالفها غير المشروط من الولايات المتحدة الأمريكية، يسمح لها بالقيام بأشياء معينة، ضد الأقليات داخل حدودها، هذا ما قالته ايشبيل ماثيسون، المتحدثة بأسم المجموعة الدولية لحقوق الأقليات، مؤكدة أن باكستان وإسرائيل وتركيا، تعد في الدول التي تستخدم الحرب الأمريكية على الإرهاب، كذريعة للإنقضاض على حقوق الأقليات.

وأصدرت وزارة الخارجية الأمريكية التقرير السنوي للعام ٢٠٠٦، الذي يتناول مدى تطبيق حقوق الإنسان في دول العالم، وهكذا وزارة الخاريجية الأميركية تعلن عن تقاريرها السنوية بالكثير من الجعجعة، إلا أن بقية العالم نادرا ما يرد بحماس مماثل.

وقد اعلنت الصين ان أمريكا تخدع شعبها ،عن طريق ادانة ممارسات الدول الأخرى في مجال حقوق الإنسان، وفي الوقت ذاته تتجاهل انتهاكها الصارخ لحقوق الإنسان.

محللون اخرون تذمروا من نفاق أمريكا، لأن فضائحها في انتهاك حقوق الإنسان في غوانتنامو وابو غريب وحديثة، قد انتشرت وشاعت، وتساءلوا عمن يعطي الولايات المتحدة الحق في ان ترمي الأخرين بالحجارة، وبيتها من زجاج.

وتضمن التقريرالأمريكي الأبادة الجماعية في دارفورد، والتراجع الروسي في محاسبة الحكومة، وعدم السماح بتغيير الحكومة سلميا في كوبا، ومنظومة من انتهاكات حقوق الإنسان في الصين وباكستان والسعودية وايران وفنزويلا وكوريا الشمالية، حتى موناكو الصغيرة جرى توبيخها، لحرمانها مواطنيها من حق تغيير حكومتهم، اوالتنديد بالعائلة المالكة.

أما أمريكا فلا يحق لأحد ان يقاوم جيوشها المحتلة، ويغلي من قيمة المقاومة والممانعة امـام مشروعها التوسعي الأستكباري التقسيمي في الشرق الأوسط تحت عناوين الديمقراطية والفوضى الخلاقة، ومن يخالفها فالتهم جاهزة، والحكم جاهز، وابو غريب وغوانتنامو وغيره مهيأ لأستقبال المزيد.

وتلك الدلالات تشير سيكولوجيا، إلى تفشي السادية في السياسة الأمريكية، والتلذذ اللامتناهـي في تعـذيب الـضحايا، وفق اخر طبخات وصرعات ادارة بوش للملفات المتأزمة في العالم العربي والإسلامي.

وورد في التقريـر الـصادر عـن وزارة الخارجـية الأمـريكية ايضاً، اشارة بسيطة على اسـتحياء إلى سلـسلة مـن اخطاء أمريكا، إذ ورد في المقدمة "أننا نعترف بأننا نكتب التقرير في وقـت يخـضع فـيه للتـشكيك الـسجل الخـاص بنا، وما قمنا به ردا على الهجمات الإرهابية ضدنا".

والـدلالات الـسيكولوجية ممـا سبق؛ تؤكد ان أمريكا تعاني من مشكلة المصداقية، وتـضمن التقريـر حـول العـراق، كلمـات قاسية للحكومة العراقية، بعدوم وجود الأشراف القـضائي في الـسجون، ومراكـز الاعـتقال العراقية، والاعتقال التعسفي، وحالات التعذيب وغيرها من الأنتهاكات التي تمارس على يد عملاء حكوميون وجماعات مسلحة، والحقيقة ان أمـريكا تعـد اكـبر المنـتهكين لحقـوق الإنـسان في العـراق، ولايختلف على ذلك اثنان، لأنها احـتلال بالقـوة، وغير مرغوب فيه، وغير مرحب به البتة، وهكذا يغفل التقرير ما تم اعتقاله من المشـتبه بهم، وتعذيبهـم لمجرد الأشتباه دون التحقق قضائياً، حيث لايوجد اشراف قضائي نـزيه، وهـناك سلـسلة من الاعتقالات التعسفية، انطلقت بعد احداث ١١ ايلول، وهذا عدا عـن الـذين ترسـلهم أمريكا إلى دولة ثالثة، بعيدة عن الأنظار، لغاية تعذيبهم، واغفل التقرير ان أمـريكا تحتجـز ١٤ الف معتقل في العراق، رغم ان بعض المسؤولين الأميركيين يرجحون انهم ابرياء.

ويذكـر التقريـر ايـضاً انتهاكات حقـوق الإنـسان الـتي تقـوم بها طالبان والحكومة الأفغانـية، دون الأشـارة إلى مـئات المعتقلين هناك على يد الجيش الأمريكي، والدور المشبوه

الـذي تقوم به وكالات مخابراتية أمريكية، وتناول التقرير ايضا في مجال انتهاك حقوق الإنسان ايضاً بولندا ورومانيا وايطاليا، وتجاهل التقرير اماكن الاعتقال الأميركية السرية غير المعلنة في العالم أجمع.

انهـا المهـزلة الأمـريكية مـن جديد، في متتاليات مهازل سياسية، فما بين الديمقراطية على متن الدبابات الأمريكية، والحروب الأستباقية على الإرهاب، واتهامات بالإرهاب لكل مـن يخالفهـا الرأي او يقف في خط الممانعة في وجه استبدادها واستكبارها العالمي، يبرز لدينا تـبجح أمريكا في اعلان الدول المنتهكة لحقوق الإنسان، متجاهلة جرائمها البشعة اللامحدودة في انتهاك حقوق الإنسان.

صراع الحضارات في السياسات الأمريكية

تسيطر على سياسة بوش، عقيدة القسمة الأثنية المتوترة للعالم، والاتكاء على لغة احادية ترى الأشياء تحت محور الخير والشر فقط، واسطورة الرجل الأبيض المتفوق، وتحويل العالم إلى مزرعة أمريكية، وهذه الرؤية لا تتغلغل في اوساط صانعي القرارات في أمريكا، بل في اوساط الصحافة ووسائل الأعلام المختلفة السموعة والمرئية والمقروءة. كما يجري تعميمها في الأطر الأكاديمية، وتلك الرؤى تغذيها المؤسسة الاستخباراتية الأمريكية، وتمول ابحاثها جهات مخابراتية مثل السي أي أي، وتلك المعطيات هي تداعيات نظرية صدام الحضارات لهتنغتون، وهذه النظرية مثال ساطع على تصور اعرج للتاريخ، وقد جرى الترويج لها، وتبنته ادارة بوش في سلسلة قراراتها الأحادية ، تحت عنوان صدام الحضارات، وتلك النظرية نشرتها في البدء، مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية، التي تعد بمثابة مصنع الأفكار السياسية والتصورات الاستراتيجية للنخبة الأمريكية صانعة القرارات في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي منظومة الاقوال الداعمة لتلك النظرية العرجاء، ما قاله احدهم بأن القرن ٢١ سيكون صدام بين حضارات متناحرة، تحاول كل منها السيطرة، لا حروبا تدور بين دول قومية تحافظ على حدودها آمنة.

والرؤية السيكولوجية لنظرية صدام الحضارات، تؤكد انها نظرية عنصرية، متهافتة، لاتستند إلى ادلة دامغة، تلعب فيها مساحات المزاجية، ويشتم منها رائحة كريهة من الهوى الأستعماري التقسيمي، في دول العالم المستضعفة، وتلك النظرية شكلت بوابة واسعة، لكي تمارس ادارة بوش ساديتها المطلقة من خلالها، وتبني مواقفها السياسية وفق عنجهية وانانية تلك النطرية المتهافته فكر ومنطقاً.

وفي ظلال هذا الفكر الضيق لهتنغتون، هناك كتاب له عنوانه(من نحن)؛ يدعو للتمييز العرقي، وحرب الأعراق، وانقسام الهوية، والعودة إلى اسطورة الرجل الأبيض المتفوق، وما يهدد أمريكا نفسها والعالم معها، لحرب ضروس تدور بين الثقافات والأعراف، قد انبرى بوش لتسميتها محور الخير والشر، والحرب على الإرهاب، والفوضى الخلاقة،

والديقراطية على الدبابات الأمريكية، وعناوين ومبررات باهتة، لحرب أمريكية همجية استكبارية على العالم اجمع، لغاية مصالح شخصية بحته، قاصرة الرؤية، إذ أن من مخاطرها تنامي الغضب العالمي تجاه أمريكا، وسوداوية المستقبل الأمريكي، فضلا عن ان تلك النظرية تتعارض تماماً مع الفلسفة الأمريكية المقدسة عبر التاريخ، وهي البراجماتية الأمريكية، فتلك النظرية تتعارض معها جملة وتفصيلاً.

سيكولوجية الواقع العراقي في ضوء متطلبات المجتمع المدني

تشهد الساحة العراقية أزمات سياسية وعسكرية في كافة الأبعاد، من جهة الاحتلال الأمريكي، فقط سقط سيكولوجياً، في ضوء التكتيكات الاستراتيجية للمقاومة العراقية، وغدت صورة المقاتل الأمريكي سيكولوجياً، مثيرة للسخرية، سواء أكان يمشي ارضاً، مسيجاً بدبابة، أو محلقاً في سماء دماره لامحاله، وهذه المعادلة العسكرية محسومة لصالح المقاومة العراقية في ضوء صبرها وإرادتها وحسها الوطني.

وربما يؤجج حماستها الواقع العراقي الدموي، الذي يحصد الأرواح والحجر والأرض، وهذا واقع يفجر الرفض والتعبئة النفسية الثائرة على المحتل الأمريكي، حيثما توجه وحيثما حل.

وهناك ساحة خطرة في العراق، وهي سر دماره تتمثل بفرق الموت، التي تغذيها المرتزقة من الخارج، لصالح أمريكا وإسرائيل والعملاء السياسيين للمشروع الأمريكي الصهيوني في العالم العربي والإسلامي، فضلا عن القوى المخابراتية الأمريكية والصهوينة والبريطانية وغيرها، وتتشكل وظيفة تلك القوى التخريبية في تأجيج الصراعات الداخلية الداخلية المتمثلة بالفتنة المذهبية، من خلال تفجير مناطق سنية، لتوجيه أصابع الاتهام إلى الطائفة الشيعية، ومناطق شيعية، وتوجيه الاتهامات للطائفة السنية، وهكذا تواليك في مسلسل موت لاينتهي من التدمير والتفجير والصراعات الأثنية، والأهداف الأمريكية المتوخاة من تلك الفتنة المذهبية تتشكل في الآتي:

- التغطية على مآل إليه الجيش الأمريكي المحتل من توحل بلا حدود، وفشل ذريع في المستنقع العراقي، الذي فاق المستنقع الفيتنامي، يوعد فشلاً عسكرياً وسياسياً وسيكولوجياً وتاريخياً واستراتيجياً للدولة العجوز الشمطاء المتساقطة قطعة قطعة في بحار إرادة الشعوب وإصرارها على الحرية والحياة.
- توفير أجواء نفسية لاستمرار أنفاس الأمريكان بالنبض، وحرية التحرك والسرقة والنهب والسلب في الذهب العراقي الأسود، من خلال هاتين الاستراتيجيتين:

أ ـ إحداث صراع سيكولوجي مذهبي بين السنة والشيعة، من خلال الضغط السيكولوجي في نقطة الاحتقان الداخلي، لغاية انشغالهما بذلك الصراع، وتفجير ذلك الاحتقان في بعضهما البعض، عوضاً عن تفجيره في العدو الأمريكي الصهيوني المحتل.

ب ـ استخدام استراتيجية "الدم" من خلال الاغتيالات، عند وصول السياسة الأمريكية إلى حالة استعصاء وتأزم والجرار في مساحة ضيقة بلا أنفاس، فهنا تتحرك تلك السياسة الشمطاء، لتحريك الأحداث عبر حركة الدم والاغتيالات للأمام لصالح السياسة الأمريكية، من خلال توظيف تلك الصراعات السيكولوجية الناجمة عن تلك الاغتيالات- في تصنيفاتها المتنوعة سواء أكانت موجهة لشخصيات بارزة أو تجمعات بشرية مقهورة، كما يحدث عيانا وليل نهار في العراق عموما والساحة البغدادية على وجه الخصوص- في صراعات داخلية داخلية وتلك المعادلة تتجلى بانعكاس ووضوح في السياسة الأمريكية تجاه لبنان والعراق.

- تحقيق الصورة المنشودة للخريطة الأمريكية المقزمة المفتتة للوطن العربي والعالم الإسلامي، في ظل دويلات وفيدراليات، تحت عنوان شرق أوسط جديد، الذي تبدت مخاضاته في حرب تموز على لبنان، ونال هذا المشروع قصمة الظهر ودحر انذاك، ولكنه ما زال يتحرك لحو وعد بالولادة، تحت مظلة جهود شخصيات سياسية تشكل أدوات للمشروع الأمريكي في الساحة العربية والإسلامية، ومهمة تلك الشخصيات التقسيمية العميلة هو إشغال خط الممانعة في صراعات داخلية، حتى لايشكل ندا ممانعاً قويا مناهضاً للسياسات الأمريكية على الساحة العربية والإسلامية، تحت عناوين سياسية كبيرة و حركة استنزاف دموية عبر صناعة أمريكية لميلشيات داخلية تناهض المقاومة وخط الممانعة، فتشكل تلك الأدوات ضغوطات داخلية واستنزاف داخلي لحركة المقاومة وخط الممانعة ضد المشروع الأمريكي

الصهيوني في الساحة العربية والإسلامية، وهنا ك مستقبل يشدو له الأطراف المناهضة للمقاومة في لبنان والعراق سياسيا تحت ذرائع التقسيم، فالشرق الأوسط الجديد له خارطة فيدرالية بصناعة أمريكية لكل من لبنان والعراق والسعودية وباكستان وغيرهم، إما الأطراف المناهضة للمقاومة تحت عناوين دول عربية وإسلامية، فهي مكتسبات سياسية ضبابية في حفظ المناصب، وبيع ماء الوجه، والسير قدماً بلا وعي في سياسات التطبيع مع العدو الصهيوني، وبيع الأرض والعرض والمقدسات، والذي يحدث في المسجد الأقصى علنا إمام أعين الناس ومرأى الكاميرات خير دليل على امتهان العدو الصهيوني والمشروع الأمريكي التوسعي للأمة العربية وإذلالها وعدم الاعتراف بحقوقها، وإلغاء مقدساتها من الخارطة الدينية، تحت افتراءات وكذب محض وقح بمسمى هيكل سليمان، وسائر قطع شطرنج السياسة الصهيونية المعنونة بشعار اكذب.. اكذب... اكذب... حتى يصبح الكذب حقيقة.

- يلاحظ أيضا المتتبع استراتيجياً لخارطة الأحداث السياسية، وجود تحرك ملحوظ للسياسة الروسية في مواجهة السياسة الأمريكية، ومحاولة لتقوية خط القوى الممانعة، وبروز تحركات سياسية لتكاتف العلاقات الدولية السياسية بين دول خط الممانعة، لمناهضة السياسة الأمريكية في العالم اجمع، وهنا يبرز حدوث نقاط تفوق في الاستراتيجيات العسكرية الروسية في مجال التسلح المضاد والمتفوق على السلاح الأمريكي، حيث يعيدنا هذا إلى مرحلة تصاعد الحرب الباردة بين روسيا وأمريكا، يقابله تأكيد من خلال تدرج السياسية الأمريكية في رفع ميزانيتها على التسلح، في مجال بناء بنية عسكرية تسلحية مضادة ومتفوقة على السلاح الروسي.

ويستخلص مما سبق، انعكاسات هامة على الساحة العراقية، التي هي متأثرة لامحالة بالتحركات الدولية، ومساحات مناوراتها في مجال الملف العراقي، وهذا يعطي مؤشراً خطراً في مجال دعم المقاومة العراقية، وتحرير العراق من الاحتلال الأمريكي، وبناء حكومة تتبنى

مـشروع المجـتمع المدني المتحضر، بعيدا عن النهج الطائفي الضيق المحض في الحكم، وهنا يعد بناء مجتمع مدني، ضرورة إنسانية، لإنقاذ العراق الحضارة والمستقبل معاً.

وهـناك ثـوابت هامـة لابـد من ذكرها، في صدد مستقبل النهوض المدني، الذي يعد الضمانة الوطنية، ومنها ما يلي:

- تحديـد الـثوابت الوطنية والاتفاق عليها تحت مظلة المصالحة الوطنية الجدية الصادقة النـزيهة، وإتاحـة الـتعددية الحـزبية في ضـوء الثوابت الوطنية، وإلغاء مبدأ الخلافات المذهبية والطائفية والعرقية تحت مظلة الثوابت الوطنية.
- العمـل الجاد لتحقيق السيادة العراقية الحقيقية، وإقامة جهاز للمساءلة والمحاسبة فيمن يفرط بالسيادة أو يتألب عليها، أو يشكل جهاز عمالة ضدها.
- إقامـة جبهة رفض لكافة ابعاد ومتعلقات واثار المشروع الأمريكي الصهيوني في العالم العربي والإسلامي، ومنها تقسيم العراق إلى فيدراليات.
- تـبني خـيار الـتعايش المشترك بـين كافـة الأثينيات والقوميات، والحفاظ على قدسية الوحدة الوطنية العراقية، واعتبارها خط احمر، لايمكن بأي حال من الأحوال تجاوزه، وتعزيز كافة سبل التسامح، بين ابناء الشعب العراقي الأشم.
- استئناف حركة العلم والحضارة، وترميم ما دمر منها، وإيجاد بيئة تعتمد حرية التعبير، لـدعم كافـة سـبل رجـوع ابـناء العـراق وطاقاتهـا العلمـية إلى الديار محملين بالعلم والمعـرفة والـنهوض العلمـي، الذي سجله التاريخ، وما زال يسجله الواقع، وسيبقى شمس مشرقة في جبهة العالم العربي والإسلامي علما ومعرفة ونهوضاً.
- اعـتماد سياسات اعمار داخلية حرة، تتبني خيار التعاون الدولي ولكن في ظل ثوابت وطنـية عـراقية، وأولـويات عـربية إسـلامية أولاً، بحيث لاتكون على حساب كرامة وحـرية وسيادة العراق، ولا تكون لصالح دعم طرف ما على طرف آخر في العراق، ويمكـن تحقيق ذلك عبر إقامة مؤسسة اعمار تؤمن بالتعايش والوحدة الوطنية، بحيث تكـون سياسـاتها الأعماريـة للجمـيع، لا لفئة وطبقة ومنطقة دون أخرى، ويمكن لها اعـتماد الـتعاون العربـي الإسـلامي في ذلـك، في تقـديم دراسات استشارية في مجال

الأعمـار، وإعـادة النهوض المعماري والحضاري، بحيث تضع في أولوياتها ما دمر من أمـاكن لهـا اعتـبارات قدسية لدى اخوتنا الشيعة والسنة، ومساحات التاريخ العراقي الأصيل من الثروة التاريخية الاستراتيجية من الآثار والمتاحف والمسارح التاريخية.

وهـنا لابـد مـن اعتماد الاستراتيجيات الآتية في صدد مستلزمات هامة لبناء المجتمع المدني الحر في العراق

- بـناء ميثاق عراقي حر، في صدد الحريات في مجال التعبير والعمل الإعلامي والتسامح الديني.
- تنظـيم العمـل الحزبي في ظل معادلة الحرية والثوابت الوطنية معا التي تعتمد الوحدة الوطـنية، ورفـض العمالـة والعمـل لحساب اطراف خارجية، وبالأخص ثنائية الشر" أمريكا وإسرائيل" لقلقلة الوضع العراقي الداخلي.
- اعـتماد مـبدأ تـداول السلطة، وتفعيل العمل النيابي الحر، بعيدا عن الخلافات الاثنية والعرقية وغيرها، مما يهدد مستقبل استقرار العراق ووحدة أراضيه.
- إقامـة جهاز حر قضائي في مجال المساءلة ومكافحة الفساد في كافة مجالاته وأطره، من خـلال تـشريعات قانونـية حاسمـة، لـيس فيها لبس أو التفاف لصالح طبقة سياسية معيـنة، أو فـئة اقتصادية نخبوية معينة، او حسابات طبقية عشائرية أو غير ذلك، لأننا كـثيرا مـا نجد في عالمنا العربي أن سر أزمة الفساد الإداري والمالي تعود لسياسيين، إذ أن رمـوز الفـساد الإداري والمالـي هـم مـن الطبقة السياسية النخبوية، وتفسير ذلك يعـود لأن تلـك الطـبقة الـسياسية تتاجـر بالـسياسة والمال معا، تحت مسمى سياسي نخـبوي ورجـل اعمـال في الوقت ذاته، فنراه يضع القوانين ويجيرها لصالحه ولمصالحه المالـية الشخـصية البحـتة، ومـا أكثـرهم في عالمنا العربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
- اعـتماد سياسـة تحيـيد الجـيش، وبـناء بنيته العسكرية تحت مسميات التحييد الطائفي والمـذهبي والعرقـي، واعتماد مؤسساته مبدأ الوحدة الوطنية وثوابتها، وأولوية الأمن

للجميع، فالعراق وطن للجميع، وليس لفئة وطبقة معينة دون غيرها، بحيث يكون تدخله لصالح العراق ووحدته، وليس لحسابات مذهبية وطائفية وعرقية، وتصفية حسابات حزبية كما نراه في واقعنا اليوم.

- إعادة الهيكلية الإعلامية في ظل الوحدة الوطنية، وحرية التعبير وتعميم شعاراتها، في ظل ثقافة الحوار، والحرص على الاتفاق على المشترك العام، والابتعاد عن كافة مظاهر الاحتقان الداخلي الداخلي، واللغة الاستفزازية والعنصرية في الخطاب الإعلامي.
- تعزيز الطاقات الشبابية عبر منظمات شبابية تعتمد مبادئ المجتمع المدني الحر، والوحدة الوطنية والتعايش المشترك، والمبادرة لبناء واعمار العراق.
- تولية العناية بالمؤسسات التربوية في كافة مراحلها حتى مستوى الدراسات العليا، بحيث تعرف بالعراق في ضوء ثنائية المختلف والمتفق، فهو متعدد المشارب ولكنه واحد في عين أبنائه ومستقبله، وبحيث تولي تلك المؤسسات أهمية بالغة بلغة التعايش المشترك، وتعميم التسامح والوحدة والولاء للوطن والحرية والنهوض الحضاري، وتعمم السلوك الديمقراطي في إدارة تلك المؤسسات، وتعتمد كافة قيم المجتمع المدني، وتجعلها في ضوء خطة المناهج العامة في العراق.
- ايلاء الحركة الطبية والثقافية والفنية حقها من الاهتمام في ضوء قيم المجتمع المدني، ولغته الديمقراطية، ومبادئه في الشفافية وثقافة الحوار ومكافحة الفساد من جهة ووحدة العراق وأراضيه وقدسية التعايش المشترك من جهة.

السياسة والاستهتار بمشاعر الآخرين

تدور بوصلة السياسية، في ضوء اوراق سياسية، تبرمج في ضوء استراتيجيات، وقواعد تنفيذية للعمل، في ضوء المصالح العليا للدول، والمتتبع لتلك السياسات، في واقعنا الزاخر بالصور المؤلمة لإنتهاكات حقوق الإنسان، تحت عناوين الإبتزاز السياسي تارة، وفق المتتبع لها في سيكولوجيا السياسية وابعادها، وهنا من يضعها في إطار أكثر صراحة، حيث يربط بين السياسة، ولغة الأستهتار بمشاعر الآخرين.

فالسياسة تحتاج إلى قدر كبير من الوقاحة حتى تنجح ،وفق تحليل الأعلامي كامل الشريف (٢٠٠٧)، في احد مقالاته في جريدة الدستور الأردنية، حيث يقول إن السياسة تحتاج إلى قدر كبير من الوقاحة حتى تنجح، ولكي يكون السياسي ناجحاً لابد ان يكون وقحاً، ولابد ان يكون بليد الإحساس، مستهتراً بمشاعر الآخرين، ولديه الإستعداد لأن يدوس على الأخلاق والقيم والتعهدات، دون ان يرف له طرف، ولابد ان يكون لديه الأستعداد ليقلب الحقائق، ويعطي الكلمات نقيض معناها، لذلك وصف ارسطو الإنسان، بأنه (حيوان سياسي)، وهذه المبادئ في السياسة كانت قائمة منذ اقدم العصور، وفي زماننا الحاضر، زمن الحريات للشعوب وحقوق الإنسان، والضمير العالمي، وهي تزيد ولاتنقص.

ففي ظل تلك المعادلة في الأستهتار بمشاعر الآخرين، لامكان للأمانة والنزاهة في لغة السياسة، لأنها تقوم على لعبة المصالح، والأستهتار بمشاعر الآخرين، والأستخفاف بعقولهم، وبالأخص في سياسات أمريكا والكيان الصهيوني، اللذان يحتلان قائمة التعاطي في السياسة وفق لغة الأبتزاز السياسي وانتهاك حقوق الإنسان.

وفي هذا الصدد يقول نوعام تشومسكي، بصدد ما يدور في فكره، حول موقف أمريكا تجاه التدخل الإيراني في العراق، إذ يقول "من المفيد ان نطرح نسأل انفسنا، كيف يمكن ان نتصرف لو ان ايران احتلت كندا او المكسيك، والقت القبض على ممثلي الحكومة الأمريكية هناك، على اساس انهم يعارضون الاحتلال الإيراني، الذي يطلق عليه اسم تحرير

بالطبع، هـذا هـو في الواقع ما تفعله أمريكا تجاه ايران، فأمريكا تحتل دولة بعيدة عنها، تحت دواعـي الإرهـاب، وتلقـي القـبض علـى ممثلـي الـسفارة الإيرانية، لدواعي انهم يعارضون الاحـتلال الأمريكـي للعـراق، والمنطق يقتـضي معارضة احتلال أمريكا للعراق، وانتهاكها سيادة واستقلالية العراق، ونهب ثرواته، وتفتيت الخارطة الديمغرافية فيه، ومحاولة تقسيمه إلى فيدرالـيات، وتهديـد وحدتـه، وامـام كـل هذه الصور المريعة لأنتهاك حقوق الإنسان، تقول أمـريكا، ان وجـودها العـسكري في العـراق، هدفـه احـلال الديمقـراطية، ومحاربة الإرهاب، وتحريـره وجعلـه نمـوذجاً فـريداً للديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط، في الوقت الـذي يـسفك فـيه الجيش الأمريكي بالعراقيين، قتلا وترويعا ونسفاً لبيوتهم وسلباً لمقدرات وطـنهم، تأسـياً بـسلوك الحلـيفة إسـرائيل بمـا تفعلـه من سلوكات مريعة، تنتهك فيهاحقوق الإنسان كل لحظة بلحظة في فلسطين المحتلة.

ويقول تشومسكي ان المبدأ بسيط جدا على هذا الكوكب الذي يسير في اتجاه واحد، فالأخـرون إذا فعلـوا شـيئا يعارض السياسات الأمريكية فهو إرهاب، وإذا فعلنا الشئ ذاته، فهو سياسة خارجية، ومصالح اميركا الاستراتيجية.

والمتتبع للتـصريحات الـصهيونية في موضـوعات الـسلام، يجـدها تتفـنن في اختـيار كلماتهـا المنمقة في التعبير عن الحريات والسلام و'حترام حقوق الإنسان، وكذلك من يستمع للديـباجة الأمـريكية، الـتي مهـدت فـيها لحربها الوحشية على الشعب العراقي، تحت عنوان تـصدير الديمقـراطية الأمـريكية إلى العـراق، والحكايـة معـروفة، وهـي مهـزلة بكل ما تعنيه الكلمـة، وهـنا تتجلـى حقـيقة انـه مـن المحـال اجـتماع الأمانة والسياسة معاً، واسترجع هنا كلمات الأعلامي الشريف (٢٠٠٧) "بأن الساسة كلهم عملة واحدة، لقد اعادنا (العالم الحر) إلى نقطة البداية، وهي أننا نعيش في غابة، ويجب ان نعرف ذلك، ونستعد له".

وفي هـذا الأطـار نقـدم تلـك الـشواهد في تـنافي الـتقاء السياسة والنزاهة معاً، وان بوصـلة السياسة مع اكتساح العولمة العالم اجمع، اخذت تتجاوز جدود المصالح السياسية، إلى مفاصل خطرة في انتهاك حقوق الإنسان، وادرج ملفات متنوعة في هذا الصدد:

تجنيد الأطفال تحت عمر ١٣ في جيوش مرافقة للتحالف في معركته ضد طالبان في ولاية هلمند في افغانستان، وقد كشفت عن ذلك محطة الجزيرة الفضائية في تقرير اخباري لها بثته في تاريخ ٢٩/٤/٢٠٠٧ من قبل مراسلهم، احمد زيدان.

ما كشفته التقاريرالأخبارية بأن أمريكا اسقطت كماً لابأس به من القنابل الفوسفورية، في معركتها قبيل دخول بغداد، اذابت مطار بغداد، توطئة لأستباحتها الوقحة للعراق.

الملف الحقوقي الزاخر ببنوده في انتهاكات حقوق الإنسان في مجال اعتقالات متنوعة للأطفال الفلسطنيين في معتقلات العدو الصهيوني.

اثارة النعرات الطائفية الإجرامية، ورفع معدلات القتل الجماعي بصورة هائلة في العراق، حيث يقول احد الصحافيين الأميركيين بأن القوات الأمريكية لاتفعل شيئاً سوى الوقوف ومراقبة الحريق الذي اشعله جورج بوش ورفاقه، وقد انتقلت تلك العدوى الطائفية إلى مساحات من العالم الإسلامي، ومنها ما حصل من اشتباكات بين السنة والشيعة، واسفرت عن ٤٠ قتيلاً، و٧٠ جريحاً، في منطقة بيشاور.

منع القوانين التركية ارتداء الحجاب في المكاتب العامة وفي المدارس والمستشفيات، وكذلك بعض دول المغرب العربي، فضلاً عما يدور من انتهاكات لحقوق الإنسان بهذا الشأن في فرنسا.

قدوم الصهاينة، تحت بند السياحة، والسلام، إلى سيناء، وبحوزتهم أسلحة ومخدرات.

امداد البرجوازية العراقية المتنفذة بالمال، للميلشيات بالسلاح، لدى كل الأطراف المتنازعة، من السنة والشيعة، لتأجيج الصراع الطائفي الدموي، لغاية الأحتفاظ بأوراقهم السياسية، على حساب القتل الجماعي الدموي في العراق، ولأشغال الأطراف عن معركته المصيرية مع الجيش الأمريكي.

الدعم الأمريكي والتشجيع منذ عام ٢٠٠٥ لجماعة "جند الله" وهي الميلشيا القبلية الباكستانية، والتي يقودها مقاتلي طالبان، السابقين، والتي تشن هجمات على مناطق البيلوش، الإيرانية، هذا ما ذكره توم الجلهارت "في صحيفة ذي نيشن"، والأدهى

والأمر ان وكالة الاستخبارات الأمريكية تقدم التشجيع والمشورة لهم، فضلاً عما تمارسه أمريكا من انتهاك لحقوق الإنسان، عن طريق المخابرات العراقية، التي اعتبرها الكاتب فرعاً لوكالة الاستخبارات الأميركية، واشار توم انجلهارت إلى ان عملية اختطاف (٥) ديلوماسيين إيرانيين في اربيل، في كردستان العراق، رعته الاستخبارات الأمريكية، ووضعتهم في حفرة مظلمة، في احد السجون الأمريكية في العراق، التي تحتجز (١٧) الف عراقي، بالإضافة إلى هؤلاء الإيرانيين، ورقم المعتقلين في ازدياد مستمر.

- من المفارقات ما يقوله محمد البرادعي رئيس الوكالة الدولية للطاقة النووية، في صحيفة ذا ديلي ستار اللبنانية، بشأن الملف النووي الإيراني، بأنها الفرصة الأخيرة لبناء أمن في الشرق الأوسط يعتمد على الثقة وليس على امتلاك الأسلحة النووية، فهل يعي البرادعي، ماذا نتج عن جهوده المتواطئة مع أمريكا في تدمير العراق، وهل نتج منها ما تتوق له نفسه من بناء الثقة والأمن في الشرق الأوسط، فهل هي السياسة، ام الأستهتار بحقوق ومشاعر الشعوب.
- يقول بول ولفوفيتز، رئيس البنك الدولي، بأنه يؤمن بمهمة هذه المنظمة، ويعتقد انه قادر على النهوض بها، وذلك في صدد الرد على الدعوات التي طالبته بالإستقالة، بعد المعاملة التي خص بها عشيقته، حيث منحها زيادة كبيرة على رابتها، وفي ذلك انتهاك للقواعد المتبعة في البنك، كما ذكرت مجلة التايم.
- قامت سفينة "رينبو ووير" التابعة للمنظمة البيئية الدولية "غرينبيس" بزيارة للكيان الصهيوني، وجاء في احدى مقالات الصحافة الإسرائيلية، للصحفي تسفرير رينات، في صحيفة هآرتس، بأن هناك:
  - سياسات صمت من قبل المنظمات البيئية الإسرائيلية، عن كل ما يتصل بالشؤون النووية.
  - ان انتاج المواد المشعة واستعمالها يعرض عدد كبير من البشر في إسرائيل والدول المجاورة إلى خطر دائم.

- إن اصابة المفاعلات النووية يسبب هزة ارضية أو اعطال، ويسبب تسرباً واضراراً بالمنشآت، الأمر الذي يؤدي إلى كارثة، لن تستطيع دول كإسرائيل وجاراتها تجاوزها، بسبب مساحتها الصغيرة.
- إن المشكلة الأصعب تتعلق بالمخلفات الأشعاعية، إذ ينشأ في المفاعلات الذرية، مخلفات تظل سامة لعشرات الآف السنين، أي بمعنى اخر تشكل تهديد دائم للأجيال القادمة في إسرائيل.
- لا يوجد قدر كاف من وسائل النقل العام لإخلاء السكان في حالة حدوث خلل جدي في احدى المفاعلات كما اشارت دراسات أمريكية.
- إن اعطالاً كهذه لم تحدث فقط في تشرنوبل فقط، فجزء من الأعطال التي حدثت في السنين الأخيرة، لم ينشر عنها لمنع الذعر العام.
- يقول البرفسور مرينوف احد المشاركين في اعداد خطة امن لقطاع الطاقة في إسرائيل، لماذا تحتاج إسرائيل إلى منشأت نووية، وكيف تخدم هذه الطاقة على وجه الدقة والصحة والحماية للبيئة.

يقول الصحفي الصهيوني روني شكيد من صحيفة بديعوت، بأن ان قادة حرب التحرير لفلسطين عام ١٩٤٨ هم المذنبون، واللاجئون انفسهم هربوا مذعورين من بيوتهم وهم المذنبون، لماذا تركوا اراضيهم وهربوا، هذه رؤية إسرائيلية فيها من الوقاحة الشئ الكثير، ومن الوقاحة ايضا ما تقوله إسرائيل، بأن العرب احتلوا ١٢ بلدة يهودية، بينها الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس،، وأن المئات من اليهود اقتلعوا من بيوتهم في البلدان العربية.

وطبعاً تؤكد الصحافة الإسرائيلية على اهمية اسكان هؤلاء اللاجئين في اطار اتفاقات السلام، في الدول التي هم فيها، وخارج الحدود السلمية والمستقبلية لإسرائيل، حيث يعطوا بيتاً وعملا ومواطنة فيها، بجهود الدول العربية الغنية.

ملف اللاجئين الفلسطنيين الذين هربوا من الحرب الدموية في العراق، وعددهم ٣٠ الف فلسطيني، حيث تحول هؤلاء اللاجئون إلى ضحية للواقع الجديد، وهم مجموعة

سكانية من دون رديف طائفي وقبلي، لذلك اصحبوا عرضة للاعتداءات وخصوصاً من الذين عانوا من حكم صدام حسين، ورغبوا بالانتقام منهم، وطردوهم من منازلهم واماكن عملهم، وتعرضوا لأعمال من النهب والسلب، والاعتقالات والأختطاف والتعضيب والقتل، حتى وصلوا الحدود الأردنية والسورية، في مخيم الهول وغيره في سوريا، ومخيم الرويشد في الأردن وقد نصبت لهم الخيام، والصيليب الأحمر يقدم بعض المساعدات، الا انها لا تحتوي على خدمات صحية، وتعليمية منظمة.

- ليس هناك من يهتم بالفقراء في أمريكا، كما اشار الصحفي (ديفيد فرانسيس) في صحيفة كريستيان ساينس مونيتور، وليس هناك جدوى من ممارسة الضغوط على ادارة بوش الأبن بهذا الصدد، لأنه مشغول بإشعال الحروب، فيما وراء البحار، لنزواته الشخصية الأحادية، وفي الإحصاءات الأمركية يرتفع يومياً معدلات الفقر في أمريكا ،وتزداد الفجوة بين الفقراء والأغنياء، مع تسارع امتداد جسد العولمة الاقتصادية، في أمريكا، ولتغير طبيعة الاقتصاد نتيجة للعولمة، وارتفاع نسبة الهجرة إلى أمريكا، وضعف الأتحادات والنقابات المهنية، التي تقاوم تلك الظاهرة السلبية المتفشية في المجتمع الأمريكي، وكذلك لتباطؤ النمو الاقتصادي ،قياساً بمعدل انتاج الفرد، وتعد نسبة الفقر مرتفعة في فئة الأطفال مقارنة مع غيرها، وهي ترتفع طوال السنوات الماضية، حيث بلغت ١٧,٨٪ في عام ٢٠٠٥، ومعدل الفقر العام بلغ ١٢,٦٪ او (٣٧) مليون نسمة، في عام ٢٠٠٥، وكانت قد بلغت ١١,٣٪ في عام ٢٠٠٠، هذا بحسب احصاءات المكتب الاحصائي الفيدرالي في أمريكا، ولقد اشارت دراسة جديدة صادرة عن مركز التقم الأمريكي بأن انتشار الفقر بين الأطفال، يكلف سنوياً ٥٠٠ مليار دولار، أي ٤٪ من مجمل الناتج القومي، وهؤلاء من ذوي الأنتاجية المنخفضة، ودخلهم اقل، ويتورطون بالجرائم بنسبة اكبر، ويعانون من وضع صحي سيء للغاية، وهذا بعض من الممارسات السياسية لأمريكا في انتهاك انتهاك حقوق الفقراء والأطفال في اميركا، وعدم اهتمام ادارة بوش الأبن بذلك، بسبب عدم

اعفائه الفقراء من الضرائب، وعدم تقديمه اعانات مالية لرعاية الأطفال الفقراء، و عدم عبئه بتوفير المزيد من الحضانات قبل سن الطفولة، وتكثيف المساعدة على الأنضباط لأولئك الذين كانوا سجناء، فالحرب من اجل النفظ، اولى من الأصلاح الاجتماعي في دولة الديمقراطية والعدالة والتقنيات.

انتشار المخدرات بين صفوف الشباب في باكستان، وهي تقدم إلى باكستان من قبل افغانستان، التي تحررت من القيود على تلك الزراعة، بعد سقوط نظام طالبان، الذي حرم زرع المخدرات في افغانستان، ولكن بعد قدوم أمريكا وقوات التحالف، والحكومة الموالية لأمريكا، في افغانستان، ارتفعت القيود على زراعة المخدرات، وانتشرت تلك الزراعة بكثرة، وتوفرت كافة سبل تصديرها للأخرين، وهذه الأفة غدت تهدد المجتمع الباكستاني، حيث تقدم إلى باكستان من قبل عصابات المخدرات الأفغانية، ووقد ارتفع نشاط المهربين، مع قدوم أمريكا والتحالف وانتشار الفلتان الأمني في افغانستان، وانتشار افة المخدرات، التي تعد من اهم نتائج الحرب الأمريكية على افغانستان، وهكذا تهرب المخدرات إلى الأسواق الباكستانية، وكما اشارت محطة العالم الفضائية في احد تقاريرها الأخبارية، بأن هناك ٣ ملايين نسمة يتعاطون المخدرات في باكستان، و ٤٩٪ يستخدمون الحقن، وان مراكز العلاج لحالات الأدمان، ليست بالصورة المنشودة، وهذا يهدد المستقبل الباكستاني، في ظل تلك الصورة المريعة لأنتشار المخدرات في المجتمع الباكستاني، فمعظم المدن في باكستان تعاني من افة ادمان المخدرات، وتنتشر تلك الأفة في الطبقة المتوسطة من المجتمع الباكستاني، وكذلك بين صفوف الطبقات المخملية في المجتمع الباكستاني، علماً بأن هذه الظاهرة زادت بعد الاحتلال الأمركي لأفغانستان، واسقاط نظام طالبان ،إذ عاد التهريب إلى الأنتشار إلى باكستان، والعالم اجمع، وهكذا جيوش أمريكا والتحالف، تقدم إلى الدول المستضعفة، لتزيد من سعار انتهاكات حقوق الإنسان، وهي تدعي ارساء الأمن والديمقراطية، ومحاربة الإرهاب.

الـغـرب والإسـلام
(رؤية سيكولوجية)

تـبدى الغـرب علـى حقيقته، وزالت القشور، وربما إرهاصات الأحداث المؤلمة التي يـشهدها العـالم الإسـلامي، علـى مـا فيها من الم وقتل وتعذيب واستضعاف للأمة المسلمة، واسـتهانة بها وبمقدساتها وقيمها وثوابتها، ولكن ذلك على الرغم من آلامه ووحشيته، أزال القناع عن الوجه البشع للغرب، بما فيه من عنصرية مقيتة، وأحادية انفعالية هائجة مائجة.

وأيامـنا تـشهد مهـزلة عالمـية للقـيم المدنـية التي يدعو لها المجتمع الغربي، وأصبحت مـصدر تنكـيت العالم، في ما يدعونه من الديمقراطية وحقوق الإنسان، والحرية التي لا تعرف ذوقـاً ولا اعتـباراً للإسـلام، في ضـوء نظـرة عنصرية، تحترم فيها الديانة المسيحية واليهودية، والمعـتقدات الأخـرى، ولا تجـد طاقـتها وجهـدها إلا في النيل من الإسلام ورسالته، وتوجه كـيدها العالمـي عبر الصحف والانترنت للهجمة على الرسول الأكرم محمد ﷺ، حتى أصبح مـشروعاً غربياً منظماً، نسمعه كل يوم، في صحف متنوعة، ومواقع متعددة، في رسالة عدائية مـنظمة، تـبدي مـساحات مـن القلـق الغربـي من سرعة انتشار الإسلام، وبالأخص بدايات اعـتلائه مناصـب قـيادية في ضـوء لعـبة الديمقراطية، التي يقبلها المجتمع الغربي، إلا أن يكون أفـرادها ينـتمون للـشريعة الـسمحة، لأنهـم يـريدون إسلاماً، على مزاجهم هشاً سلبياً يتيح مـساحات لاسـتهلاك بـضائعهم الفكـرية المتهاوية، وسلخ المسلم من دينه، حتى يكون كائن مهجـن من بضائع فكرية متنوعة، يمكن وصفها بأنها حاويات قمامات الشعوب، من الأفكار والقيم المتهاوية، فهذه الصورة المثالية التي يريدها الغرب لأبناء الأمة المسلمة.

انكشف الغرب، وتهاوت مقالته الدعائية، وغدا على وجه الحقيقة، لصوصية محضة، تـنادي بالقـيم في عقر دارهم، ويصدرون العِنف والإرهاب والدمار والقتل والاحتلال، وإلا كـيف نفـسر التعاضـد الأمريكـي مع أوروبـا مـع اللوبـي الصهيوني وهـم يعيثون فساداً في العـراق، ودمـوية في غزة، واحتلالاً معلناً في أفغانستان، وتهديد وقح للمقاومة اللبنانية، التي رفعـت قـيم الإسـلام عالـية، بأخلاقـياتها السامية التي تكاد تكون مفقودة في عالمنا المتساقط

أخلاقياً، واستفزاز سافر للسيادة السورية والنهضة النووية الإيرانية، في استراتيجيات سياسية عنصرية مقيتة، تستهدف القوة في الجسم الإسلامي الواحد.

الإسلام صحوة في الزمان والمكان، والعزة مرتبطة به، ولا عزة لنا، ورسولنا الأكرم ﷺ يهان، وتشوه صورته في الغرب الأسود المقيت الحاقد، فلا عزة لنا إلا بأتباع نبينا الأكرم ﷺ، ورفع مقامه عالياً، في ضوء معطيات العصر وإمكانياته، ولا عزة لنا إلا بذلك، ومن هنا يجب التصدي لكل محاولات النيل منه، ومن رسالته المحمدية السمحة، انه النور الساكن في قلوبنا، وماء الحياة، الذي يصنع حاضرنا ومستقبلنا، والطهر السلوكي في كافة مسارات حياتنا.

مهما نالوا من نبينا الأعظم ﷺ سيبقى شمساً مشرقة في قلوبنا، حيث تفتح نوافذها للوجود في طاقة نورانية لا حدود لها، تتجاوز الدنيا بكافة مساحاتها، لتنير طريق السالكين على الله تعالى، انه الحب الخالد في قلوبنا، ولا بد لليل أن يسافر بعيداً، ويسفر الفجر، فكل متوقع آتٍ، وكل آتٍ قريب، ولا بد للأمة المسلمة أن تنهض، وتتولى مقاليد مشروعها النهضوي التنويري العلمي في العالم اجمع، فتنشر رسالة النور والتسامح، ورسالة التواصل الثقافي، عوضاً عن رسالة الإرهاب الغربي، والديمقراطية المزورة، وحقوق الإنسان المشوهة الأحادية، التي يعتريها دوما قيم اللامساواة، والحرية الفوضوية العبثية، التي تدمر الشعوب المستضعفة، وتختال بنفسها، ولا تجد لها إلا الإسلام ومقدساته للشتم والأهانات، لابد للحقيقة أن تنجلي، لا بد ولو عن قريب.

الخاتمة

عند هنا تنتهي رحلة فصول هذا الكتاب في عالم القيم وما تحمله من اشكاليات وتساؤلات، وقد قدمت فصول هذا الكتاب محاولة جريئة في الخوض في هذه المسارات القيمية، في بتني لتيار الأصالة والأنفتاح معا، في ضوء رؤية تحليلية ناقدة واعية، حاولت من خلالها مخاطبة النشء وهو يتأهب للدخول في مستقبله وما يعترضه فيه من محو للذاكرة ومنظومة شبهات في معترك كفاحه من اجل وجوده وهويته العربية الإسلامية، ومحاورة الجمهور العربي والإسلامي وهو يواجه معركة الأجهاز على قيمه الأصيلة واعداد الأسلحة لذلك على شاشات التلفزة، ويجري نقاشه التلاقحي مع نخبة المثقفين في رحلة اعادة تمثل الذهن للقيم الإسلامية وبرمجتها في السلوك الفردي والاجتماعي، واتخاذها منهج حياة، في ضوء تفاعل ايجابي جاد مع القيم العالمية والأنفتاح عليها، في ضوء رؤية نقدية واعية تعتز بالهوية وتحاور المستقبل وتتخذ الأنجاز والإبداع حراكاً هادفاً لها في الحياة، بدلاً من التنظير الحالم والخطابات الرنانة.

تلك الأفاق مع ما تحمله من ثمار يانعة في جماليات القيم، واشواك في ضوء الأشكاليات الحادة المطروحة في الساحة الفكرية، دارت فصول هذا الكتاب، في تبحره الفكري في مساحات القيم العالمية، في ضوء التصور الإسلامي، والمنظومة التنظيرية للمجتمعات المدنية، وذلك الأبحار ليس بالأمر اليسير، بل تعترضه الصخور الحادة، ممثلة بالأشكاليات والتساؤلات المبهمة التي يطرحها موضوع القيم العالمية، وبالتالي يقتضي هذا النوع من البحث في عوالم القيم العالمية، إلى نفس طويل، وهدوء عقلاني، ودقة فكرية في التعاطي مع المفردات، وملكة نقدية في التعاطي مع قضاياه، دون التسليم للتنظير المطلق، وعدم محاكمته لأحداث الواقع ومعطياته.

ولا يسعني في نهاية الكتاب الا احمد الله تعالى على ما اعطى وتفضل، فإن وفقت فالفضل والمنة لله تعالى، وأن اخطأت فمني واستغفر الله العلي، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- ابـن حـبان، محمـد بـن حـبان التميمـي (١٩٩٣). **صحيح ابن حبان**، ط٢، بـيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابـن كـثير، عمـاد الدين إسماعيل (١٩٩٦). **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (د.ت) . **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

- ابـو العـلا، محمـد بـن عبد الرحمن المباركفوري (د.ت). **تحفة الأحوذي**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابو الحسن، علي بن ابي بكر. **موارد الظمآن**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابـي بكـر، مرعـي بـن يوسـف (١٩٨٩). **رفـع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر**، مكة المكرمة: دار حراء.

- الأجري، ابي بكر الحسين (١٩٨٥). **اخلاق العلماء**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الأنـصاري، بـدر محمد (٢٠٠٥). **الأدب العربي و قيم عصر المعلومات: من المنظور العربي**، ورقـة بحـث مقدمـة إلى نـدوة: الأدب المقارن و دوره في تقارب الشعوب- جامعة حلب- كلية الآداب-حلب-سوريا، ٦-٨/ ٢/ ٢٠٠٥.

- الـبخاري، محمـد بـن إسماعـيل (١٩٨٧). **صـحيح البخاري**، ط٣، بيروت: دار ابن كثير.

- بركات، محمد مراد (٢٠٠٢). **العولمة**، قطر: كتاب الأمة "منشورات وزارة الأوقاف.
- البياتي، منير (٢٠٠٦). **محمد رسول الله ﷺ**، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين (١٩٩٠). **شعب الأيمان**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت) . **سنن الترمذي**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجارود، عبد الله بن علي (١٩٨٨). **المنتقى لأبن الجارود**، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية.
- الدمشقي، ابو بكر الحصني(د.ت). **دفع شبه من شبه**، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.
- الراشد، محمد احمد (١٩٩٤). **فضائح الفتن**، طنطا:دار البشير للثقافة والعلوم.
- الراشد، محمد احمد (١٩٨٩). **المنطلق**، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- زيدان، عبد الكريم (١٩٨٨). **أصول الدعوة**، عمان: مكتبة البشائر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٢). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- سوندرز: فرانسيس ستونر(٢٠٠٢)، **العولمة**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- السيسي، عباس (١٩٨٥). **الدعوة إلى الله حب**، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.
- السيسي، عباس حسن (د.ت) . **الطريق إلى القلوب**، عمان: دار الأرقم.
- سين، امارتيا (٢٠٠٦). **الهوية والعنف: وهم المصير**، نيويورك: دبليو. دبليو. نورتن.
- سين، أمارتيا و جونغ، كين داي (١٩٩٩). **التنمية كحرية**، نيويورك . جامعة اكسفورد.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت) . **الجامع الصغير للسيوطي**. جدة: دار طائر العلم.
- الشافعي، محمد بن ادريس(١٩٧٢). **الأم**، بيروت: دار المعرفة.
- الأصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله (١٩٨٤). **حلية الأولياء**، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ضو، محمد (٢٠٠٤). **الاعتداءات الجنسية على الأطفال**، دمشق: قوس قزح.
- الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد (١٩٩٤). **المعجم الأوسط**، القاهرة: دار الحرمين.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (١٩٨٤). **تفسير الطبري**. بيروت: دار الفكر.
- الطنطاوي، علي (١٩٨٩). **تعريف عام بدين الإسلام**، ط١٣، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد الله، عبد الرحمن صالح (٢٠٠٣). **منظومة القيم محرك السلوك الأنساني**، عمان: الكتاب التوثيقي لندوة الأدارة بالقيم المنعقدة بمعهد الأدارة العامة بتاريخ ٢٨-٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣.

- الغزالي، محمد (٢٠٠١). **جدد حياتك**، ط١٤، دمشق: دار القلم.

- الغزالي، محمد (د.ت). **خلق المسلم**، الكويت: دار البيان.

- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (١٩٩٨). **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الفكر.

- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (١٩٥٩). **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، القاهرة: دار الشعب.

- القضاعي، محمد بن سلامة (١٩٨٦). **مسند الشهاب**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- قطب، سيد (١٩٨٧). **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، جمع واعداد: احمد فائز، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- قطب، سيد (١٩٨٣). **معالم في الطريق**، ط١٠ بيروت: دار الشروق.

- قطب، سيد (١٩٨٣). **السلام العالمي والإسلام**، ط٧بيروت: دار الشروق.

- قطب، سيد (١٩٨٢). **هذا الدين**، ط٧، بيروت: دار الشروق.

- قطب، سيد (١٩٧٤). **المستقبل لهذا الدين**، بيروت: دار الشروق.

- كيشيـشيان، جوزيـف ايـه و ريـر، أر (٢٠٠٣). **الأمير العادل: دليل القيادية**، لندن: منشورات الساقي.

- المـاوردي، ابـو الحـسن علـي بـن محمـد(١٩٨٧). اعلامَ النبوة، بيروت: دار الكتاب العربي.

- المزروعـي، حمـدان (٢٠٠٧). **التـسامح الإسـلامي اعظم ضمانة لحماية حقوق غير المسلمين**، عمان: جريدة الدستور، ١٨ ايلول ٢٠٠٧، العدد ١٤٤٣٠، السنة ٤١.

- مـسلم، ابـو الحسين القشيري النيسابوري (د.ت). **صحيح مسلم**، بيروت: دار احياء التراث العربي.

- المقدسي، ابن قدامة (١٩٩٠). **المتحابين في الله**، دمشق: دار الطباع.

- نوفل، عبد الرزاق، (١٩٧٣) **الله والعلم الحديث**. بيروت: دار الكتاب العربي.

- الـندوي، ابـو الحـَسن علـي الحـسني (١٩٨٤). **ربانـية لا رهبانـية**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- نوفل، عبد الرزاق، (١٩٧٣) **الله والعلم الحديث**. بيروت: دار الكتاب العربي.

- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (١٩٩٠). **المستدرك على الصحيحين**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- هوبـسباوم، ايـريك (٢٠٠٣) . **عـصر التطـرف: القـرن العشرين القصير**، نيويورك: بانثيون.

- الهيثمي، علي بن أبي بكر (١٩٨٦). **مجمع الزوائد**. القاهرة: دار الريان للتراث.
- يكن، فتحي (١٩٨٨). **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- يكن، فتحي (١٩٨٥). **الأستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- يو، لي كوان (١٩٩٤). **هل الثقافة مصير؟ اسطورة القيم الأسيوية المضادة للديمقراطية**، مجلة الشؤون الخارجية، العدد ٧٣ (تشرين الثاني- كانون الأول ١٩٩٤): ١٨٩-١٩٤.

المراجع الإلكترونية:

- http://www.almodarresi.com/books/708/hk0rsqlu.htm
- http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/2.htm
- http://www.albayan-magazine.com/files/qiam/index.HTM
- http://www.balagh.com/youth/m10oj6bs.htm
- www.misbahalhurriyya.org/policies/show/50.html
- www.misbahalhurriyya.org/policies/show/135.html
- http://www.hrinfo.net/egypt/nadeem/2005/pr1224.shtml
- http://arabic.peopledaily.com.cn/200401/15/ara20040115_74817.html
- http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=3058
- http://www.islamonline.net/arabic/adam/2004/05/article01.SHTML

- http://www.aihr.org.tn/arabic/tadrib/DroisFem/violenceDiscrim.htm
- http://www.unicef.org
- http://www.marmarita.com/nuke/modules.php?name=News&file=article&sid=3049
- http://www.hrinfo.net/egypt/lchr/2006/pr0228.shtml
- http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=396
- http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=662
- (http://www.hrinfo.net/egypt/lchr/2005/pr0529.shtml)
- http://www.hrcap.org/ARabic/HRcon/HRD.htm
- http://www1.umn.edu/humanrts/arab/pro-chlid1.html
- http://www.hrcap.org/ARabic/HRcon/women.htm

Value conflict and its impact on education

جاءت ولادة هذا الكتاب من مخاضات رحم هذه الإشكاليات الفكرية التي ولدتها العولمة بكافة اشكالها وتسارعاتها في عالمنا العربي والأسلامي، ومن هنا فلا بد من ولادة مشروع فكري اسلامي عروبي، يقوم بالمبادرة لحل تلك الإشكاليات في ضوء رؤية تحليلية نقدية، تسهل تقديم الأجابات للنش، لكي يحاكمها في مستقبله، ويختار ما يرتأيه من مستقبل قيمي يعتز بأصالته ويندمج مع حاضرة دون تميع وانفلات.

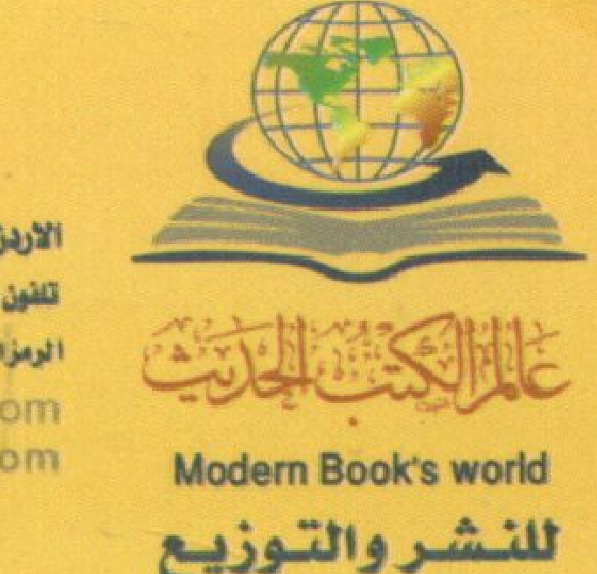
فهذا الكتاب بفصوله الأربعة يتخذ الاتجاه الوسطي في تلك الإشكاليات القيمية، حيث يعتز ويقدر القيم الأسلامية، في ما تحمله من بناء قيمي مهذب شامخ على مر الأجيال، وفي كل زمان ومكان، ويضع ايضاً استراتيجيات عملية لمواجهة ما يعرف بالصراع القيمي الناشئ من اخطبوط اختلاط التيارات الفكرية، فيما يمكن اعتباره فوضى فكرية وقيمية، ويناقش الكتاب ايضاً في ضوء رؤية نقدية القيم العالمية في ضوء واقعها لا الأكتفاء بعالم التنظير الحالم لها، ويضعها تحت المحك، في ضوء القضايا الدولية التي تعصف بها في عالم السياسية والأزمات بشتى انواعها، وفي الوقت ذاته يقدم الكتاب محاولة لإعادة الأذهان إلى تمثل القيم الأسلامية، في ضوء اولوياتها، وما نالها من تهميش في الذاكرة العربية والأسلامية، وفي السلوك الفردي المحض، في ضوء رؤية شرعية مؤصلة تعتز بالحضارة الأسلامية وما انبعث فيها من قيم سامية تعلي من قيم الأن[illegible] الديني.







الاردن - اربد - شارع الجامعة
تلفون: ٧٢٧٢٢٧٢ ٢ ٩٦٢+ / فاكس: ٧٢٦٩٩٠٩ ٢ ٩٦٢+
الرمز البريدي: (٢١١١٠) / صندوق البريد: (٣٤٦٩)
almalktob@yahoo.com
www.almalkotob.com



مطبعة حلاوة
Halawa Printing Press